

بِحُوتِ

فِي الْمَلِكِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ

تَأليف

الفقيه المحقق آية الله

الشيخ جعفر الشبركانى

الجزء الثامن

موسسة الإمام الصادق

قم - إيران

بحوث في

الملل و النحل

الجزء الثامن

في

الأجزاء الثمانية

و فرق

الفتحية، الواقفية، القرامطة، الدروز والنصيرية

تأليف

جعفر السبحاني

فهرست نویسی پیش از انتشار توسط: مؤسسه تعلیماتی و تحقیقاتی امام صادق علیه السلام

سبحانی التریزی، جعفر، ۱۳۰۸ -

بحوث فی الملل والنحل / تألیف جعفر سبحانی . - قم : مؤسسه الإمام الصادق علیه السلام ،

۱۴۲۸ ق . = ۱۳۸۶ ش .

ج . چاپ دوم

ISBN:978-964-357-272-3 (ج . ۸)

کتابنامه به صورت زیر نویس .

۱ . اسلام -- فرقه ها . الف . مؤسسه الإمام الصادق علیه السلام . ب . عنوان .

۲۹۷/۵

ب ۳ / س ۲۳۶ BP

| | |
|----------------------------|---|
| اسم الكتاب: | بحوث في الملل والنحل / ج ۸ |
| المؤلف: | الفقيه المحقق جعفر سبحانی |
| الطبعة: | الثاني |
| المطبعة: | مؤسسه الإمام الصادق <small>علیه السلام</small> - قم |
| التاريخ: | ۱۴۲۸ هـ . ق / ۱۳۸۶ هـ . ش |
| الكمية: | ۱۵۰۰ نسخه |
| الناشر: | مؤسسه الإمام الصادق <small>علیه السلام</small> |
| الصف والإخراج بالاینوترون: | مؤسسه الإمام الصادق <small>علیه السلام</small> |

www.imamsadeq.org

توزیع

مکتبه التوحید

قم - ساحة الشهداء - ۰۹۱۲۱۵۱۹۲۷۱ و ۷۷۴۵۴۵۷۴

فاکس ۲۹۲۲۳۳۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين .

أما بعد فهذا هو الجزء الثامن من موسوعة «بحوث في الملل والنحل» نقدمه للقراء الكرام حول الإسماعيلية وغيرها من الفرق الشيعية وبه تنتهي سلسلة تلك البحوث نحمده سبحانه ونشكره إنه بذلك حقيق .

تمهيد

الإسماعيلية فرقة من الشيعة القائلة بأن الإمامة بالتنصيب من النبي أو الإمام القائم مقامه، غير أنّ هناك خلافاً بين الزيدية والإمامية في عدد الأئمة ومفهوم التنصيب .

فالأئمة المنصوصة خلافتهم وإمامتهم بعد النبي عند الزيدية لا يتجاوز عن الثلاثة: عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، والسبطين الكريمين: الحسن والحسين عليهما السلام وبشهادة الأخير غلقت دائرة التنصيب، وجاءت مرحلة الانتخاب بالبيعة على تفصيل مرّ في الجزء السابع .

وأما الأئمة المنصوصون عند الإمامية فاثنا عشر إماماً، آخرهم غائبهم، يُظهره الله سبحانه عندما يشاء وقد حوّل أمر الأئمة - في زمان غيبته - إلى الفقيه العارف بالأحكام والسنن، والواقف على مصالح المسلمين، على النحو المقرّر في كتبهم وتآليفهم .

وأما الإسماعيلية فقد افرقت إلى فرق مختلفة:

١. القرامطة: القائلة بإمامة محمد بن إسماعيل ابن الإمام الصادق و غيبته، ثم دخلت الإمامة في كهف الاستتار.
 ٢. الدرروز: وهم يسوقون الإمامة إلى الإمام الحادي عشر الحاكم بأمر الله، ثم يقولون بغيبته وينتظرون ظهوره.
 ٣. المستعلية: وهؤلاء يسوقون الإمامة إلى الإمام الثالث عشر المستنصر بالله، ويقولون بإمامة ابنه المستعلى بالله بعده، وهم المعروفون بالبهرة، وقد انقسمت المستعلية سنة ٩٩٩ هـ إلى فرقتين: داودية وسليمانية، سيوافيك بيانها.
 ٤. النزارية: وهؤلاء يسوقون الإمامة إلى المستنصر بالله، ثم يقولون بإمامة ابنه الآخر نزار بن معد، وقد انقسمت النزارية إلى: مؤمنية وقاسمية المعروفة بالأغاخانية، وسيأتي سبب الانقسام وزمانه والركب الإمامي منقطع عن السير عند الجميع إلا القاسمية حيث يقولون باستمرار الإمامة إلى العصر الحاضر.
- هذا كله حول اختلافهم في استمرار الإمامة، وأما اختلافهم مع الزيدية والإمامية في مفهوم التنصيب، فإنه عند الفرقتين الأخيرتين يرجع إلى تعيين الإمام والقائم بالأمر باللفظ والاشهاد، بخلاف الإسماعيلية فإنها تنتقل عندهم من الآباء إلى الأبناء، ويكون انتقالها عن طريق الميلاد الطبيعي، فيكون ذلك بمثابة نص من الأب بتعيين الابن، وإذا كان للأب عدة أبناء فهو بما أُوتى من معرفة خارقة للعادة يستطيع أن يعرف من هو الإمام الذي وقع عليه النص. فالقول بأن الإمامة عندهم بالوراثة أولى من القول بالتنصيب.
- وعلى كل تقدير فهذه الفرقة، منشقة عن الشيعة، معتقدة بإمامة إسماعيل ابن جعفر بعد الإمام الصادق عليه السلام وهي متواجدة في كثير من الأقطار، منها: الهند، وباكستان، واليمن ونواحيها، وسوريا، ولبنان وأفغانستان، وإفريقية وإيران ونحقق مذهبهم وفرقهم وآثارهم في ضمن فصول:

الفصل الأوّل

الخطوط العريضة

للمذهب الإسماعيلي

إنّ للمذهب الإسماعيلي آراءً وعقائدًا ، ستوافيك تفاصيلها في الفصول
الآتية نذكرها هنا على وجه الإيجاز :

الأولى: إنتماؤهم إلى بيت الوحي والرسالة

كانت الدعوة الإسماعيلية يوم نشوئها دعوة بسيطة لا تتبنّى سوى: إمامة
المسلمين، وخلافة الرسول ﷺ، واستلام الحكم من العباسيين بحجة ظلمهم
وتعسفهم؛ غير أنّ دعوة بهذه السذاجة لا يكتب لها البقاء إلاّ باستخدام عوامل
تُضمن لها البقاء، وتستقطب أهواء الناس وميوهم.

ومن تلك العوامل التي لها رصيد شعبي كبير هو ادّعاء انتماء أئمّتهم إلى
بيت الوحي والرسالة، وكونهم من ذرية الرسول وأبناء بنته الطاهرة فاطمة الزهراء
عليها السلام، وكان المسلمون منذ عهد الرسول يتعاطفون مع أهل بيت النبيّ، وقد كانت
محبّتهم وموالاتهم شعار كلّ مسلم واع.

ومّا يشير إلى ذلك أنّ الثورات التي نشبت ضدّ الأمويين كانت تحمل شعار
حب أهل البيت ﷺ والاقْتداء بهم والتفاني دونهم، ومن هذا المنطلق صارت
الإسماعيلية تفتخر بانتماء أئمّتهم إلى النبيّ ﷺ حتى إذا تسلّموا مقاليد الحكم
وقامت دولتهم، اشتهروا بالفاطميين، وكانت التسمية يومذاك تهزّ المشاعر وتجذب
العواطف بحجة أنّ الأبناء يرثون ما للآباء من الفضائل والمآثر، وإنّ تكريم ذرية
الرسول ﷺ تكريم له ﷺ، فستان ما بين بيت أسس بنيانه على تقوى من الله
ورضوانه، وبيت أسس بنيانه على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم.

الثانية: تأويل الظواهر

إنّ تأويل الظواهر وإرجاعها إلى خلاف ما يتبادر منها في عرف المتشرّعة هي السمة البارزة الثانية للدعوة الإسماعيلية، وهي إحدى الدعائم الأساسية بحيث لو انسلخت الدعوة عن التأويل واكتفت بالظواهر، لم تتميز عن سائر الفرق الشيعية إلّا بصرف الإمامة عن الإمام الكاظم عليه السلام إلى أخيه إسماعيل بن جعفر، وقد بنوا على هذه الدعامة مذهبهم في مجالي العقيدة والشريعة، وخصوصاً فيما يرجع إلى تفسير الإمامة وتصنيفها إلى أصناف، سيوافيك بيانه.

ولم يكن تأويل الظواهر أمراً مبتدعاً، بل سبقهم ثلثة من المندسّين في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الذين طردهم الإمام ولعنهم وحذّر شيعته من الاختلاط بهم، لصيانتهم عن التأثير بأرائهم والانجراف في متاهاتهم كأبي منصور، وأبي الخطاب، والمغيرة بن سعيد، وغيرهم من ملاحدة عصره وزنادقة زمانه.

إنّ تأويل الظواهر والتلاعب بآيات الذكر الحكيم وتفسيرها بالأهواء والميول جعل المذهب الإسماعيلي يتطور مع تطور الزمان، ويتكيّف بمكيفاته، ولا ترى الدعوة أمامها أي مانع من مماشاة المستجدات وإن كانت على خلاف الشرع أو الضرورة الدينية.

الثالثة: تطعيم مذهبهم بالمسائل الفلسفية

إنّ ظاهرة الجمود على النصوص والظواهر ورفض العقل في مجالات العقائد، كانت من أهمّ ميزات العصر العباسي حيث كانوا يرفضون كل بحث عقلي خارج عن هذا الإطار خاصّة في عهد المنصور والرشيد، فقد طردوا حماة البحث الحرّ والانفتاح الفكري وضيقوا عليهم.

إنّ هذه الظاهرة على خلاف الشريعة، التي تدعو إلى التفكير والتعقل. وكان

الإمام علي عليه السلام أول من فتح باب الأبحاث العقلية على مصراعيه وبين الخطوط العريضة لكثير من العقائد على ضوء البرهان والدليل.

إن ظاهرة الجمود في أوساط العباسيين ولدت رد فعل عند أئمة الإسماعيلية، فانجرفوا في تيارات المسائل الفلسفية وجعلوها من صميم الدين وجذوره، وانقلب المذهب إلى منهج فلسفي يتطور مع تطور الزمن، ويتبنى أصولاً لا تجد منها في الشريعة الإسلامية عيناً ولا أثراً.

يقول المؤرخ الإسماعيلي المعاصر: إن كلمة «إسماعيلية» كانت في بادئ الأمر تدل على أنها من إحدى الفرق الشيعية المعتدلة، لكنها صارت مع تطور الزمن حركة عقلية تدل على أصحاب مذاهب دينية مختلفة، وأحزاب سياسية واجتماعية متعددة، وآراء فلسفية وعلمية متنوعة.^(١)

الرابعة: تنظيم الدعوة

ظهرت الدعوة الإسماعيلية في ظروف ساد فيها سلطان العباسيين شرق الأرض وغربها، ونشروا في كل بقعة جواسيس وعيوناً ينقلون الأخبار - خاصة أخبار مخالفيهم ومناوئهم - إلى مركز الخلافة الإسلامية، ففي مثل هذه الظروف العصبية لا يكتب النجاح لكل دعوة تقوم ضد السلطة إلا إذا امتلكت تنظيماً وتخطيطاً متقناً يضمن استمرارها، ويصون دعواتها وأتباعها من حبال النظام الحاكم وكشف أسرارهم.

وقد وقف الدعوة على خطورة الموقف وأحسوا بلزوم إتقان التخطيط والتنظيم، وبلغوا فيه الذروة بحيث لو قورنت مع أحدث التنظيمات الحزبية العصرية، لفاقتها وكانت لهم القدح المعلن في هذا المضمار، وقد ابتكروا أساليب

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٤، والمؤلف سوري إسماعيلي وفي طليعة كتّابهم.

دقيقة يقف عليها من سبر تراجمهم وقرأ تاريخهم، ولم يكتفوا بذلك فحسب بل جعلوا تنظيمات الدعوة من صميم العقيدة وفلسفتها.

يقول المؤرخ الإسماعيلي المعاصر: وبالحقيقة لم توجه أية دولة من الدول، أو فرقة من الفرق، اهتماماً خاصاً بالدعاية وتنظيمها، كما اهتمت بها الإسماعيلية، فجعلت منها الوسيلة الرئيسية لتحقيق نجاح الحركة في دور الستر والتخفي، ودور الظهور والبناء معاً. ولقد أحدث التخطيط الدعاوي المنظم تنظيماً عجبياً لم يسبقهم إليه أحد في العالم، وابتكرت الأساليب المبنية على أسس مكيئة مستوحاة من عقيدتها الصميمة.

ولقد برعوا براءة لا توصف في تنظيم أجهزة الدعاية - على قلة الوسائل في ذلك العصر - واستطاعوا أن يشرفوا بسرعة فائقة على أقاصي بقاع البلدان الإسلامية، ويتنسمون أخبار أتباعهم في الأبعاد المتناهية. وذلك بما نظموا من أساليب وأحدثوا من وسائل. وقد كان للحمام الزاجل - الذي برع في استخدامه دعاة الإسماعيلية - أثره الفعال في تنظيم نقل الأخبار والمراسلات السرية الهامة^(١).

الخامسة: إضفاء طابع القداسة على أئمتهم ودعاتهم

شعرت الدعوة الإسماعيلية أيام نشوئها بأنه لا بقاء لها إلا إذا أضفت طابع القداسة على أئمتهم ودعاتهم بحيث توجب مخالفتهم مروفاً عن الدين وخروجاً عن طاعة الإمام «والجدير بالاهتمام أن الإمام الإسماعيلي - والذي يعتبر رئيساً للدعوة - جعل الدعاة من (حدود الدين) إمعاناً منه في إسباغ الفضائل عليهم، ليتمكنوا من نشر الدعوة وتوجيه الأتباع والمريدين دونها أية معارضة أو مخالفة،

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٣٧.

لأنّ مخالفتهم ومعارضتهم تعتبر بالنسبة للإسماعيلية مروقاً عن الدين، وخروجاً عن طاعة الإمام نفسه، لأنهم من صلب العقيدة وحدودها»^(١).

إنّ الإمامة تحتل عند الإسماعيلية مركزاً مرموقاً ولها درجات ومقامات مختلفة - سيوافيك تفصيلها في مظانها - حتى أضحت من أبرز سمات المذهب الإسماعيلي فهم يعتقدون بالنطقاء الستة، وإنّ كلّ ناطق رسول يتلوه أئمة سبعة:

١. فآدم رسول ناطق تلتته أئمة سبعة بعده.

٢. فنوح رسول ناطق تلتته أئمة سبعة.

٣. فإبراهيم رسول ناطق جاءت بعده أئمة سبعة.

٤. فموسى رسول ناطق تلتته أئمة سبعة.

٥. فعيسى رسول ناطق تلتته أئمة سبعة.

٦. فمحمّد رسول ناطق تلتته أئمة سبعة، وهم:

علي بن أبي طالب، الحسن بن علي، الحسين بن علي، علي بن الحسين، محمد ابن علي الباقر، جعفر بن محمد الصادق، إسماعيل بن جعفر.

وبذلك يتم دور الأئمة السبعة ويكون التالي رسولاً ناطقاً سابعاً وناسخاً للشريعة السابقة وهو محمد بن إسماعيل وهذا ممّا يصادم عقائد جمهور المسلمين من أنّ نبيّ الإسلام ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وشريعته خاتمة الشرائع، وكتابه خاتم الكتب.

فعند ذلك وقعت الإسماعيلية في مأزق كبير سيوافيك تفصيله في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى.

السادسة: تربية الفدائيين للدفاع عن المذهب

إنّ الأقلية المعارضة من أجل الحفاظ على كيانها لا مناص لها من تربية فدائيين مضحين بأنفسهم في سبيل الدعوة لصيانة أئمتهم ودعاتهم من تعرض الأعداء، فينتقون من العناصر المخلصة المعروفة بالتضحية والإقدام، والشجاعة النادرة، والجرأة الخارقة، ويكلفون بالتضحيات الجسدية، وتنفيذ أوامر الإمام أو نائبه، وإليك أحد النماذج المذكورة في التاريخ:

في سنة ٥٠٠ هجرية فكر فخر الملك بن نظام وزير السلطان سنجر، أن يثار لأبيه وهاجم قلاع الإسماعيلية، فأوفد إليه الحسن بن الصباح أحد فدائييه فقتله بطعنة خنجر، ولقد كانت قلاعه في حصار مستمر من قبل السلجوقيين.

وفي سنة ٥٠١ هـ حوصرت قلعة «آلموت» من قبل السلطان السلجوقي واشتد الحصار عليها، فأرسل السلطان رسولا إلى الحسن بن الصباح يطلب منه الاستسلام، ويدعوه لطاعته، فنادى الحسن أحد فدائييه وقال له: ألقى بنفسك من هذا البرج ففعل، وقال للثاني: اطعن نفسك بهذا الخنجر ففعل، فقال للرسول: اذهب وقل لمولايك إنّه لدي سبعون ألفاً من الرجال الأمناء المخلصين أمثال هؤلاء الذين يبذلون دماءهم في سبيل عقيدتهم المثلى.^(١)

وقد نفّشت هذه الظاهرة بين أوساطهم، وآل أمر الأتباع إلى طاعة عمياء لأئمتهم ودعاتهم في كلّ حكم يصدر عن القيادة العامة، أو الدعاة الخاصين دون الإفصاح عن أسبابه، وبلغ بهم الأمر إطاعتهم لأئمتهم في رفع بعض الأحكام الإسلامية عن الجليل الإسماعيلي بحجة أنّ العصر يضاده، ويشهد على ذلك ما كتبه المؤرّخ الإسماعيلي إذ يقول عن إمام عصره آغا خان الثالث إنّه قال: «إنّ الحجاب يتعارض والعقائد الإسماعيلية، وإني أهيب بكل إسماعيلية أن تنزع

نقائها، وتنزل إلى معتك الحياة لتساهم مساهمة فعالة في بناء الهيكل الاجتماعي والديني للطائفة الإسماعيلية خاصة وللعالم الإسلامي عامة، وأن تعمل جنباً إلى جنب مع الرجل في مختلف نواحي الحياة إسوة بجميع النساء الإسماعيليات في العالم، وآمل في زيارتي القادمة أن لا أرى أثراً للحجاب بين النساء الإسماعيليات، وآمرك أن تبلغ ما سمعت لعموم الإسماعيليات بدون إبطاء». (١)

السابعة: كتمان الوثائق

إن استعراض تاريخ الدعوات الباطنية السرية وتنظيماتها رهن الوقوف على وثائقها ومصادرها التي تنير الدرب لاستجلاء كنهها، وكشف حقيقتها وما غمض من رموزها ومصطلحاتها، ولكن للأسف الشديد أنّ الإسماعيلية كتموا وثائقهم وكتاباتهم ومؤلفاتهم وكلّ شيء يعود لهم ولم يبذلوا لأحد سواهم، فصار البحث عن الإسماعيلية بطوائفها أمراً مستعصياً، إلا أن يستند الباحث إلى كتب خصومهم وما قيل فيهم، ومن المعلوم أنّ القضاء في حقّ طائفة استناداً إلى كلمات مخالفينهم، خارج عن أدب البحث النزيه.

وهذا ليس شيئاً عجبياً إنّما العجب أنّ المؤرّخين المعاصرين من الإسماعيلية واجهوا نفس هذه المشكلة منذ زمن طويل، يقول مصطفى غالب وهو من طليعة كتاب الإسماعيلية: «من المشاكل المستعصية التي يصعب على المؤرّخ والباحث حلّها وسبر أغوارها، وهو يستعرض تاريخ الدعوات الباطنية السرية، وتنظيماتها، حرص تلك الدعوات الشديد على كتمان وثائقهم ومصادرهم — إلى أن يقول: — والمعلومات التي تقدّمها للمهتمين بالدراسات الإسلامية مستقاة من الوثائق والمصادر الإسماعيلية السرية». (٢)

١. المصدر السابق: ٢٦٥، الخطاب لمن رفع السؤال إليه وهو الكاتب مصطفى غالب السورّي.

٢. المصدر نفسه: ٣٥.

نعم كانت الدعوة الإسماعيلية مخفوفة بالغموض والأسرار إلى أن جاء دور بعض المستشرقين فوقفوا على بعض تلك الوثائق ونشروها، وأول من طرق هذا الباب المستشرق الروسي الكبير البروفسور «ايفانوف» عضو جمعية الدراسات الإسلامية في «بومبايي» وبعده البروفسور «لويس ماسينيون» المستشرق الفرنسي الشهير، ثم الدكتور «شتروطنان» الألماني عميد معهد الدراسات الشرقية بجامعة هامبورغ، و«مسيو هانري كوربن» أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة طهران، والمستشرق الانكليزي «برنارد لويس».

يقول المؤرخ المعاصر: حتى سنة ١٩٢٢ ميلادية كانت المكتبات في جميع أنحاء العالم فقيرة بالكتب الإسماعيلية إلى أن قام المستشرق الألماني «ادوارد برون» بإنشاء مكتبة إسماعيلية ضخمة غايتها إظهار الآثار العلمية لطائفة كانت في مقدمة الطوائف الإسلامية في الناحية الفكرية والفلسفية والعلمية، ولم يقتصر نشاط أولئك المستشرقين عند حدود التأليف والنشر، بل تعدّاه إلى الدعاية المنتظمة سواء في المجلّات العلمية الكبرى، كمجلة المتحف الآسيوية التي كانت تصدرها أكاديمية العلوم الروسية في مدينة «بطروسبورغ» ويشرف على تحريرها «ايفانوف» وبعض المستشرقين الروس أمثال «سامينوف» وغيره ممن دبجوا المقالات الطوال عن العقيدة الإسماعيلية.

ففي سنة ١٩١٨ كتب المستشرق «سامينوف» مقاله الأوّل عن الدعوة الإسماعيلية وقد جمعه بنفسه ونشره في مجلته كما نقل إلى اللغة الإنكليزية عدداً ضخماً من الكتب الإسماعيلية المؤلفة باللغتين «الكجراتية» و«الأوردية» - إلى أن قال: - لقد أحدثت تلك الدراسات الهامة ثورة فكرية وانقلاباً عكسياً في العالم الإسلامي، حيث قام عدد من الأساتذة المصريين بنشر الآثار الإسماعيلية في العهد الفاطمية، فأخرجوا إلى حيّز الوجود عدداً لا بأس به من الكتب القيّمة

وأظهروا للعالم أجمع آثار هذه الفرقة. (١)

وبالرغم مما ذكره المؤرخ المعاصر من أن المصريين أظهروا للعالم أجمع آثار هذه الفرقة، لكننا نرى أنه يعتمد في كتابه على وثائق خطية موجودة في مكتبته الخاصة، أو مكتبة دعاة مذهبه في سورية، ويكشف هذا عن وجود لفيف من المصادر مخبوءة لم تر النور لحد الآن.

الثامنة: الأئمة المستورون

إن الإسماعيلية أعطت للإمامة مركزاً شاخخاً، وصنّفوا الإمامة إلى رتب ودرجات، وزوّدها بصلاحيات واختصاصات واسعة، وسيوافيك بيان تلك الدرجات والرتب، غير أنّ المهم هنا الإشارة إلى تصنيفهم الإمام إلى مستور، دخل كهف الاستتار؛ وظاهر، يملك جاهاً وسلطاناً في المجتمع.

فالأئمة المستورون هم الأئمة الأربعة الأوائل الذين جاءوا بعد إسماعيل، ونشروا الدعوة سرّاً وكتماً، وهم:

١. محمد بن إسماعيل الملقّب بـ«الحبيب»: ولد سنة ١٣٢هـ في المدينة المنورة، وتسلّم شؤون الإمامة واستتر عن الأنظار خشية وقوعه بيد الأعداء، ولقّب بالإمام المكتوم، لأنّه لم يعلن دعوته وأخذ في بسطها خفية، وتوفي عام ١٩٣هـ.

٢. عبد الله بن محمد بن إسماعيل الملقّب بـ«الوفي»: ولد عام ١٧٩هـ في مدينة محمود آباد، وتولّى الإمامة عام ١٩٣هـ بعد وفاة أبيه، وسكن السلمية عام ١٩٤هـ مصطحباً بعدد من أتباعه، وهو الذي نظم الدعوة تنظيماً دقيقاً، توفي عام ٢١٢هـ.

٣. أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الملقّب بـ«التقي»: ولد عام

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٢-٢٣.

١٩٨، وتولّى الإمامة عام ٢١٢هـ سكن السلمية سرّاً حيث أصبحت مركزاً لنشر الدعوة، توفي فيها عام ٢٦٥هـ.

٤. الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل المقلب بـ «الرضي»: ولد عام ٢١٢ هـ وقيل ٢٢٨ هـ؛ وتولّى الإمامة عام ٢٦٥ هـ ويقال أنّه اتخذ عبد الله بن ميمون القداح حجة له وحجاباً عليه، توفي عام ٢٨٩ هـ.

والمعروف بين الإسماعيلية أنّ عبيد الله المهدي - الذي هاجر إلى المغرب وأسّس هناك الدولة الفاطمية - كان ابتداءً لعهد الأئمة الظاهريين الذين جهروا بالدعوة وأخرجوها عن الاستتار .

التاسعة: اتهم عُرفوا بالإسماعيلية تارة، والباطنية أُخرى، والملاحدة ثالثاً، وبالسبعية رابعاً.

قال المحقّق الطوسي: إنّنا سُمّوا بالإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق.

والباطنية لقولهم: كلّ ظاهر فله باطن، يكون ذلك الباطن مصدراً وذلك الظاهر مظهراً له، ولا يكون ظاهر لا باطن له إلّا ما هو مثل السراب، ولا باطن لا ظاهر له إلّا خيال لا أصل له.

ولقّبوا بالملاحدة لعدوهم من ظواهر الشريعة إلى بواطنها في بعض الأحوال.^(١)

وأما تسميتهم بالسبعية، لأنهم قالوا: إنّنا الأئمة تدور على سبعة سبعة، كأيام الأسبوع، والسموات السبع، والكواكب السبع.^(٢) فدور الإمامة عندهم لا يتجاوز عن سبعة، ثمّ يأتي دور آخر على هذا الشكل.

١. كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد: ٣٠١.

٢. الشهرستاني: الملل والنحل: ١/ ٢٠٠.

ويقول أيضاً: قالوا الإمام في عهد رسول الله ﷺ كان علياً عليه السلام، وبعده كان ابنه الحسن إماماً مستودعاً، وبعده الحسين إماماً مستقراً ولذلك لم تذهب الإمامة في ذرية الحسن عليه السلام، ثم نزلت الإمامة في ذرية الحسين، وانتهت بعده إلى علي ابنه، ثم إلى محمد ابنه، ثم إلى جعفر ابنه، ثم إلى إسماعيل ابنه وهو السابع. (١)

و معنى ذلك أن الدور تم بإسماعيل، وهو متم الدور، وإن ابنه بادئ للدور الآخر كالتالي:

١. محمد بن إسماعيل.
 ٢. عبد الله بن محمد بن إسماعيل الملقب بالرضي.
 ٣. أحمد بن عبد الله الملقب بالوفي.
 ٤. الحسين بن أحمد الملقب بالتقي.
 ٥. عبيد الله المهدي بن الحسين.
 ٦. القائم.
 ٧. المنصور، وبه يتم الدور وبيتدأ دور آخر بالإمام المعز لدين الله.
- ولو قلنا بخروج الحسن عليه السلام لكونه إماماً مستودعاً لا مستقراً يتم الدور بمحمد بن إسماعيل. ويأتي الدور الجديد، وسيوافيك تفصيله في بيان أدوار الإمامة.

وعلى كل تقدير فالسبعة عندهم لها مكانة خاصة، فلا يتجاوز دور الأئمة في تمام مراحلها عن السبعة.

العاشرة: إن المذهب الإسماعيلي لم يظهر على مسرح الحياة بصورة مذهب مدون متكامل، وإنما أخذ بالتكامل عبر العصور، وفي ظل احتكاك الدعوة بأصحاب الحركات الباطنية أولاً، وأصحاب الفلسفات ثانياً. وقد ظهر في أول يوم

١. كشف الفوائد: ٣٠٣، المتن.

نشوئه بصورة عقيدة بسيطة، وهو أنّ الإمام بعد جعفر بن محمد ابنه إسماعيل، وأنّه لم يمت بل غاب ويظهر حتى يملك الأرض وهو القائم، وهذه هي الإسماعيلية المحضة، ولم يخالط هذه العقيدة شيء آخر.

نعم لما كان قبولها مخفوفاً بغموض، فرجع بعضهم عن حياة إسماعيل، وقالوا بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل لظنهم أنّ الإمامة كانت في أبيه، وإنّ الابن أحقّ بمقام الإمامة من الأخ.

والظاهر من الشيخ المفيد أنّ الفرقة الأولى انقرضت ولم يبق منهم من يوماً إليه والفرقة الباقية إلى اليوم هي الإسماعيلية غير الخالصة. ^(١) ثمّ صار المذهب الواحد مذاهب متشعبة ومختلفة. وقد كان للدعاة تأثير في نضوج العقيدة الإسماعيلية وتكاملها مع اختلاف بينهم في بعض الأصول فمثلاً الداعي النسفي (....-٣٣١هـ) وضع كتابه «المحصل» في فلسفة المذهب.

ثمّ جاء بعده أبو حاتم الرازي (٢٦٠-٣٢٢هـ) فوضع كتابه «الإصلاح» وخالف فيه أقوال من سبقه.

ثمّ جاء بعده أبو يعقوب السجستاني الذي كان حياً سنة (٣٦٠هـ) وكان أستاذاً للكرماني فانتصر للنسفي وخالف أبا حاتم.

ثمّ جاء الكرماني (٣٥٢-٤١١هـ) فألف كتاب «راحة العقل»، واستطاع أن يوفق بين آراء شيخه «السجستاني» وبين آراء «أبي حاتم الرازي».

أضف إلى ذلك أنّ تأويل الظواهر لا يعتمد على ضابطة فكل يؤوّلها على ذوقه وسليقته، فتجد بينهم خلافاً شديداً في المسائل التأويلية.

الحادية عشرة: الذي ظهر لي من التتبع في كتب الإسماعيلية أنّ الفرقة المستعلية القاطنين في اليمن والهند أقرب إلى الحقّ وعقائد جمهور المسلمين من

النزارية، فالطبقة الأولى متعبدون بالظواهر وتطبيق العمل على الشريعة بخلاف أغلب النزارية خصوصاً الدعاة المتأخرين منهم، فإنهم يواجهون الأحداث الطارئة والمستجدة بالتدخل في الشريعة^(١)، ويظهر ذلك من أبحاثنا الآتية.

وأخيراً فالمذهب الإسماعيلي اكتنفه غموض وأحاطه إبهام، فإصابة الحق في جميع المراحل أمر مشكل، نستعينه سبحانه أن يوفقنا لبيان الحق ويحفظنا عن العثرة أنه هو المجيب.

والذي يهم الباحث هو تبيين جذور المذهب وانه كيف نشأ؟ وهل كان هناك اتصال بين الإسماعيلية، والحركات الباطنية التي نشأت في عصر الصادق عليه السلام أو لا؟ وهذا هو الذي نطرحه على طاولة البحث في الفصل القادم بعد المرور على كلمات أصحاب المعاجم في حقهم.

الفصل الثاني

الإسماعيلية

في

معاجم الملل والنحل

إن للإسماعيلية ذكراً في كتب الملل والنحل لا يتجاوز عن ذكر تاريخ إمامهم الأول، إسماعيل بن جعفر الصادق، وشيء يسير عن عقيدتهم فيه، دون تبين عقائدهم وأصولهم التي يعتقدون بها، والأحكام والفروع التي يصدرون عنها، وكل أخذ عن الآخر، وربما زاد شيئاً، لا يُسمن ولا يغني من جوع، وإليك نصوصهم:

١. قال النوبختي: فلما توفي أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام افتقرت شيعته بعده إلى ست فرق - إلى أن قال: - وفرقة زعمت أن الإمام بعد جعفر بن محمد، ابنه إسماعيل بن جعفر، وأنكرت موت إسماعيل في حياة أبيه، وقالوا كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس، لأنه خاف فغيبه عنهم، وزعموا أن إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض، ويقوم بأمر الناس، وأنه هو القائم، لأن أباه أشار إليه بالإمامة بعده، وقلدهم ذلك له، وأخبرهم أنه صاحبه؛ والإمام لا يقول إلا الحق، فلما ظهر موته علمنا أنه قد صدق، وأنه القائم، وأنه لم يمت، وهذه الفرقة هي «الإسماعيلية» الخالصة. وأم إسماعيل وعبد الله ابني جعفر بن محمد عليه السلام فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأمها أم حبيب بنت عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمها أسماء بنت عقيل بن أبي طالب عليه السلام.

وفرقة ثالثة زعمت أن الإمام بعد جعفر بن محمد، محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأمّه أم ولد، وقالوا: إن الأمر كان لإسماعيل في حياة أبيه فلما توفي قبل أبيه جعل جعفر بن محمد الأمر لمحمد بن إسماعيل، وكان الحق له، ولا يجوز غير ذلك لأنها لا تنتقل من أخ إلى أخ بعد الحسن والحسين عليه السلام، ولا تكون إلا في

الأعقاب، ولم يكن لأخوي إسماعيل عبد الله وموسى في الإمامة حق، كما لم يكن لمحمد بن الحنفية حق مع علي بن الحسين؛ وأصحاب هذا القول يسمّون «المباركية» برئيس لهم كان يسمى (المبارك) مولى إسماعيل بن جعفر.^(١)

٢. قال الأشعري: والصف السابع عشر من الرافضة يزعمون أنّ جعفر بن محمد مات وأنّ الإمام بعد جعفر، ابنه (إسماعيل)، وأنكروا أن يكون إسماعيل مات في حياة أبيه، وقالوا: لا يموت حتى يملك، لأنّ أباه قد كان يخبر أنّه وصيّ والإمام بعده.

والصف الثامن عشر من الرافضة وهم «القرامطة» يزعمون أنّ النبي ﷺ نصّ على علي بن أبي طالب، وأنّ علياً نصّ على إمامة ابنه (الحسن)، وأنّ الحسن ابن علي نصّ على إمامة أخيه الحسين بن علي، وأنّ الحسين بن علي نصّ على إمامة ابنه علي بن الحسين، وأنّ علي بن الحسين نصّ على إمامة ابنه محمد بن علي، ونصّ محمد بن علي، على إمامة ابنه جعفر، ونصّ جعفر على إمامة ابنه محمد بن علي، وزعموا أنّ «محمد بن إسماعيل» حيّ إلى اليوم لم يموت ولا يموت حتى يملك الأرض، وأنّه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به، واحتجوا في ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم، يخبرون فيها أنّ سابع الأئمة قائمهم.

والصف التاسع عشر من الرافضة يسوقون الإمامة من علي بن أبي طالب على سبيل ما حكينا عن «القرامطة» حتى ينتهوا (بها) إلى جعفر بن محمد، ويزعمون أنّ جعفر بن محمد جعلها لإسماعيل ابنه، دون سائر ولده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه صارت في ابنه محمد بن إسماعيل، وهذا الصنف يدعون، «المباركية» نُسبوا إلى رئيس لهم يقال له (المبارك) وزعموا أنّ محمد بن إسماعيل قد

١. النوبختي: فرق الشيعة: ٦٦-٦٩، ولكلام النوبختي صلة سيوافيك عند التعرض لجذور المذهب الإسماعيلي.

مات، وأنها في ولده من بعده. (١)

٣. وقال البغدادي: الإسماعيلية وهؤلاء ساقوا الإمامة إلى جعفر، وزعموا أنّ الإمام بعده ابنه إسماعيل، وافترق هؤلاء فرقتين:

فرقة: منتظرة لإسماعيل بن جعفر؛ مع اتفاق أصحاب التواريخ على موت إسماعيل في حياة أبيه.

وفرقة قالت: كان الإمام بعد جعفر، سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر، حيث إنّ جعفرًا نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه، علمنا أنّه إنّما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل. (٢)

٤. وقال الاسفرائيني: وهم يزعمون أنّ الإمامة صارت من جعفر إلى ابنه إسماعيل، وكذبهم في هذه المقالة جميع أهل التواريخ، لما صح عندهم من موت إسماعيل قبل أبيه جعفر؛ وقوم من هذه الطائفة يقولون بإمامة محمد بن إسماعيل. وهذا مذهب الإسماعيلية من الباطنية. (٣)

٥. وقال الشهرستاني: الإسماعيلية الواقفية قالوا: إنّ الإمام بعد جعفر إسماعيل، نصّاً عليه باتفاق من أولاده، إلّا أنّهم اختلفوا في موته في حال حياة أبيه. فمنهم من قال: لم يمّت، إلّا أنّه أظهر موته تقيّة من خلفاء بني العباس، وعقد محضراً وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة.

ومنهم من قال: الموت صحيح، والنص لا يرجع قهقري، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيره. فالإمام بعد إسماعيل، محمد ابن إسماعيل؛ وهؤلاء يقال لهم «المباركية». ثمّ منهم من وقف على محمد بن

١. الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٢٢-٢٧، ولكلام الأشعري صلة سيوافيك بيانها في محله.

٢. البغدادي: الفرق بين الفرق: ٦٢.

٣. الاسفرائيني: التبصير: ٣٨.

إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته.

و منهم من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم، وهم «الباطنية».

وسنذكر مذاهبهم على الانفراد. وإنما مذهب هذه الفرقة الوقف على إسماعيل بن جعفر، ومحمد بن إسماعيل. والإسماعيلية المشهورة في الفرق منهم هم «الباطنية التعليمية» الذين لهم مقالة مفردة. (١)

٦. وقال المفيد: ولما مات إسماعيل عليه السلام انصرف القول عن إمامته من كان يظن ذلك، فاعتقده من أصحاب أبيه، وأقام على حياته شذمة لم تكن من خاصة أبيه، ولا من الرواة عنه، وكانوا من الأبعاد والأطراف.

فلما مات الصادق عليه السلام انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام، وافترق الباقرين، فريق منهم رجعوا عن حياة إسماعيل، وقالوا: بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل، لظنهم أنّ الإمامة كانت في أبيه، وأنّ الابن أحقّ بمقام الإمامة من الأخ.

وفريق ثبتوا على حياة إسماعيل، وهم اليوم شذاذ لا يعرف منهم أحد يومى إليه، وهذان الفريقان يسميان بالإسماعيلية، والمعروف منهم الآن من يزعم أنّ الإمامة بعد إسماعيل في ولده وولد ولده إلى آخر الزمان. (٢)

٧. وقال صاحب الأعيان: الإسماعيلية هم القائلون بإمامة إسماعيل هذا، ويدل كلام المفيد (الماضي) على أنّ هذا القول كان موجوداً من عصر الصادق عليه السلام، وأنّ شذمة اعتقدوا حياته، أو بعد موت أبيه بقى بعضهم على القول بحياة إسماعيل، وبعضهم قال: بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل، ولقب الإسماعيلية يعم الفريقين، وأنّ الموجود منهم في عصر المفيد من يزعم أنّ الإمامة بعد إسماعيل في

١. الشهرستاني: الملل والنحل: ١/١٦٧-١٦٨.

٢. المفيد: الإرشاد: ٢٨٥.

ولده وولد ولده إلى آخر الزمان.

و يقال الإسماعيلية «السبعية» أيضاً باعتبار مخالفتهم للاثني عشرية في الإمام السابع. وفرقة من الإسماعيلية تدعى الباطنية وكان لها ذكر مستفيض في التاريخ وصارت لها قوة، وشدة، ووقائع عدّة مع الملوك والأمراء، كما فصلته كتب التاريخ.

وفي أنساب السمعاني: «الفرقة الإسماعيلية جماعة من الباطنية ينتسبون إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، لانتساب زعيمهم المغربي إلى محمد بن إسماعيل. وفي كتاب الشجرة أنّه لم يعقب (انتهى). و «الإسماعيلية» اليوم فرقتان: إحداهما:

الآغاخانية

يسوقون الإمامة في ذرية إسماعيل، ويعدّون فيهم جملة من خلفاء مصر، حتى ينتهوا إلى محمد شاه (الآغاخان الثالث) الموجود اليوم في بمبيي، ويبعثون إليه بخمس أموالهم، ومنهم الذين بسلمية من بلاد حماة.

والفرقة الثانية: البهّرة

بضم الباء وسكون الهاء وفتح الراء، لفظ هندي، معناه الجدّ والعمل، وهم يسوقون الإمامة في ولد إسماعيل، حتى ينتهوا إلى شخص يقولون: إنّّه المهدي المنتظر، وإنّه غائب. ^(١)

١. الأولى أن يقال: هم يسوقون الإمامة بعد المستنصر، إلى المستعلي، فالأمر بأحكام الله، فالخافظ لدين الله، فالظافر لدين الله، فالظاهر بأمر الله، فالفائز، فالعاقد، عند ذلك دخلت الدعوة المستعلية في كهف الاستتار بل دخلت بعد وفاة الأمر بأحكام الله، وهؤلاء الأئمة الأربعة كانت دعاء، لأنّ الأمر بأحكام الله مات بلا عقب وربما يقال ولد له باسم الطيب، وثالثة بأنّ المولود كان أنثى.

أما الذي يطلقون عليه اسم سلطان البهرة فالظاهر أنه من قبيل النائب عن الإمام الغائب، ويبلغ عدد البهرة في الهند واليمن وغيرها نحو أربعمائة ألف، وهم أهل جدّ وكسب، ولا يوجد بينهم فقير، والفقير منهم يُوجدون له عملاً من تجارة أو غيرها يكتفي به، ولهم ملاجئ وتكايا عامة في البلاد التي يقصدونها للحج والزياره، في مكّة، والمدينة، والنجف، وكر بلاء، وغيرها. وهي مبانٍ تامة المرافق ينزلونها ولا يحتاجون إلى النزول في فندق أو خلافة، وهم متمسكون بشرائع الدين. وكان خلفاء مصر الفاطميون على مذهب الإسماعيلية، القائلين بانتقال الإمامة من الصادق عليه السلام إلى ولده إسماعيل، ثم في أولاده، وكانوا يقيمون شعائر الإسلام، ويحافظون على أحكامه، وما كان يذمهم أو بعضهم بعض المؤرّخين إلا للعداوة المذهبية، ولا يمكن التصديق بما ينسبه بعض المؤرّخين إلى بعضهم، بعد تأصل العداوة المذهبية في النفوس، كما أنّ جماعة من أهل هذا العصر يخلطون بين الفريقين جهلاً أو تجاهلاً. ^(١)



هذه الأقوال والآراء فيهم، توقفنا على أنّ القوم لم يكن لهم موقف واحد تجاه سوق الإمامة بعد وفاة الإمام الصادق عليه السلام.

فمنهم من أنكر الواضحات، وقال: بأنّ إسماعيل لم يمت، وإنّه القائم، وهذه هي الإسماعيلية الخالصة. ^(٢)

وأما اشهاد الإمام على موته فلم يكن إلاّ إظهاراً لموته تقيّة من خلفاء بني العباس، وأنّه عقد محضراً، وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة. ^(٣)

وهذه الطائفة لا تسوق الإمامة بعد إسماعيل إلى غيره، وإنّما تنتظر خروج

١. السيد الأمين: أعيان الشيعة: ٣/٣١٦.

٢. النوبختي: فرق الشيعة: ٦٠.

٣. الشهرستاني: الملل والنحل: ١/١٦٧.

قائمهم.

ومنهم من قال: إن موته صحيح، وإن الإمام الصادق لما نصّ على إمامته، والنص لا يرجع قهقري، ففائدة النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيرهم، فالإمام بعد إسماعيل، محمد بن إسماعيل، ثم إن هذه الطائفة على رأيين:

فمنهم: من وقف على محمد بن إسماعيل، وقال: برجعته بعد غيبته؛ وهؤلاء القرامطة.

ومنهم: من ساق الإمامة في المستورين منهم، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم.

وقد سبقت الإشارة إلى نص الشيخ المفيد، وأنه لا يعرف من الواقفين على إسماعيل، أو ابنه محمد المنتظرين لرجعته أحداً؛ والمعروف هو سوق الإمامة في ولد إسماعيل إلى آخر الزمان.

و سيوافيك الكلام في الأئمة المستورين والظاهرين إن شاء الله.

هذا ما وقفنا عليه في معاجم الملل والنحل وهو — كما ترى — لا يغني الباحث، فليس فيها شيء من أصولهم وعقائدهم، ولا من فروعهم، وثوراتهم، ودولهم، وحضارتهم، وكتبهم وآثارهم العلمية.

والمهم في المقام هو دراسة جذور المذهب وآنه كيف نشأ وهذا ما سنبحث عنه في الفصل القادم إن شاء الله.

الفصل الثالث

الحركات الباطنية

في

عصر الإمام الصادق عليه السلام

من المشاكل التي واجهت أئمة أهل البيت عليهم السلام هي الحركات الباطنية التي تزعمها الموالي والعناصر المستسلمة، المندسّة بين أصحاب أئمة أهل البيت عليهم السلام في عصر الصادقين عليهم السلام.

فقد سنحت الظروف للإمام الباقر والصادق عليهما السلام أن يؤسّسا جامعة إسلامية كبيرة دامت نصف قرن كان لها صدى كبير في العالم الإسلامي، فقاما بتربية نخبة من الفقهاء والمحدّثين والمفسّرين البارزين، وحفظا بذلك السنّة النبوية من الاندثار بعدما كان التحدّث بها وكتابتها أمراً محظوراً أو مكروهاً إلى عهد الخليفة العباسي المنصور الدوانيقي.

فأضحت تلك الجامعة شوكة في أعين خصومها، فقامت ثلة من العناصر الدخيلة بالانخراط في صفوف أصحاب الأئمة بغية التخريب والتضليل، وتشويه سمعة أئمة أهل البيت عليهم السلام أولاً، وهدم كيان الإسلام ثانياً. وقد شكّلت تلك العناصر فيما بعد اللبنة الأولى للحركات الباطنية التي جرّت الولايات على الإسلام والمسلمين، فاتخذ الإمام الصادق عليه السلام موقفاً حازماً أمامها تجنباً لأخطارها، فأعلن للملأ الإسلامي براءته من تلك الفئات المنحرفة عن الدين والإسلام وتكفيرها وأنّ عاقبتها النار.

و من جملة الذين أبدعوا الحركات الباطنية وأغروا جماعة من شيعة أئمة أهل البيت عليهم السلام هو محمد بن مقلاص المعروف بأبي الخطاب الأسدي، وزملاؤه، نظير: المغيرة بن سعيد، وبشار الشعيري وغيرهم، فقد تبرّأ منهم الإمام عليه السلام على رؤوس الأشهاد. وركز البحث هنا على رئيس الفرقة الباطنية، أعني: أبا زينب محمد بن مقلاص الأسدي.

ولعرض صورة صحيحة عن عقائد الخطابية، نأتي بنصوص علماء الفريقين ليتبين من خلالها جذور الدعوة الإسماعيلية، وأنها ليست سوى استمراراً لتلك الحركة الباطنية التي تزعمها أبو زينب:

١. الكشي والخطابية

إنّ الكشي أحد الرجالين الذي عاش في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع، ووضع كتابه في الرجال على أساس الروايات المروية عن أئمة أهل البيت في حق الرواة، فقال ما هذا نصّه:

١. روى أبو أسامة قال: قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام: «أؤخر المغرب حتى تستين النجوم؟ فقال: «خطابية؟! إنّ جبرئيل أنزلها على رسول الله صلى الله عليه وآله حين سقط القرص».

٢. كتب أبو عبد الله إلى أبي الخطاب: «بلغني أنّك تزعم أنّ الزنا رجل، وأنّ الخمر رجل، وأنّ الصلاة رجل، والصيام رجل، والفواحش رجل، وليس هو كما تقول، أنا أصل الحقّ وفروع الحقّ طاعة الله، وعدونا أصل الشرّ وفروعهم الفواحش، وكيف يطاع من لا يعرف وكيف يعرف من لا يطاع؟»

٣. قيل للإمام الصادق عليه السلام روي عنكم أنّ الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال، فقال: «ما كان الله عزّ وجلّ ليخاطب خلقه بما لا يعلمون».

٤. روى أبو بصير قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا محمد: أبرأ ممن يزعم أنا أرباب» قلت: برئ الله منه، فقال: «أبرأ ممن زعم أنّا أنبياء» قلت: برئ الله منه.

٥. روى عبد الصمد بن بشير عن مصادف قال: ما لبّى القوم الذين لبّوا بالكوفة - أي قالوا: لبيك جعفر، وهؤلاء هم الغلاة فيه - دخلت عليّ أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بذلك، فخرّ ساجداً ودقّ جوجؤه بالأرض وبكى - إلى أن قال:- فندمت على إخباري إيّاه، فقلت: جعلت فداك وما عليك أنت من ذا، فقال:

«إن عيسى لو سكت عما قالت النصارى فيه لكان حقاً على الله أن يصم سمعه ويعمي بصره، ولو سكت عما قال في أبو الخطاب لكان حقاً على الله أن يصم سمعي ويعمي بصري».

٦. روى علي بن حسان عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله، قال: ذكر عنده جعفر بن واقد ونفر من أصحاب أبي الخطاب فقيل أنه صار إلى بروج، وقال فيهم وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله قال هو الإمام، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «لا والله لا يأويني وإياه سقف بيت أبداً، هم شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا، والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيئاً قط، وإن عزيزاً جال في صدره ما قالت اليهود فمحا الله اسمه من النبوة».

٧. روى الحسن الوشاء عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: «من قال بأننا أنبياء الله، فعليه لعنة الله».

٨. روى ابن مسكان عمّن حدّثه عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: سمعته يقول: «لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا».

٩. عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي عبد الله: إن قوماً يزعمون أنكم آلهة يتلون علينا بذلك قرآناً: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم، قال: «يا سدير سمعي وبصري وشعري وبشري ولحمي ودمي من هؤلاء براء، برئ الله منهم ورسوله ما هؤلاء على ديني ودين آبائي».^(١) فلما نهض أبو الخطاب بدعوته الفاسدة، ووصلت إلى مسامع عامل الخليفة دعا عيسى بن موسى للقضاء عليها واجتثاث جذورها.

١. الروايات مأخوذة من رجال الكشي: ٢٤٦-٢٦٠، مؤسسة الأعلمي، بيروت. ولاحظ الوسائل، الجزء ٣ الباب ١٨ من أبواب المواقيت، فقد جاءت فيه روايات تدم عمل أبي الخطاب وتحذر الشيعة من اتباعه.

١٠. كان سالم من أصحاب أبي الخطاب، وكان في المسجد يوم بعث عيسى ابن موسى بن علي بن عبد الله بن العباس - وكان عامل المنصور على الكوفة - إلى أبي الخطاب لما بلغه أنهم أظهروا الإباحات، ودعوا الناس إلى نبوة أبي الخطاب، واتهم يجتمعون في المسجد ولزموا الأساطين يرون الناس اتهم قد لزموها للعبادة، وبعث إليهم رجلاً فقتلهم جميعاً لم يفلت منهم إلا رجل واحد أصابته جراحات فسقط بين القتلى يعدّ فيهم، فلما جتّه الليل خرج من بينهم فتخلص، وهو أبو سلمة سالم بن مكرم الجمال الملقب بأبي خديجة. ^(١)

هذه نصوص عشرة توقفك على جلية الحال، وإنّ الحركة الباطنية أسست بيد الخطابية، وسيظهر أنّ أتباع أبي زينب تحولوا فيما بعد إلى جانب محمد بن إسماعيل ووجدوه مرتعاً خصباً، عندها تألقت نجم ابن إسماعيل بعد انتمائهم له.

هذه الروايات التي رواها الكشي تعرب عن وجود القول بالإلهوية والمقامات الغيبية للأئمة حتى أنّ الحلول في الأئمة كان من نتاج أفكار أبي زينب وأصحابه في أواسط القرن الثاني، حتى طردهم الإمام الصادق ولعنهم وتبرأ منهم، ونهى أصحابه عن مخالطتهم.

٢. الأشعري والخطابية

وليس الكشي ممن انفرد في نقل تلك العقائد، فقد نسبها إليهم الأشعري أيضاً في «مقالات الإسلاميين» وذكر ما هذا نصه:

الخطابية على خمس فرق: كلهم يزعمون أنّ الأئمة أنبياء محدّثون، ورسّل الله وحججه على خلقه لا يزال منهم رسولان: واحد ناطق والآخر صامت، فالناطق محمد ﷺ والصامت علي بن أبي طالب، فهم في الأرض اليوم طاعتهم مفترضة على جميع الخلق، يعلمون ما كان، وما هو كائن، وزعموا أنّ أبا الخطاب نبي، وإنّ

١. رجال الكشي: ٣٠١. وقد اقتصرنا من الكثير بالقليل، ومن أراد التفصيل فليرجع إليه.

أولئك الرسل فرضوا عليهم طاعة أبي الخطاب، وقالوا: الأئمة آلهة، وقالوا في أنفسهم مثل ذلك، وقالوا: ولد الحسين أبناء الله وأحباؤه، ثم قالوا ذلك في أنفسهم، وتأولوا قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(١) قالوا: فهو آدم ونحن ولده، وعبدوا أبا الخطاب وزعموا أنه إله، وزعموا أن جعفر بن محمد إلههم أيضاً إلا أن أبا الخطاب أعظم منه، وأعظم من عليّ، وخرج أبو الخطاب على أبي جعفر فقتله عيسى بن موسى في سبخة الكوفة، وهم يتدينون بشهادة الزور لموافقهم.

والفرقة الثانية من «الخطابية»: وهي الفرقة السابعة من الغالية يزعمون أن الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال له «معمر» وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب، وزعموا أن الدنيا لا تفنى، وأن الجنة ما يصيب الناس من الخير والنعمة والعافية، وأن النار ما يصيب الناس من خلاف ذلك، وقالوا بالتناسخ، واتهم لا يموتون، ولكن يرفعون بأبدانهم إلى الملكوت، وتوضع للناس أجساد شبه أجسادهم، واستحلوا الخمر والزنا واستحلوا سائر المحرمات، ودانوا بترك الصلاة، وهم يسمّون «المعمرية» ويقال اتهم يسمّون «العمومية».

والفرقة الثالثة من «الخطابية»: وهي الثامنة من الغالية يقال لهم «البريغية» أصحاب «بريغ بن موسى» يزعمون أن جعفر بن محمد هو الله، وأنه ليس بالذي يرون، وأنه تشبّه للناس بهذه الصورة، وزعموا أن كل ما يحدث في قلوبهم وحي، وأن كل مؤمن يوحى إليه وتأولوا في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢) أي بوحى من الله، وقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(٣) . إذ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ^(٤)، وزعموا أن منهم من هو خير من جبريل وميكائيل

١. ص: ٧٢.

٢. آل عمران: ١٤٥.

٣. النحل: ٦٨.

٤. المائدة: ١١١.

ومحمد، وزعموا أنه لا يموتُ منهم أحد، وأنَّ أحدهم إذا بلغت عبادته رُفِع إلى الملكوت، وادَّعوا معاينة أمواتهم، وزعموا أنَّهم يرونهم بكرة وعشية.

والفرقة الرابعة من «الخطابية»: وهي التاسعة من الغالية يقال لهم «العميرية» أصحاب «عمير بن بيان العجلي» وهذه الفرقة تكذَّب من قال منهم أنَّهم لا يموتون، ويزعمون أنَّهم يموتون، ولا يزال خلف منهم في الأرض أئمة أنبياء، وعبدوا جعفرًا كما عبده «اليعمريون»، وزعموا أنَّه ربهم، وقد كانوا ضربوا خيمة في كناسة الكوفة، ثم اجتمعوا إلى عبادة جعفر، فأخذ يزيد بن عمر ابن هبيرة، «عمير بن البيان» فقتله في الكناسة، وحبس بعضهم.

والفرقة الخامسة من «الخطابية»: وهي العاشرة من الغالية يقال لهم «المفضلية» لأنَّ رئيسهم كان صيرفيًا يقال له «المفضل» يقولون بربوبية جعفر، كما قال غيرهم من أصناف الخطابية، وانتحلوا النبوة والرسالة وإنَّما خالفوا في البراءة من «أبي الخطاب» لأنَّ جعفرًا أظهر البراءة منه. ^(١)

٣. النوبختي والخطابية

وقد ذكر النوبختي فرقههم، وأضاف: إنَّ الخطابية هم الذين خرجوا في حياة أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فحاربوا عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس، وكان عاملاً على الكوفة، فبلغه عنهم أنَّهم أظهروا الإباحات، ودعوا إلى نبوة أبي الخطاب، وأنَّهم مجتمعون في مسجد الكوفة، فبعث إليه فحاربوه وامتنعوا عليه، وكانوا سبعين رجلاً، فقتلهم جميعاً، فلم يفلت منهم إلا رجل واحد أصابته حراحت فعدَّ في القتلى، فتخلَّص، وهو أبو سلمة سالم بن مكرم الجمال الملقَّب بأبي خديجة وكان يزعم أنَّه مات فرجع، فحاربوا عيسى محاربة شديدة بالحجارة والقصب والسكاكين، لأنَّهم جعلوا القصب مكان الرماح.

وقد كان أبو الخطاب قال لهم: قاتلوهم فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح والسيوف، ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم لا تضرّكم ولا تحلّ فيكم، فقدمهم عشرة عشرة للمحاربة، فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلاً، قالوا له: ما ترى ما يجعل بنا من القوم وما نرى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر، وقد عمل سلاحهم فينا وقُتل من ترى منهم، فذكر لهم ما رواه العامة أنه قال لهم: إن كان قد بدا الله فيكم فيما ذنبي، وقال لهم ما رواه الشيعة: يا قوم قد بُليتكم وامتحتتم وأُذن في قتلكم، فقاتلوا على دينكم وأحسابكم، ولا تعطوا بلدتكم، فتدلّوا مع أنكم لا تتخلصون من القتل فموتوا كراماً، فقاتلوا حتى قُتلوا عن آخرهم، وأسر أبو الخطاب فأُتي به عيسى بن موسى فقتله في دار الرزق على شاطئ الفرات، وصلب مع جماعة منهم، ثم أمر بإحراقه فأحرقوا، وبعث برؤوسهم إلى المنصور فصلبها على باب مدينة بغداد ثلاثة أيام، ثم أُحرق. ^(١)

٤. الطبري والحركات الباطنية

يظهر ممّا رواه الطبري في تاريخه وابن الجوزي في منتظمه تفشّي هذا النوع من الإلحاد عند غير الخطائية أيضاً، وإليك نص ابن الجوزي في هذا المقام:

خروج الراوندية، وهم قوم من أهل خراسان كانوا على رأي أبي مسلم، إلا أنهم يقولون بتناسخ الأرواح، ويدّعون أنّ روح آدم عليه السلام في عثمان بن نبيك، وأنّ ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور، وأنّ الهيثم بن معاوية جبرائيل.

وهؤلاء طائفة من الباطنية يسمّون السبعية يقولون: الأرضون سبع، والسموات سبع، والأسبوع سبعة يدل على أنّ دور الأئمّة يتم بسبعة. فعدوا: العباس، ثم ابنه عبد الله، ثم ابنه علي، ثم محمد بن علي، ثم إبراهيم، ثم السفاح،

١. النوبختي: فرق الشيعة: ٦٩-٧٠.

ثم المنصور، فقالوا: هو السابع. وكانوا يطوفون حول قصر المنصور ويقولون: هذا قصر ربنا.

فأرسل المنصور، فحبس منهم مائتين - وكانوا ستمائة - فغضب أصحابهم الباقون ودخلوا السجن، فأخرجوهم وقصدوا نحو المنصور، فتنادى الناس، وغلقت أبواب المدينة، وخرج المنصور ماشياً ولم يكن عنده دابة، فمن ذلك الوقت ارتبط فرساً، فسمى: فرس النوبة، يكون معه في قصره، فأتى بدابة فركبها وجاء معن بن زائدة فرمى بنفسه وقال: أنشدك الله يا أمير المؤمنين إلاً رجعت، فإني أخاف عليك. فلم يقبل وخرج، فاجتمع إليه الناس، وجاء عثمان بن نهيك فكلمهم، فرموه بنشابة وكانت سبب هلاكه، ثم حمل الناس عليهم فقتلوهم، وكان ذلك في المدينة الهاشمية بالكوفة في سنة إحدى وأربعين.^(١)

تحول الخطابية إلى الإسماعيلية

إنّ الخطابية بعد قتل زعيمهم توجهوا إلى محمد بن إسماعيل، وقد كان بعض الضالين يؤم والده إسماعيل بن جعفر، ولكن الإمام الصادق عليه السلام آيسه من إضلاله.

روى الكشي عن حماد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله يقول للمفضل بن عمر الجعفي: «يا كافر، يا مشرك مالك ولإبني» - يعني: إسماعيل بن جعفر - وكان منقطعاً إليه يقول فيه مع الخطابية، ثم رجع عنه.^(٢)

والذي يدل على أنّ المذهب الإسماعيلي نشأ وترعرع في أحضان الخطابية، وإن لم يتبنئ كل ما تبنته الخطابية، هي النصوص التاريخية التي ستلوها عليك واحداً تلو الآخر:

١. ابن الجوزي: المنتظم: ٢٩/٨ - ٣٠، تاريخ الطبري: ٦/١٤٧ - ١٤٨.

٢. الكشي: الرجال: ٣٢١ برقم ٥٨١، في ترجمة المفضل بن عمر.

١. قال النوبختي: ثم خرج - بعد قتل أبي الخطاب - من قال بمقالته من أهل الكوفة وغيرهم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر بعد قتل أبي الخطاب، فقالوا بإمامته وأقاموا عليها.

و صنوف الغالية افرقوا بعده على مقالات كثيرة، إلى أن قال: فقالت فرقة منهم إن روح جعفر بن محمد جعلت في أبي الخطاب، ثم تحولت بعد غيبة أبي الخطاب في محمد بن إسماعيل بن جعفر وتشعبت منهم فرقة من المباركية ممن قال بهذه المقالة تسمى القرامطة. ^(١)

٢. إن تقسيم الإمام إلى صامت وناطق من صميم عقائد الإسماعيلية، ونرى نفس ذلك التقسيم لدى الخطابية، وقد مر تصريح الأشعري بذلك حينها قال: منهم رسولان: واحد ناطق، والآخر صامت؛ فالناطق محمد، والصامت علي ابن أبي طالب. ^(٢)

و يذكر ذلك التقسيم أيضاً البغدادي عند ذكره للخطابية حيث قال: وأتباعه كانوا يقولون ينبغي أن يكون في كل وقت إمام ناطق وآخر ساكت، والأئمة يكونون آلهة، ويعرفون الغيب، ويقولون إن علياً في وقت النبي صامتاً، وكان النبي صلى الله عليه وآله ناطقاً، ثم صار علي بعده ناطقاً. وهكذا يقولون في الأئمة بعد أن انتهى الأمر إلى جعفر، وكان أبو الخطاب في وقته إماماً صامتاً وصار بعده ناطقاً. ^(٣)

٣. قال المقرئزي: إن أتباع أبي الخطاب متفقون على أن الأئمة مثل علي وأولاده كلهم أنبياء، وإنه لا بد من رسولين لكل أمة أحدهما ناطق والآخر صامت،

١. النوبختي: فرق الشيعة: ٧١.

٢. مقالات الإسلاميين: ١٠.

٣. البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٤٧-٢٤٨.

فكان محمد ناطقاً وعلي صامتاً، وإن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كان نبياً، ثم انتقلت النبوة إلى أبي الخطاب. ^(١)

٤. قد وقفت على ما نقلناه عن الكشي من أن الخطابية كانت تؤول الآيات إلى مفاهيم غير مفهومة من ظواهر الآيات، حتى أنه أول الخمر والميسر والأنصاب والأزلام بأتمها رجال، فلما بلغ التأويل إلى الإمام الصادق عليه السلام فقال ردأ عليه: «ما كان الله عز وجل ليخاطب خلقه به إلا يعلمون». ^(٢)

ومن الواضح أن الإسماعيلية وضعت لكل ظاهر باطناً، واتخذت من التأويل ركناً أساسياً لها.

كما وذكر الشهرستاني والمقريزي شيئاً من تأويلات الخطابية. ^(٣)

قال الشهرستاني: زعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة، وقال بإلهية جعفر بن محمد وإلهية آبائه وهم أبناء الله وأحباؤه. وإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار. وزعم أن جعفرأ هو الإله في زمانه، وليس هو المحسوس الذي يرونه، ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها، ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته، قتله بسبخة الكوفة. ^(٤)

وقد عرفت أيضاً شيئاً من تأويلاتهم في كلام الكشي.

و من خلال استعراض تلك النصوص نخرج بهذه النتيجة أنّ حقيقة التطرف المشاهد في المذهب الإسماعيلي طرأت عليه من قبل أصحاب أبي الخطاب الذين استغلوا إمامة محمد بن إسماعيل لبث آرائهم.

١. المقريزي: الخطط: ٢/٣٥٢.

٢. الكشي: ترجمة ابن الخطاب، برقم ١٣٥.

٣ و٤. الشهرستاني: الملل والنحل: ١/١٥٩؛ المقريزي: الخطط: ٢/٢٥٢.

إنّ للمذهب الإسماعيلي دعائم ثلاث:

الأول: التمسك بالتأويل، والقول بأنّ لكلّ ظاهر باطناً.

الثاني: أخذ الفلسفة اليونانية، بأبعادها المختلفة في الإلهيات والطبيعيات والفلكيات سناداً وعماداً للمذهب كما سيظهر.

الثالث: الغلو في حقّ أئمتهم وتزويدهم بصلاحيات واختصاصات واسعة لا دليل عليها من العقل ولا الشرع. ^(١)

فخرجنا بهذه النتيجة: أنّ الإسماعيلية كانت فرقة واحدة، فانشقت إلى: قرامطة ودروز، وبهرة، ونزارية وسيوافيك تفصيلها في الفصول الآتية.

١. تقدّم الكلام في ذلك تفصيلاً في الفصل الأول.

الفصل الرابع

عبد الله بن ميمون القداح

إسماعيلي أو اثنا عشري ؟

إنَّ عبد الله بن ميمون القدّاح (١٩٠-٢٧٠هـ) من أقطاب الدعوة الإسماعيلية، و سيوافيك نصوص الرجاليين في حقّه، غير أنّا نركز في هذا المقام على أنّ عبد الله بن ميمون الإسماعيلي غير عبد الله بن ميمون الاثنى عشري، فهما شخصان، لا شخص واحد، فنقول:

إنَّ عبد الله بن ميمون القدّاح أحد رواة الشيعة، المعروفين بالوثاقة، وقد روى زهاء ستين رواية عن أئمة أهل البيت في مختلف الأبواب الفقهية، فتارة عن الصادق عليه السلام مباشرة، وأخرى عن الباقر وعلي بن أبي طالب بالواسطة، ولم نر في كتب الرجال الشيعية أي غموض في سيرته إلاّ الشيء اليسير من اتهامه بالتزيّد.

وأما أبوه فقد صحب أئمة ثلاثة هم: زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام و الإمام الباقر محمد بن علي عليهما السلام والإمام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، ولم يذكر له توثيق.

هذا من جانب ومن جانب آخر محدّثنا كتاب المقالات أنّ عبد الله بن ميمون القدّاح وأبوه قد انضمّا إلى الحركة الباطنية وتحركّا في رقعة كبيرة من العالم الإسلامي بين الكوفة والمغرب.

كلُّ ذلك ممّا يجعل الباحث في حيرة من أمرهما، ولكن الحقّ أنّ ما ذكرته كتب الرجال عن شخصية عبد الله بن ميمون وأبيه تختلف ماهويّة عمّا ذكره أصحاب المقالات له ولأبيه، وإنّما حصل الخلط للاشتراك في التسمية، ولا يتجلّى ذلك بوضوح إلاّ بعد الوقوف على نصوص كلّ منها.

إنّ مقارنة النصوص للدليل واضح على تعدد المسمّيين ولذا نذكر نصوص الرجاليين من الشيعة أولاً.

عبد الله بن ميمون الإمامي في كتب الرجال

قال البرقي في فصل أصحاب الإمام الصادق عليه السلام: عبد الله بن ميمون القداح، مولى بني مخزوم، كان يبري القداح. ^(١)

وقال الكشي: عبد الله بن ميمون القداح المكي، قال حدثني حمدويه، عن أيوب بن نوح، عن جعفر بن يحيى، عن أبي خالد، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا ابن ميمون كم أنتم بمكة؟» قلت: نحن أربعة، قال: «أما إنكم نور في ظلمات الأرض». ^(٢)

وقال النجاشي: عبد الله بن ميمون بن الأسود القداح مولى بني مخزوم يبري القداح، روى أبوه عن: أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، وروى هو عن أبي عبد الله عليه السلام، وكان ثقة. له كتب، منها: كتاب «مبعث النبي صلى الله عليه وآله وأخباره»، وكتاب «صفة الجنة والنار» ثم ذكر سنده إلى كتبه. ^(٣)

وقال الشيخ الطوسي: عبد الله بن ميمون القداح له كتاب، ثم ذكر سنده إلى كتابه. ^(٤)

وقال الشيخ أيضاً: عبد الله بن ميمون القداح المكي، كان يبري القداح، مولى بني مخزوم. ^(٥)

وذكر أباه في أصحاب علي بن الحسين عليهما السلام ^(٦) وذكره أيضاً في أصحاب

١. رجال البرقي: ٢٢، طبعة جامعة طهران.

٢. الكشي: الرجال: برقم ١٢٤، وقد أتى بنفس النص تحت رقم ٢٤٧.

٣. النجاشي: الرجال: برقم ٥٥٥.

٤. الطوسي: الفهرست: ١٢٩ برقم ٤٤٣.

٥. الفهرست: أصحاب الإمام الصادق، باب العين برقم ٤٠.

٦. الرجال: أصحاب علي بن الحسين، باب الميم، برقم ١٠.

الإمام الباقر، وقال: ميمون القداح مولى بني مخزوم مكّي. (١)

هذا ما في كتب الشيعة، وأما الكتب الرجالية لأهل السنة، فقد ذكره ابن حجر في «تهذيب التهذيب» وقال: عبد الله بن ميمون بن داود القداح المخزومي، مولاهم المكّي.

روى عن: جعفر بن محمد، وإسماعيل بن أميّة، ويحيى بن الأنصاري، وعثمان بن الأسود وغيرهم. (٢)

وقال في «تقريب التهذيب»: عبد الله بن ميمون بن داود القداح المخزومي، المكّي، متروك من الثامنة. (٣)

وتتلخّص مواصفاته التي ذكرت في الكتب الرجالية بالأمر التالية:

الأول: اسمه ونسبه: وهو عبد الله بن ميمون بن الأسود أو ابن داود.

الثاني: الوطن: فهو مكّي من بني مخزوم، وقد عرفت عن الكشي أنّ أبا جعفر الباقر عليه السلام قال له: يا بن ميمون كم أنتم بمكة؟

الثالث: الولاء: أنّه مخزومي ولأئ كما قال النجاشي: مولى بني مخزوم. ومثله الشيخ في الفهرست.

الرابع: العصر: فقد عاصر والده الأئمّة الثلاثة: زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق عليهم السلام.

وأما الولد فقد عاصر الإمامين: الباقر والصادق عليهم السلام وروى عنهما، كما في رواية الكشي أنّ أبا جعفر، قال: «يا بن ميمون كم أنتم بمكة؟».

١. المصدر السابق: أصحاب الإمام الباقر، باب الجيم، برقم ١٣.

٢. ابن حجر: تهذيب التهذيب: ٤٩/٦، وقد سمّي جدّه «داود»، خلافاً للنجاشي حيث سمّاه «الأسود».

٣. ابن حجر: تقريب التهذيب: ٤٥٥/١، برقم ٦٧٩.

وما في رجال النجاشي من أنه روى عن أبي عبد الله محمول على كثرة رواياته عن أبي عبد الله وقتلته عن أبي جعفر، وإلا فقد عرفت نقل الكشي روايته عن أبي جعفر مباشرة إلا أن يقال بسقوط الوساطة عن قلم الكشي.

وبما أن الوالد صحب الأئمة الثلاثة:

١. الإمام زين العابدين عليه السلام (م ٩٤).

٢. الإمام الباقر عليه السلام (م ١١٤).

٣. الإمام الصادق عليه السلام (م ١٤٨).

و الولد صحب الإمام الباقر والصادق عليه السلام فقط ، ولم يرو شيئاً عن الإمام الكاظم عليه السلام ، وطبيعة الحال تقتضي أن الوالد توفي في حياة الإمام الصادق عليه السلام وتوفي الولد أواخر إمامته أو بعدها بقليل.

ويؤيد ذلك: أن أبا عبد الله البرقي والد صاحب المحاسن، وأحمد بن محمد ابن عيسى الأشعري كلاهما ^(١) ممن لقيا الرضا عليه السلام مع أنهما يرويان عن عبد الله بن ميمون بواسطة جعفر بن محمد بن عبيد الله ، فيكون عبد الله ، متأخراً عن جعفر ومعاصراً لتلامذة الإمام الصادق.

الخامس: وجه التلقب: فقدلقب بـ «القداح»، لأنه كان يبري القداح.

عبد الله بن ميمون الإسماعيلي

و إليك بيان ما يذكره أصحاب المقالات والمؤرخون حوله:

١. قال البغدادي في «الفرق بين الفرق»:

قال أصحاب المقالات إن الذين أسسوا دعوة الباطنية جماعة: منهم

١. لاحظ رجال النجاشي: برقم ٥٥٥، وفهرست الشيخ، أصحاب الإمام الصادق، باب العين، برقم

«ميمون بن ديسان» المعروف بالقداح، وكان مولى لجعفر بن محمد الصادق، وكان من الأهواز، ومنهم: محمد بن الحسين الملقب بدندان، اجتمعوا كلهم مع ميمون ابن ديسان في سجن والي العراق، فأسسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية، ثم ظهرت دعوتهم بعد خلاصهم من السجن من جهة المعروف بدندان، وابتدأ بالدعوة في ناحية توز.

فدخل في دينه جماعة من أكراد الجبل مع أهل الجبل المعروف بالبدين، ثم رحل ميمون بن ديسان إلى ناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب وزعم أنه من نسله، فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية منهم ادّعى أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فقبل الأغبياء ذلك منه على جهل منهم بأنّ محمد بن إسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب عند علماء الأنساب.^(١)

٢. قال ابن النديم: إنّ عبد الله بن ميمون - ويعرف ميمون بالقداح - وكان من أهل قوزح العباس بقرب مدينة الأهواز، وأبوه ميمون الذي تنسب إليه الفرقة الميمونية التي أظهرت اتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الذي دعا إلى إلهية علي بن أبي طالب، وكان ميمون وابنه ديسانين، وادّعى عبد الله أنه نبي مدة طويلة، وكان يظهر الشعابيد، ويذكر أنّ الأرض تطوى له فيمضي إلى أين أحب في أقرب مدة، وكان يخبر بالأحداث الكائنات في البلدان الشاسعة، وكان له مرتبون في مواضع يرغبهم ويحسن إليهم ويعاونونه على نواميسه ومعهم طيور يطلقونها من المواضع المتفرقة إلى الموضع الذي فيه بيت عبد الله، فيخبر من حضره بما يكون فيتمّوه ذلك عليهم.

إلى أن قال: وصار إلى البصرة فنزل على قوم من أولاد عقيل بن أبي طالب، فكبس هناك، فهرب إلى سلمية بقرب حمص.

إلى أن قال: قد كان قبل بني القداح قريب مَن يتعصب للمجوس ودولتها، وكان مَن واطأ عبد الله أمره رجل يعرف بمحمد بن الحسين ويلقب بزيدان من ناحية الكرخ من كتاب أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف، وكان هذا الرجل متفلسفاً، حاذقاً بعلم النجوم، شعوبياً، شديد الغيظ من دولة الإسلام.^(١)

٣. قال ابن الأثير: فلما يئس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة أخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بأمر قد ضبطها المحذثون وأفسدوا الصحيح بالتأويل. فكان أول من فعل ذلك: أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد، وأبو شاكر بن ديصان صاحب كتاب الميزان في نصره الزندقة وغيرهما، فألقوا إلى من وثقوا به أن لكل شيء من العبادات باطناً، وأن الله تعالى لم يوجب على أوليائه ومن عرف الأئمة والأبواب صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك ولا حرم عليهم شيئاً وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات، وإنما هذه قيود للعامة ساقطة عن الخاصة.

وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة، وتفرق أصحابهم في البلاد، وأظهروا الزهد والعبادة يغرون الناس بذلك وهم على خلافه، فقتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة.

إلى أن قال: ونشأ لابن ديصان (أبو شاكر ميمون بن ديصان) ابن يقال له عبد الله القداح علمه الحيل وأطلععه على أسرار هذه النحلة فحذق وتقدم، إلى أن قال: وإنما لقب القداح لأنه كان يعالج العيون ويقدها، فلما توفي القداح (عبد الله) قام بعده ابنه أحمد مقامه، إلى آخر ما ذكر.^(٢)

وإليك مواصفات الرجل حسب ما ذكره البغدادي، وغيره من المؤرخين فهي تختلف عما تعرفت عليه في الأول.

١. ابن النديم: الفهرست: ٢٧٨-٢٨١، نقله عن أبي عبد الله بن الرزاق وتبراً من صدق ما نقله وكذبه.

٢. الجزري: الكامل: ٢٧/٨-٢٩.

الأول: اسمه ونسبه: عبد الله بن ميمون بن ديصان.

الثاني: الوطن: كان من الأهواز أو من الكوفة، فإنّ محمد بن أبي زينب وأتباعه كانوا كوفيين. (١)

الثالث: الولاء: كان مولياً لجعفر بن محمد الصادق، والظاهر أنّ مراده هو حبه له.

الرابع: العصر: فالرجل حسب ما يذكره البغدادي ممّن ذهب لناحية المغرب وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب هذا من جانب، ومن جانب نرئى أنّ الأئمة الإسماعيلية توجهوا إلى المغرب في أواسط القرن الثالث، لأنّ الإمام المستور الحسين بن أحمد (٢١٩-٢٦٥هـ) التقى بالنجف الأشرف بالداعي أبي قاسم حسن بن فرح بن حوشب وعلي بن الفضل فأثر فيهما وأحضرهما إلى سلمية، ثمّ جهّزهما بعد ذلك إلى اليمن، وفي عهده تمّ إرسال أبي عبد الله الشيعي إلى المغرب. (٢)

فيعلم من خلالها أنّ التمهيد لبسط نفوذهم في المغرب بدأ في أواسط القرن الثالث وإنّ ميمون بن ديصان الوالد قصدها في تلك الآونة وقد أرخ الكاتب الإسماعيلي مصطفى غالب في تقديمه لكتاب كنز الولد أنّ عبد الله بن ميمون القداح ولد سنة ١٩٠هـ وتوفي سنة ٢٧٠هـ (٣)، فأين هو من عبد الله بن ميمون المعدود من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام، الذي توفي في أواسط القرن الثاني؟!
الخامس: وجه التلقب: أنّه كان يقده العيون.

أضف إلى ذلك أنّه من البعيد أن يروي المشايخ الكبار، كجعفر بن محمد الأشعري، والحسن بن علي بن فضال، وأحمد بن إسحاق بن سعد، وحمّاد بن عيسى، وعبد الله بن المغيرة عمّن خدم الإسماعيلية وتأمّر على الإمامية الاثني

١. الجزري: الكامل: ٨/ ٣٠.

٢. الجزري: الكامل: ٨/ ٢٨.

٣. كنز الولد: ١٩، المقدّمة.

عشرية، ولو افترضنا أنهم أخذوا منه الرواية حين استقامته، لصرحوا به.

و عن حَقِّق هذا الأمر تفصيلاً صاحب أعيان الشيعة، فلاحظ. (١)

لعب عبد الله بن ميمون القَدَّاح دوراً هاماً في نشر أفكار الخطابية وبثها في أتباع محمد بن إسماعيل، وكان حلقة وصل بين الخطابية والإسماعيلية، وأخيراً التحق بالإمام محمد بن إسماعيل وصار من دعواته، وكل الآفات التي أصابت العقيدة الإسماعيلية تعود إليه وإلى زميله محمد بن الحسين الملقب بـ«دندان».

ويشهد كثير من النصوص التاريخية على ذلك، نكتفي منها بالقليل.

يقول ابن الأثير: يأس أعداء الإسلام من استئصاله بالقوة فأخذوا في وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك ضعفة العقول في دينهم بأمر قد ضبطها المحدثون، وأفسدوا الصحيح بالتأويل والطعن عليه.

فكان أوّل من فعل ذلك أبو الخطاب محمد بن أبي زينب مولى بني أسد، وأبو شاکر ميمون بن ديسان صاحب كتاب «الميزان» فألقوا إلى من وثقوا به أنّ لكل شيء من العبادات باطناً، وإنّ الله تعالى لم يوجب على أوليائه ولا من عرف الأئمة والأبواب، صلاة ولا زكاة ولا غير ذلك، ولا حرّم عليهم شيئاً وأباحوا لهم نكاح الأمهات والأخوات، وإنّما هذه قيود للامة ساقطة عن الخاصّة.

وكانوا يظهرون التشيع لآل النبي ﷺ ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة، وتفرّق أصحابهم في البلاد، فقتل أبو الخطاب وجماعة من أصحابه بالكوفة.

ونشأ لابن ديسان ابن يقال له عبد الله القَدَّاح، علّمه الحيل وأطلعه على أسرار هذه النحلة. وكان بنواحي كرخ واصفهان رجل يعرف بمحمد بن الحسين ويلقب بـ«دندان» فسار إليه القَدَّاح وعرفه من ذلك ما زاد به محلّه. (٢)

١. الأمين: أعيان الشيعة ٨/ ٨٤، وفي الذيل: أنّ الترجمة ممّا لم يكتبها المؤلف وإنّما استدرکها الشيخ

محمد مهدي شمس الدين.

٢. ابن الأثير: الكامل: ٨/ ٢٨-٢٩، حوادث عام ٢٩٦.

و من طالع تاريخ الإسماعيلية و كتبهم يقف على أنّ لأبي عبد الله بن ميمون القدّاح و ربيبه القدح المعلّى في صياغة العقيدة الإسماعيلية.

فقد خرجنا بهذه النتيجة أنّ الخطابية و على حسب تعبير النوبختي «المباركية» هم جذور الإسماعيلية و أنّ ميمون بن ديسان، ثمّ ابنه عبد الله بن ميمون القدّاح، و زميله المعروف بـ«دندان» هم حلقة الوصل بين الفرقتين.

ما روي عن عبد الله بن ميمون الإمامي في الجوامع الحديثية

إنّ لعبد الله بن ميمون بن الأسود المخزومي روايات في مختلف الأبواب قد نقلها أصحاب الكتب الأربعة في جوامعهم و هي تناهز ٤٩ حديثاً، و ليس في رواياته أيّ شذوذ إلّا في رواية واحدة. و التمعّن فيها يوقف الإنسان على أنّه كان فقيهاً متقناً في النقل. و إليك ما وقفنا عليه:

١. روى عبد الله بن ميمون، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: «جاء رجل من الأنصار إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أحب أن تشهد لي على نحل نحلته ابني، قال: مالك ولد سواه؟ قال: نعم، قال: فنحلته كما نحلته؟ قال: لا، قال: فانا معاشر الأنبياء لا نشهد على الجنف». (١)

٢. روى عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله، عن أبيه ﷺ قال: «كان أصحاب رسول الله ﷺ يبتوك يعبّون الماء، فقال رسول الله ﷺ: اشربوا في أيديكم، فإنّها من خير آتيتكم». (٢)

٣. روى عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمد، عن أبيه ﷺ، قال: «الركعتان يصلّيها متزوّج أفضل من سبعين ركعة يصلّيها أعزب». (٣)

١. الفقيه: ٤٠/٣، الحديث ١٣٤.

٢. الفقيه: ٢٢٣/٣، الحديث ١٠٣٦.

٣. الفقيه: ٢٤٢/٣، الحديث ١١٤٦.

٤. روى عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: الصبي والصبي، والصبي والصبية، والصبية والصبية يفرق بينهم في المضاجع لعشر سنين». (١)

٥. روى عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: «أتى أمير المؤمنين عليه السلام برجل قد ضرب رجلاً حتى انتقص من بصره، فدعا برجال من أسنانه ثم أراهم شيئاً، فنظر ما انتقص من بصره، فأعطاه دية ما انتقص من بصره». (٢)

٦. عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام أن النبي ﷺ قال: «الرزق أسرع إلى من يطعم الطعام من السكين في السنام». (٣)

٧. عن أحمد بن إسحاق بن سعد، عن عبد الله بن ميمون، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه عليه السلام قال: «قال الفضل بن العباس: أهدني إلى رسول الله ﷺ بغلة أهداها له كسرى أو قيصر، فركبها النبي ﷺ بجلّ من شعر وأردفني خلفه، ثم قال لي: يا غلام احفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله عزّ وجلّ في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله عزّ وجلّ، فقد مضى القلم بما هو كائن، فلوجه الناس أن ينفعوك بأمرٍ لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بأمرٍ لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، فإن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع، فاصبر، فإنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أنّ الصبر مع النصر، وأنّ الفرج مع الكرب، وأنّ مع العسر يسراً». (٤)

١. الفقيه ٣/٢٧٦، الحديث ١٣١٠.

٢. الفقيه ٤/٩٧، الحديث ٣٢١.

٣. الكافي ٤/٥١، الحديث ١٠.

٤. الفقيه ٤/٢٩٦، الحديث ٨٩٦.

٨. علي بن حاتم، عن محمد بن جعفر، عن محمد بن عمرو، عن علي بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد، عن علي بن الحسين، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم إني أعلنت سيلاً من سبلك فجعلت فيه رضاك، وندبت إليه أولياءك وجعلته أشرف سبلك عندك ثواباً، وأكرمهم لديك مآباً وأحبها إليك مسلماً، ثم اشتريت فيه من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيلك فيقتلون ويُقتلون وعداً عليك حقاً، فاجعلني ممن اشترى فيه منك نفسه، ثم وفي لك ببيعه الذي بايعك عليه، غير ناكث، ولا ناقض عهداً، ولا مبدل تبديلاً، إلا استنجازاً لموعودك، واستيجاباً لمحبتك، وتقرباً به إليك، فصلّ على محمد وآله واجعله خاتمة عملي، وارزقني فيه لك وبك مشهداً توجب لي به الرضا، وتحط عني به الخطايا، اجعلني في الأحياء المرزوقين بأيدي العداة العصاة تحت لواء الحق وراية الهدى، ماض على نصرتهم قدماً غير مولٍ دبراً، ولا محدث شكاً، وأعوذ بك عند ذلك من الذنب المحبط للأعمال». (١)

٩. عن الحسن بن علي، عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا خرج إلى الجمعة قعد على المنبر حتى يفرغ المؤذنون». (٢)

١٠. محمد بن علي بن محبوب، عن الحسن بن علي، عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: «كان المقام لازقاً بالبيت فحوّله عمر». (٣)

١١. الحسن بن علي الكرخي، عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون،

١. التهذيب: ٣/ ٨١، الحديث ٢٣٧.

٢. التهذيب: ٣/ ٢٤٤، الحديث ٦٦٣.

٣. التهذيب: ٥/ ٤٥٤، الحديث ١٥٨٦.

عن جعفر، عن أبيه عليه السلام: «كان النبي صلى الله عليه وآله يستهدي من ماء زمزم وهو بالمدينة». (١)

١٢. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «دخل أمير المؤمنين صلوات الله عليه المسجد، فإذا هو برجل على باب المسجد، كئيب حزين، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام مالك؟ قال: يا أمير المؤمنين أصبت بأبي وأمي وأخي وأخشي أن أكون قد وجلت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: عليك بتقوى الله والصبر تقدم عليه غداً؛ والصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور». (٢)

١٣. عن حماد، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: «زكاة الفطرة صاع من تمر، أو صاع من زبيب، أو صاع من شعير، أو صاع من إقط عن كل إنسان حرّ أو عبد، صغير أو كبير، وليس على من لا يجد ما يتصدق به حرج». (٣)

١٤. عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ علياً صلوات الله عليه كان يقول إذا أصبح: «سبحان الله الملك القدوس - ثلاثاً - اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، ومن تحويل عافيتك، ومن فجأة نعمتك، ومن درك الشقاء، ومن شرّ ما سبق في الليل، اللهم إني أسألك بعزة ملكك، وشدة قوتك، وبِعَظِيمِ سلطانك، وبِقُدْرَتِكَ على خلقك»، ثمّ سل حاجتك. (٤)

١٥. عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام

١. التهذيب: ٤٧١/٥، الحديث ١٦٥٧.

٢. الكافي: ٩٠/٢، الحديث ٩.

٣. التهذيب: ٧٥/٤، الحديث ٢١١.

٤. الكافي: ٥٢٧/٢، الحديث ١٦.

قال: «المحرمة لا تتنقب، لأن إحرام المرأة في وجهها، وإحرام الرجل في رأسه». (١)

١٦. عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات، فلما همت الشمس أن تغيب قبل أن تندفع، قال: اللهم إني أعوذ بك من الفقر، ومن تشتت الأمر، ومن شر ما يحدث بالليل والنهار، أمسى ظلمي مستجيراً بعفوك، وأمسى خوفي مستجيراً بأمانك، وأمسى ذلي مستجيراً بعزك، وأمسى وجهي الفاني مستجيراً بوجهك الباقي، يا خير من سئل، ويا أجود من أعطى جللني برحمتك، وألبسني عافيتك، واصرّف عني شرّ جميع خلقك». (٢)

١٧. عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «للعبد أن يستثني ما بينه وبين أربعين يوماً إذا نسي، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ناس من اليهود فسألوه عن أشياء، فقال لهم: تعالوا غداً أحدثكم ولم يستثن، فاحتبس جبرئيل عليه السلام عنه أربعين يوماً ثم أتاه وقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لَشَايٍءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَأَذْكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتَ» (٣). (٤)

١٨. عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: «ثلاثة لا يفطرن الصائم: القيء والاحتلام والحجامة، وقد احتجم النبي صلى الله عليه وسلم وهو صائم، وكان لا يرى بأساً بالكحل للصائم». (٥)

١٩. عن حماد بن عيسى، عن عبد الله بن ميمون، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «للعبد أن يستثني ما بينه وبين أربعين يوماً إذا نسي». (٦)

١. الكافي: ٤/٣٤٥، الحديث ٧؛ الفقيه: ٢/٢١٩، الحديث ١٠٠٩.

٢. الكافي: ٤/٤٦٤، الحديث ٥.

٣. الكهف: ٢٣-٢٤.

٤. الفقيه: ٣/٢٢٩، الحديث ١٠٨١.

٥. التهذيب: ٤/٢٦٠، الحديث ٧٧٥.

٦. التهذيب: ٨/٢٨١، الحديث ١٠٢٩.

٢٠. عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: اللهم إني أعوذ بك من الاحتلام، ومن سوء الأحلام، وأن يلعب بي الشيطان في اليقظة والمنام». (١)

٢١. علي بن الحسن بن فضال، عن محمد بن الحسن بن الجهم، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: «قال علي عليه السلام: إذا طلق الرجل المرأة فهو أحق بها ما لم تغتسل من الثالثة». (٢)

٢٢. روى عبد الله بن ميمون بأسناده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا ضللتكم الطريق فتيامنوا». (٣)

٢٣. محمد بن أحمد بن يحيى، عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون قال: أتى علي عليه السلام بأسير يوم صفين فبايعه، فقال علي عليه السلام: «لا أقتلك إني أخاف الله رب العالمين، فخلّى سبيله، وأعطى سلبه الذي جاء به». (٤)

٢٤. عن ابن فضال، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «حرّمت الجنة على الديوث». (٥)

٢٥. عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال يعقوب لابنه: يا بني لا تزن، فإنّ الطائر لو زنا لتناثر ريشه». (٦)

١. الكافي: ٢/٥٣٦، الحديث ٥.

٢. التهذيب: ٨/١٢٥، الحديث ٤٣٢.

٣. الفقيه: ٢/١٩٧، الحديث ٨٩٦.

٤. التهذيب: ٦/١٥٣، الحديث ٢٦٩.

٥. الكافي: ٥/٥٣٧، الحديث ٨، باب الغيرة.

٦. الكافي: ٥/٥٤٢، الحديث ٨، باب الزاني؛ الفقيه: ٤/١٣، الحديث ١٣.

٢٦. عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان النبي صلى الله عليه وآله إذا شرب اللبن قال: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه». (١)

٢٧. عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله تعاهدوا نعالكم عند أبواب مساجدكم، ونهى أن يتنعل الرجل وهو قائم». (٢)

٢٨. عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: «انكسفت الشمس في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله فصلّى بالناس ركعتين، فطوّل حتى غشي على بعض القوم ممن كان وراءه من طول القيام». (٣)

٢٩. عن جعفر بن محمد، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام أن علياً عليه السلام كان يقول: «من فاته صيام الثلاثة أيام في الحج، وهي قبل التروية بيوم ويوم التروية ويوم عرفة فليصم أيام التشريق، فقد أذن له». (٤)

٣٠. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح؛ وعلي ابن إبراهيم، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به، وإنه يستغفر لطالب العلم من السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر». (٥)

١. الكافي: ٦/٣٣٦، الحديث ٣.

٢. التهذيب: ٣/٢٥٥، الحديث ٧٠٩.

٣. التهذيب: ٣/٢٩٣، الحديث ٨٨٥.

٤. التهذيب: ٥/٢٢٩، الحديث ٧٧٨.

٥. الكافي: ١/٣٤، الحديث ١.

٣١. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: «إنّ هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة». ^(١)

٣٢. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله ما العلم؟ قال: الانصات، قال: ثمّ مه؟ قال: الاستماع، قال: ثمّ مه؟ قال: الحفظ، قال: ثمّ مه؟ قال: العمل به، قال: ثمّ مه يا رسول الله؟ قال: نشره». ^(٢)

٣٣. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: أفضل العبادة العفاف». ^(٣)

٣٤. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف». ^(٤)

٣٥. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من أطعم مؤمناً حتى يشبعه لم يدر أحدٌ من خلق الله ماله من الأجر في الآخرة، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلاّ الله ربّ العالمين، ثمّ قال: من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان، ثمّ تلا قول الله عزّ وجلّ ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * تَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ ^(٥)». ^(٦)

١. الكافي: ١/ ٤٠، الحديث ٣.

٢. الكافي: ١/ ٤٨، الحديث ٤.

٣. الكافي: ٢/ ٧٩، الحديث ٣.

٤. الكافي: ٢/ ١٠٢، الحديث ١٧.

٥. البلد: ١٤-١٦.

٦. الكافي: ٢/ ٢٠١، الحديث ٦.

٣٦. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ركعتان بالسواك أفضل من سبعين ركعة بغير سواك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة». (١)

٣٧. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا حضر أحداً من أهل بيته الموت، قال له: لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ الأرضين السبع وما بينهما وربّ العرش العظيم، والحمد لله ربّ العالمين فإذا قالها المريض، قال: اذهب فليس عليك بأس». (٢)

٣٨. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء». (٣)

٣٩. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام: أن علياً صلوات الله عليه قال لرجل كبير لم يحج قط: «إن شئت أن تجهّز رجلاً، ثم أبعثه أن يحجّ عنك». (٤)

٤٠. عن جعفر بن محمد الأشعري عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن جعفر عليه السلام: أن علياً عليه السلام كان لا يرى بأساً بعقد الثوب إذا قصر، ثم يصلى فيه وإن كان محرماً. (٥)

٤١. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: «قال النبي صلى الله عليه وآله ما استفاد امرؤ مسلم فائدة بعد

١. الكافي: ٣/٢٢، الحديث ١.

٢. الكافي: ٣/١٢٤، الحديث ٧.

٣. الكافي: ٤/٢٨، الحديث ١.

٤. الكافي: ٤/٢٧٢، الحديث ١.

٥. الكافي: ٤/٣٤٧، الحديث ٣.

الإسلام أفضل من زوجة مسلمة تسره إذا نظر إليها، وتطيعه إذا أمرها، وتحفظه إذا غاب عنها في نفسها وماله». (١)

٤٢. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ علي بن الحسين عليه السلام كان يتزوج وهو يتعرق عرقاً يأكل ما يزيد على أن يقول: الحمد لله وصلى الله على محمد وآله، ويستغفر الله عزّ وجلّ، وقد زوجناك على شرط الله، ثمّ قال علي بن الحسين عليه السلام: إذا حمد الله فقد خطب. (٢)

٤٣. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: «كان بالمدينة رجلان يسمّى أحدهما هيت والآخر مانع، فقالا لرجل ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمع: إذا افتتحتم الطائف إن شاء الله فعليك بابنة غيلان الثقفية، فإنّها شموع بخلاء مبتلة هيفاء شبناء، إذا جلست تثنت، وإذا تكلمت غنت، تقبل بأربع وتدبر بثمان بين رجلها مثل القدح، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لا أريكما من أولي الأربة من الرجال، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فغرب بهما إلى مكان يقال له: العرايا، وكانا يتسوّفان في كلّ جمعة». (٣)

٤٤. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: «للزاني ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، أمّا التي في الدنيا: فيذهب بنور الوجه، ويورث الفقر، ويعجّل الفناء؛ وأمّا التي في الآخرة: فسخط الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار». (٤)

٤٥. عن الحسن بن عليّ، عن عبد الله بن ميمون القدّاح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الدعاء كهف الإجابة، كما أنّ السحاب كهف المطر». (٥)

١. الكافي/٥/٣٢٧، الحديث ١؛ التهذيب: ٧/٢٤٠، الحديث ١٠٤٧.

٢. الكافي/٥/٣٦٨، الحديث ٢.

٣. الكافي/٥/٥٢٣، الحديث ٣.

٤. الكافي/٥/٥٤١، الحديث ٣؛ الفقيه: ٣/٣٧٥، الحديث ١٧٧٤.

٥. الكافي/٢/٤٧١، الحديث ١.

٤٦. عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن ميمون القَدّاح، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي عليه السلام قال: «سجدتا السهو بعد التسليم وقبل الكلام»^(١).

٤٧. عن عبد الله بن المغيرة، عن عبد الله بن ميمون القَدّاح، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن علي عليه السلام: «أته كان إذا خرج من الخلاء قال: الحمد لله الذي رزقني لذته، وأبقى قوته في جسدي، وأخرج عني أذاه يا لها من نعمة»^(٢).

٤٨. عن محمد بن الحسن بن أبي الجهم، عن عبد الله بن ميمون القَدّاح، عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: «جاء قنبر مولى علي عليه السلام بفطرة إليه قال: فجاء بجراب فيه سويق عليه خاتم قال: فقال له رجل: يا أمير المؤمنين إن هذا هو البخل تحتّم على طعامك!! قال: فضحك علي عليه السلام قال: ثم قال: أو غير ذلك؟ لا أحب أن يدخل بطني شيء إلا شيء أعرف سبيله، قال: ثم كسر الخاتم، فأخرج منه سويقاً، فجعل منه في قدح فأعطاه إياه، فأخذ القدح فلمّا أراد أن يشرب قال:

بسم الله اللهم لك صمنا، وعلى رزقك أفطرننا، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم»^(٣).

٤٩. عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القَدّاح، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن أعجل الخير ثواباً صلة الرحم»^(٤).

إنّ حامل تلك الدرر اللامعة وراويها، أجلّ من أن يكون موصوفاً بما وصف به عبد الله بن ميمون الإسماعيلي في كتب الملل والنحل أو في سائر المعاجم.

١. التهذيب: ١٩٥/٢، الحديث ٧٦٨.

٢. التهذيب: ٢٩/١، الحديث ٧٧؛ و ص ٣٥١، الحديث ١٠٣٩.

٣. التهذيب: ٢٠٠/٤، الحديث ٥٧٨.

٤. الكافي: ١٥٢/٢، الحديث ١٥.

الفصل الخامس

في

الأئمة المستورين

يرجع نشوء الإسماعيلية وتكوّنهم، إلى القول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام واستمرارها في عقبه، فهو الإمام الأول، وقد تلت أئمة :

- ١ . إسماعيل بن جعفر.
- ٢ . محمد بن إسماعيل .
- ٣ . عبد الله بن محمد .
- ٤ . أحمد بن عبد الله .
- ٥ . الحسين بن أحمد .
- ٦ . عبيد الله المهدي بن الحسين، مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب .
- ٧ . محمد القائم .
- ٨ . إسماعيل بن محمد المنصور .
- ٩ . معد بن إسماعيل « المعز » .
- ١٠ . نزار بن معد « العزيز » .
- ١١ . الحسن بن نزار « الحاكم » .
- ١٢ . علي بن الحسن « الظاهر » .
- ١٣ . معد بن علي المستنصر .

وهؤلاء هم الأئمة المتفق عليهم بين الفرق الإسماعيلية الثلاث: المستعلية، والنزارية المؤمنية، والنزارية القاسمية (الأغاخانية).

ثم اختلفوا إلى فرقتين، فذهبت المستعلية إلى أنّ الإمام القائم بالأمر بعد المستنصر عبارة عن كل من :

١. أحمد المستعلي.

٢. الأمر بأحكام الله.

٣. الطيّب بن الأمر.

ثم جاء دور الستر فلا إمام ظاهر.

لكن النزارية بكلتا فريقها قالوا باستمرار الإمامة بعد المستنصر، وقالوا: إنّ الإمام القائم بالأمر عبارة عن كل من:

١. نزار بن معد.

٢. حسن بن معد (جلال الدين).

٣. محمد بن حسن (علاء الدين).

٤. محمود بن محمد (ركن الدين).

٥. محمد بن محمود (شمس الدين).

ثم افرقت النزارية إلى فرقتين:

الف: النزارية المؤمنية.

ب: النزارية القاسمية الأغاخانية.

فكل ساقوا الإمامة بعد شمس الدين، بشكل خاص لا يلتقيان أبداً إلى العصر الحاضر. وستوافيك أسماؤهم.

و سنقوم بترجمة الأئمة المتفق عليهم بين جميع الفرق، الذين لا يتجاوز عددهم ثلاثة عشر إماماً آخرهم المستنصر. وقد عقدنا لبياناه فصلين مستقلين، أحدهما في الأئمة المستورين، والثاني في المتظاهرين بالإمامة.

الإمام الأوّل (١)

إسماعيل بن جعفر الصادق

(١١٠-١٤٥هـ)

إنّ إسماعيل هو الإمام الأوّل والمؤسّس للمذهب، فوالده الإمام الصادق عليه السلام غني عن التعريف، وفضله أشهر من أن يذكر، وُلد الإمام الصادق عام ٨٠هـ على قول و٨٣ على قول آخر وتوفي عام ١٤٨ هـ وهو من عظماء أهل البيت عليهم السلام وساداتهم، ذو علوم جمّة، وعبادة موفورة، وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة... إلى غير ذلك من فضائل ومآثر يقصر عنها القلم والبيان؛ وقد أنجب عليه السلام عشرة أولاد، هم إسماعيل ويليّه عبد الله، وموسى الكاظم، وإسحاق، ومحمد، والعباس وعلي، وأمّا الإناث، فأكبرهنّ أمّ فروة، ثمّ أسماء، وفاطمة.

لقد تزوج عليه السلام فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين، فأنجب منها إسماعيل وعبد الله وأمّ فروة.

وكان إسماعيل أكبر الإخوة وكان أبو عبد الله عليه السلام شديد المحبة له والبر به والإشفاق عليه، مات في حياة أبيه عليه السلام «بالعريض»، وحمل على رقاب الرجال إلى أبيه بالمدينة، حتى دفن بالبقيع (٢).

١. المبدأ في عدّ الأئمة للإسماعيليّة، هو مؤسس الفرقة - حسب زعمهم - وإن كان هو الإمام السابع

عندهم ثمّ إنّ الأقوال في ميلاد ووفاة إسماعيل كثيرة وما ذكرناه أحد الأقوال.

٢. المفيد: الإرشاد: ٢٨٤.

ولذلك كان من اللازم استعراض سيرته وسيرة بعض أولاده ممن كان لهم دور في نشوء هذه الفرقة فنقول:

عنونه الشيخ في أصحاب رجال الصادق عليه السلام و اقتصر على اسمه واسم آبائه، وقال: إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي، المدني. ^(١)

وقال ابن عنبه: وأما إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ويكنى أبا محمد، وأمه فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ويعرف بإسماعيل الأعرج، وكان أكبر ولد أبيه، وأحبهم إليه، كان يحبّه حباً شديداً، وتوفي في حياة أبيه «بالعريض»، فحمل على رقاب الرجال إلى البقيع، فدفن به سنة ثلاث وثلاثين ومائة، قبل وفاة الصادق عليه السلام بعشرين سنة، كذا قال أبو القاسم ابن خداع نسابه المصريين. ^(٢)

وقال ابن خلدون: تُوفي قبل أبيه، وكان أبو جعفر المنصور طلبه، فشهد له عامل المدينة بأنه مات. ^(٣)

قال المفيد: لما توفي إسماعيل جزع أبو عبد الله عليه جزعاً شديداً، وحزن عليه حزناً عظيماً، وتقدم سريره بغير حذاء ولا رداء، وأمر بوضع سريره على الأرض قبل دفنه مراراً، وكان يكشف عن وجهه وينظر إليه. ^(٤)

لم نقف في حياة إسماعيل على شيء سوى ما نقله ابن أبي الحديد حيث قال: كان القاسم بن محمد بن طلحة ^(٥) - يلقب «أبا بكرة»، ولي شرطة الكوفة، لعيسى

١. الطوسي: الرجال: ١٤٩ برقم ٨١.

٢. ابن عنبه: عمدة الطالب: ٢٣٣، ولعلّ العشرين في العبارة مصحف خمس عشرة لأنّ الفاصل الزمني بين الوفايتين لا يتجاوز هذا المقدار على جميع الأقوال لأنّها في حقّه مختلفة فأنّه مضافاً إلى ما ذكره من أنّه توفي عام ١٣٨ وقيل توفي عام ١٤٣.

٣. تاريخ ابن خلدون: ٣٩/٤.

٤. المفيد: الإرشاد: ٢٨٤.

٥. هو طلحة بن عبيد الله التيمي المقتول بالجملة سنة ٣٦هـ.

ابن موسى العباسي - فكلم إسماعيل بن جعفر الصادق بكلام خرجا فيه إلى المنافرة.

فقال القاسم: لم يزل فضلنا وإحساننا سابغاً عليكم يا بني هاشم، وعلى بني عبد مناف كافة.

فقال إسماعيل: أي فضل وإحسان أسديتموه إلى بني عبد مناف؟! أغضب أبوك جدي بقوله: «ليموتن محمد ولنجلون بين خلاخيل نساءه، كما جال بين خلاخيل نساءنا»، فأنزل الله تعالى مراغمة لأبيك: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾^(١) ومنع ابن عمك أمي من حقها في فذك، وغيرها من ميراث أبيها، وأجلب أبوك على عثمان، وحصره حتى قُتل، ونكت بيعة عليّ، وشام السيف في وجهه، وأفسد قلوب المسلمين عليه، فإن كان لبني عبد مناف قوم غير هؤلاء، أسديتم إليهم إحساناً، فعرفني من هم، جعلت فذاك؟!^(٢)

و روى الكشي بسنده عن عنبسة العابد: كنت مع جعفر بن محمد بباب الخليفة أبي جعفر بالحيرة، حين أتى بسام، وإسماعيل بن جعفر بن محمد، فأدخلا على أبي جعفر^(٣) فأخرج بسام مقتولاً، وأخرج إسماعيل بن جعفر بن محمد، قال: فرفع جعفر رأسه إليه، قال: أفعلتها يا فاسق، أبشر بالنار.^(٤)

قلت: الضمير في «إليه» يرجع إلى المنصور من باب خطاب الغائبين بما يقتضيه الحال.

والحديث يدل على أنه وشي عليهما لدى المنصور فطلبهما، فقتل بساماً

١. الأحزاب: ٥٣.

٢. ابن أبي الحديد: شرح النهج: ٣٢٣/٩.

٣. هو أبو جعفر المنصور الدوانيقي.

٤. الكشي: الرجال: ترجمة بسام بن عبد الله الصيرفي برقم ١٢١.

وأطلق إسماعيل. و لعله ثبتت براءته مما نسب إليه .

و روى الكشي أيضاً في ترجمة عبد الله بن شريك العامري، عن أبي خديجة الجمال، قال: سمعت أبا عبد الله، يقول: إنّي سألت الله في إسماعيل أن يُبقيه بعدي فأبى، ولكنه قد أعطاني فيه منزلة أخرى، أنه يكون أوّل منشور في عشرة من أصحابه، ومنهم عبد الله بن شريك وهو صاحب لوائه. (١)

و الحديث يدل على أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يحبه كثيراً، و لعلّ إسماعيل مرض، فدعا أبوه الله تعالى أن يشفيه ولكن الله قدّر موته، كما يدل على وثاقته أيضاً.

ويظهر ممّا رواه الكشي في ترجمة المفضل بن مزيد، أخي شعيب الكاتب، أنّه كان مأموراً بدفع جوائز إلى بني هاشم، وكان أسماء أصحاب الجوائز مكتوباً في كتاب، ناوّل الكتاب للإمام الصادق عليه السلام فلما رآه قال: ما أرى لإسماعيل هاهنا شيئاً، فأجاب المفضل: هذا الذي خرج إلينا. (٢)

ومن راجع الكتب الحديثية يرى أنّ هناك روايات يظهر منها جلاله منزلة إسماعيل، عند والده نذكر منها ما يلي:

١. الإمام الصادق عليه السلام يستأجر من يحجّ عن إسماعيل:

روى الكليني بسنده، عن عبد الله بن سنان، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل فأعطاه ثلاثين ديناراً يحجّ بها عن إسماعيل، ولم يترك شيئاً من العمرة إلى الحجّ إلّا اشترط عليه أن يسعى في وادي مُحسّر، ثمّ قال: يا هذا، إذا أنت فعلت هذا كان لإسماعيل حجة بما أنفق من ماله، وكانت لك تسع بما أتعبت من بدنك. (٣)

١. الكشي: الرجال: ١٩٠، برقم ٩٧.

٢. الكشي: الرجال: ٣٢٠، برقم ٢٣٧.

٣. الوسائل: الجزء ٨، الباب ١ من أبواب النيابة في الحجّ، الحديث ١.

٢. الإمام ينصحه من الائتمان بالفاسق:

روى الكليني بسنده، عن حريز بن عبد الله السجستاني، قال: كانت لإسماعيل بن أبي عبد الله عليه السلام دنانير وأراد رجل من قريش أن يخرج إلى اليمن، فقال إسماعيل: يا أبت إن فلاناً يريد الخروج إلى اليمن، وعندني كذا وكذا ديناراً، أفترى أن أدفعها إليه يبتاع لي بها بضاعة من اليمن؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا بُنَيَّ أما بلغك أنه يشرب الخمر؟ فقال إسماعيل: هكذا يقول الناس، فقال: يا بُنَيَّ لا تفعل.

فعصى إسماعيلُ أباه ودفَع إليه دنانيره فاستهلكها، ولم يأت به شيء منها، فخرج إسماعيل وقضى أن أبا عبد الله عليه السلام حجَّ وحجَّ إسماعيل تلك السنة فجعل يطوف بالبيت، ويقول: اللهم أجرنِي واخلف عليّ فلحقه أبو عبد الله عليه السلام فهمزه بيده من خلفه، فقال له: مَهْ يا بني فلا والله مالك على الله (هذا) حجة ولا لك أن يأجرك ولا يُخلف عليك، وقد بلغك أنه يشرب الخمر فائتمته، فقال إسماعيل: يا أبت إنني لم أراه يشرب الخمر، إنما سمعت الناس يقولون.

فقال: يا بُنَيَّ إن الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(١) يقول: يصدِّق الله ويصدق للمؤمنين فإذا شهد عندك المؤمنون فصدِّقهم ولا تأتمن شارب الخمر، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ ^(٢) فأَيُّ سفیه أسفه من شارب الخمر؟! إنَّ شارب الخمر لا يُرَوِّج إذا حَظِب، ولا يُشْفَع إذا شَفَع، ولا يُؤْتَمَن على أمانة، فمن اتَّمَنه على أمانة فاستهلكها لم يكن للذي اتَّمَنه، على الله أن يأجره ولا يخلف عليه. ^(٣)

١. التوبة: ٦١.

٢. النساء: ٥.

٣. الكافي: ٥/٢٩٩.

قصة رواياته

لم نجد في الجوامع الحديثية شيئاً يروى عنه، إلا الحديثين التاليين، ولعل قصر عمره وموته في حياة والده صاراً سبباً لقلّة الرواية عنه، وإليك ما وقفنا عليه من رواياته:

١. روى الكليني بسنده، عن أبي أيوب الخزاز، قال: سألت إسماعيل بن جعفر، متى تجوز شهادة الغلام؟ فقال: إذا بلغ عشر سنين، قال: قلت: ويجوز أمره؟ قال: فقال: إنّ رسول الله ﷺ دخل بعائشة وهي بنت عشر سنين، وليس يدخل بالجارية حتى تكون امرأة، فإذا كان للغلام عشر سنين جاز أمره وجازت شهادته. (١)

٢. روى الشيخ الطوسي، عن داود بن فرقد، عن إسماعيل بن جعفر، قال: اختصم رجلان إلى داود عليه السلام في بقرة فجاء هذا بيّنة على أنّها له، وجاء هذا بيّنة على أنّها له، قال: فدخل داود عليه السلام المحراب فقال: يا رب إنّه قد أعياني أن أحكم بين هذين، فكُن أنت الذي تحكم، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه اخرج فخذ البقرة من الذي في يده، فادفعها إلى الآخر، واضرب عنقه، قال: فضجت بنو إسرائيل من ذلك، وقالوا: جاء هذا بيّنة وجاء هذا بيّنة، وكان أحقّها بإعطائها الذي في يده، فأخذها منه، وضرب عنقه، فأعطاهها هذا... قال: فدخل داود عليه السلام المحراب فقال: يا رب قد ضجّت بنو إسرائيل ممّا حكمت، فأوحى إليه ربّه أنّ الذي كانت البقرة في يده لقي أب الآخر فقتله وأخذ البقرة منه، إذا جاءك مثل هذا فاحكم بينهم بما ترى ولا تسألني أن أحكم حتى الحساب. (٢)

١. الكافي: ٧/ ٣٨٨.

٢. التهذيب: ٦/ ٢٨٧، الحديث ٧٩٧.

وفاته

قد عرفت أنّ ابن عنبه ذكر أنه توفي عام (١٣٣هـ)، وقال صاحب تهذيب الكمال: إسماعيل إمام مات وهو صغير، ولم يرو عنه شيء من الحديث. (١)
و أرخ الزركلي في الأعلام وفاته سنة (١٤٣هـ) ولعله تبع صاحب دائرة المعارف الإسلامية حيث قال: توفي إسماعيل في المدينة سنة (١٤٣هـ) أي قبل وفاة أبيه بخمسة أعوام. (٢)

و القول الثاني أقرب للصواب، لأنه لو كان توفي سنة (١٣٣هـ) لكانت وفاته قبل وفاة أبيه بخمسة عشر عاماً، وهذا المقدار من الفاصل الزمني، يوجب انقطاع الناس عنه، ونسيانهم له عند وفاة أبيه.

وقال عارف تامر السوري من كتاب الإسماعيلية: إن إسماعيل ولد سنة ١٠١ في المدينة المنورة، وادعى والده الصادق أنه مات سنة ١٣٨هـ بموجب محضر أشهد عليه عامل الخليفة المنصور العباسي. (٣)

استشهاد الإمام الصادق عليه السلام على موته:

كان الإمام الصادق حريصاً على إفهام الشيعة بأن الإمامة لم تُكتب لإسماعيل، فليس هو من خلفاء الرسول الاثني عشر الذين كتبت لهم الخلافة والإمامة بأمر السماء وإبلاغ الرسول الأعظم.

و من الدواعي التي ساعدت على بثّ بذر الشبهة والشك في نفوس

١. الأعلام: ١/ ٣١١، نقلاً عن تهذيب الكمال.

٢. الزركلي: الأعلام: ١/ ٣١١.

٣. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٨٠.

الشيعة في ذلك اليوم، هو ما اشتهر من أنّ الإمامة للولد الأكبر. وكان إسماعيل أكبر أولاده فكانت أماني الشيعة معقودة عليه - حسب الضابطة - صحت أم لم تصح، ولأجل ذلك تركزت جهود الإمام الصادق عليه السلام على معالجة الوضع واجتثاث جذور تلك الشبهة و أنّ الإمامة لغيره، فتراه تارة ينصّ على ذلك، بقوله وكلامه، وأخرى بالاستشهاد على موت إسماعيل، وأنّه قد انتقل إلى رحمة الله، ولن يصلح للقيادة والإمامة.

وإليك نماذج تؤيد النهج الثاني الذي انتهجه الإمام عليه السلام لتحقيق غرضه في إزالة تلك الشبهة، وأمّا القسم الأول أي النصوص على إمامة أخيه فموكولة إلى محلّها^(١):

١. روى النعماني عن زرارة بن أعين، أنّه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعند يمينه سيّد ولده موسى عليه السلام، وقُدّامه مرقد مغطى، فقال لي: «يا زرارة، جئني بدادود بن كثير الرقي، وحران، وأبي بصير». ودخل عليه المفضل بن عمر، فخرجت فأحضرت من أمرني بإحضاره، ولم يزل الناس يدخلون واحداً إثر واحد، حتى صرنا في البيت ثلاثين رجلاً.

فلما حشد المجلس قال: «يا داودُ إكشف لي عن وجه إسماعيل»، فكشف عن وجهه فقال أبو عبد الله عليه السلام: «يا داود أحيّ هو أم ميت؟» قال داود: يا مولايّ هو ميت، فجعل يعرض ذلك على رجل رجل، حتى أتى على آخر من في المجلس، و انتهى عليهم بأسرهم وكلّ يقول: هو ميت يا مولاي، فقال: «اللهم اشهد»، ثم أمر بغيّسه وحنوطه، وادراجه في أثوابه.

فلما فرغ منه قال للمفضل: «يا مفضل احسر عن وجهه»، فحسر عن وجهه، فقال: «أحيّ هو أم ميت؟» فقال: ميت، قال: «اللهم اشهد عليهم»؛ ثمّ جُمِل إلى قبره، فلما وضع في كُده قال: «يا مفضل اكشف عن وجهه» وقال

١. سوف يأتي شيء منه عند عرض الفطحية فلاحظ.

للجماعة: «أحيي هو أم ميت؟» قلنا له: ميت فقال: «اللهم اشهد، واشهدوا، فإنه سيرتاب المبطلون، يريدون إطفاء نور الله بأفواههم - ثم أوماً إلى موسى - والله متم نوره ولو كره المشركون»، ثم حثونا عليه التراب ثم أعاد علينا القول، فقال: «الميت، المحنط، المكفن، المدفون في هذا اللحد من هو؟» قلنا: إسماعيل، قال: «اللهم اشهد»، ثم أخذ بيد موسى ﷺ و قال: «هو حق، والحق منه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها». (١)

٢. روى الشيخ الطوسي بسنده عن أبي كهمس، قال: حضرت موت إسماعيل وأبو عبد الله ﷺ جالس عنده فلمّا حضره الموت، شدّ لحية وغمّضه، وغطى عليه المُلحفة، ثم أمر بتهيئته، فلمّا فرغ من أمره، دعا بكفنه فكتب في حاشية الكفن: إسماعيل يشهد أن لا إله إلا الله. (٢)

٣. روى الصدوق بسنده عن أبي كهمس قال حضرت موت إسماعيل ورأيت أبا عبد الله ﷺ وقد سجد سجدة فأطال السجود، ثم رفع رأسه فنظر إليه، ثم سجد سجدة أخرى أطول من الأولى ثم رفع رأسه، وقد حضره الموت فغمّضه وربط لحيته، وغطى عليه المُلحفة، ثم قام، ورأيت وجهه وقد دخل منه شيء الله أعلم به، ثم قام فدخل منزله فمكث ساعة ثم خرج علينا مدهنًا، مكتحلًا، عليه ثياب غير ثيابه التي كانت عليه، ووجهه غير الذي دخل به، فأمر ونهى في أمره، حتى إذا فرغ، دعا بكفنه، فكتب في حاشية الكفن: إسماعيل يشهد أن لا إله إلا الله. (٣)

وهذه الروايات وخاصة ما نقلناه عن أبي خديجة الجمال حاكية عن جلاله إسماعيل، ويؤكدّها تقبيل الإمام له بعد موته مراراً.

١. النعماني: الغيبة: ٣٢٧، الحديث ٨، ولاحظ بحار الأنوار: ٤٨/ ٢١.

٢. الوسائل: الجزء ٢، الباب ٢٩ من أبواب التكفين، الحديث ١.

٣. الوسائل: الجزء ٢، الباب ٢٩ من أبواب التكفين، الحديث ٢.

نعم هناك روايات تدل على ذمه ذكرها الكشي في ترجمة عدّة، مثل إبراهيم ابن أبي سمال، وعبد الرحمان بن سيابة، والفيض المختار، وقد ناقش السيد الخوئي، اسنادها فلاحظ. ^(١)

وقد أخطأ الكاتب الإسماعيلي، مصطفى غالب السوري في فهم رأي الشيعة في معرض كتابته عن إمامه، حيث قال:

غير أنّ مؤرّخي الشيعة، والسنة، يذهبون في إسماعيل مذهباً مختلفاً كلّ الاختلاف عمّا يقوله الإسماعيلية. فيقولون: إنّ إسماعيل لم يكن يصلح للإمامة، كونه كان يشرب الخمر، وأنّه كان من أصدقاء أبي الخطاب الملقّد الذي تبرأ منه الإمام الصادق، وأنّ الصادق أظهر فرحه لموت ابنه إسماعيل، وعلى هذه الصورة اضطربت الروايات، واختلفت الأقاويل في أمر إسماعيل، فأصبح أكثر الباحثين لا يدرون حقيقة أمره، ولا سيّما أنّه الإمام الذي تنسب إليه الحركة الإسماعيلية التي قامت بدور هامّ في تاريخ العالم الإسلامي منذ ظهورها. ^(٢)

قد عرفت عقيدة الشيعة الإمامية في حقّ إسماعيل وأئمهم - عن بكرة أبيهم - يذكرون إسماعيل بخير، اقتداء بإمامهم الصادق عليه السلام وأنّ رميه بشرب الخمر من صنيع أعداء أهل البيت عليهم السلام حيث كانوا لا يتمكّنون من رمي أئمة الشيعة بالسفاسف فيوجهونها إلى أولادهم المظلومين المضطهدين.

هل كان عمل الإمام تغطية لستره؟

إنّ الإسماعيلية تدّعي أنّ ما قام به الإمام الصادق عليه السلام كان تغطية، لستره عن أعين العباسيين، الذين كانوا يطاردونه بسبب نشاطه المتزايد في نشر التعاليم

١. السيد الخوئي: معجم رجال الحديث: ٣/ ١٢٤-١٢٧، برقم ١٣٠٧.

٢. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسلامية: ١٦.

التي اعتبرتها الدولة العباسية منافية لقوانينها. والمعروف أنه توجه إلى «سلمية» ومنها إلى دمشق فعلم به عامل الخليفة، وهذا ما جعله يغادرها إلى البصرة ليعيش فيها متسترًا بقية حياته.

مات في البصرة سنة ١٤٣ هـ وكان أخوه موسى بن جعفر «الكاظم» حجاباً عليه، أمّا ولي عهده محمد فكان له من العمر أربع عشرة سنة عند موته. (١)

وعلى ما ذكره القائل - خلافاً لأكثر الإسماعيلية - فقد مات في حياة أبيه، فكيف يكون إماماً بعد أبيه وهو رهين التراب!؟

اسطورة حياته بعد رحيل أبيه

غير أنّ بعضهم يجازفون في القول، ويدعون أمراً خارقاً للعادة، ويقولون: والأمر الهام في قضية إسماعيل وإمامته، هو أنه عاش بعد أبيه، وأثبت هذا الخبر كثيرون من المؤلفين المعاصرين له مما يدل على أنّ إسماعيل بقى بعد أبيه اثنتي عشرة سنة.

ولقد حكى أنّ إسماعيل حين ترك المدينة سراً، رُئي ثانية في البصرة، حيث بلغ رفعة، بما أظهر من مقدرة نادرة بشفاء المرضى والمعلولين، وخشية من اكتشاف الأمر، ترك البصرة ورحل إلى سوريا واستقر فيها، ولكن ليس بطمأنينة تامة حيث حالما سمع الخليفة «المنصور» الذي كان يحكم الجزيرة العربية، بوجود إسماعيل، أمر واليه في دمشق بإرساله إسماعيل تحت الحراسة إلى بلاطه، ولكنّ الوالي لم يكن يحترم الإمام إسماعيل فحسب، بل كان من أتباعه، وبناء عليه ولينقذ الوالي سيده الروحي، نصح الإمام أن يترك سوريا لعدة أيام، وما أن ابتعد الإمام

عن سوريا، حتى أعلن الوالي التفتيش الدقيق عنه، وكتب للخليفة أنه لم يجد لإسماعيل أثراً في أيّ مكان. (١)

أقول: ما ذكره أنّ كثيراً من المؤلفين المعاصرين لإسماعيل أثبتوا حياته بعد وفاة أبيه، شيء لم يدعمه بالدليل، فَمَنْ هؤلاء المؤلفون المعاصرون الذين أثبتوا حياته بعد الإمام الصادق، وما هي كتبهم؟! نعم أوعز الكاتب في الهامش إلى عمدة الطالب، وتقدم نصّه (٢) وليس فيه أيُّ إشارة إلى ذلك، فضلاً عن إشارته إلى كثيرٍ من المؤلفين المعاصرين للإمام إسماعيل، هكذا تحرّف الحقائق بيد العابثين اللاعبين بتاريخ أمتنا المجيدة، أو بيد سماسرة الأهواء فييبحون الكذب لدعم المذهب.

وقد اعترف بهذه الحقيقة الكاتب الإسماعيلي عامر تامر حيث قال: هناك أقوال كثيرة لمؤرخين يؤكدون فيها أنه مات في عهد والده، وأنّ قصة ظهوره في البصرة أسطورة لا تقوم على حقيقة، ومهما يكن من أمر فالإسماعيليون اشتهروا بالتخفي والاستتار، والمحافظة على أئمتهم. لذلك ليس بعيداً أن تكون الرواية الأولى صحيحة. (٣)

إنّ تفسير قصة وفاة إسماعيل بالتمويه والتغطية فكره ورثها الجدّد من الإسماعيليين عن أسلافهم، قال مصطفى غالب: «ولكن أغلب مؤرّخي الإسماعيلية يقولون: إنّ قصة وفاة إسماعيل في حياة أبيه كانت قصة أرادها الإمام جعفر الصادق التمويه والتغطية على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، الذي كان يُطارده أئمة الشيعة في كلّ مكان، وتحت كلّ شمس، فخاف جعفر الصادق على ابنه وخليفته إسماعيل، فادّعى موته وأتى بشهود كتبوا المحضر إلى الخليفة

١. أ.س. بيكلي: مدخل إلى تاريخ الإسماعيلية: ٢٠.

٢. مرّ نصّه ص ٧٢.

٣. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٨٠-١٨١.

العباسي، الذي أظهر سروراً وارتياحاً لوفاة إسماعيل الذي كان إليه أمر إمامة الشيعة، ثم شُوهد إسماعيل بعد ذلك في البصرة، وفي بعض البلدان الفارسية. وعلى هذا الأساس لم تسقط الإمامة عن إسماعيل بالموت قبل أبيه لأنه مات بعد أبيه. (١)

ويقول في موضع آخر: ورأينا الأخير في هذا الموضوع بعد أن اطلعنا على جميع ما كتب حول إمامة إسماعيل، نقول: بأن الإمام جعفر الصادق قد شعر بالأخطار التي تهدد حياة ابنه الإمام إسماعيل، بعد أن نصّ عليه، وأصبح ولياً للعهد، فأمره أن يستتر وكان ذلك عام ١٤٥ هـ، خشية نقمة الخلفاء العباسيين وتدبر الأمر بأن كتب محضراً بوفاته، وشهد عليه عامل المنصور، الذي كان بدوره من الإسماعيلين.

و فوراً توجه إسماعيل إلى سلمية، ومنها إلى دمشق، وعلم المنصور بذلك، فكتب إلى عامله أن يلقي القبض على الإمام إسماعيل، ولكن عامله المذكور كان قد اعتنق المذهب الإسماعيلي، فعرض الكتاب على الإمام إسماعيل، الذي ترك البلاد نحو العراق حيث شوهد بالبصرة عام ١٥١ هـ، وقد مرّ على مقعد فشفاه بإذن الله، ولبث الإمام إسماعيل عدّة سنوات يتنقل سرّاً بين أتباعه، حتى توفي بالبصرة عام ١٥٨ هـ.

ويؤكد كتاب دستور المنجمين أن إسماعيل هو أول إمام مستور وكان بدء ستره سنة ١٤٥ هـ ولم يمت إلا بعد سبع (٢) سنين. (٣)

ما ذكره أسطورة حاكتها يدُ الخيال، ولم يكن الإمام الصادق عليه السلام ولا

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٦ ترى أنّ المؤرخ الأوّل الإسماعيلي يذكر موته في حياة أبيه وهذا يؤكد على موته بعده، فما هو الحق؟ وما هو المتوقع من مذهب حجر أساسه الرب والشك!!!

٢. فيكون وفاته على هذا عام ١٥١، لا عام ١٥٨ كما ذكره قبل سطر.

٣. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٤٢-١٤٣.

أصحابه الأجلاء، ممن تتلمذوا في مدرسة الحركات السرية، حتى يفتعل موت ابنه بمرأى ومسمع من الناس، وهو بعدُ حيٌّ يُرزق، ولم يكن عامل الخليفة بالمدينة المنورة بليداً، يكتفي بالتنويه، حتى يتسلّم المحضر ويبعث به إلى دار الخلافة العباسية.

والعجب أنّ الكاتب يذكر في كلامه الثاني أنّ عامل الخليفة في المدينة كان بدوره من الإسماعيليين، مع أنه لم يكن في ذلك اليوم أثر للإسماعيلية: «وكانت الإمامة لأبيه الإمام الصادق عليه السلام فكيف يكون في حياة الصادق عليه السلام من الإسماعيلية؟! وأعجب منه أنه يعتمد في إثبات معتقده بدستور المنجمين، ثم يذكر له مصدراً في التعليقة بالشكل التالي «بلوشيه ٥٧-٥٨ دى خويه ٢٠٣».

إنّ عقيدة إسلامية مبنية على تنبؤ المنجمين - وما أكثر أخطائهم - عقيدة منهارَةٌ وفاشلة.

ولو أنّ هؤلاء التجأوا في تصحيح إمامة ابنه، محمد بن إسماعيل إلى القول بعدم بطلان إمامة إسماعيل بموته في حياة والده، ولما توفي الإمام الصادق تسلم عبد الله بن إسماعيل الإمامة من والده، لكان أرجح من اللجوء إلى بعض الأساطير التي لا قيمة علمية لها في مجالات البحوث التاريخية والعقائدية المبتنية على أسس علمية دقيقة.

والحقّ أنّه توفي أيام حياة أبيه، بشهادة الأخبار المتضاربة التي تعرفت عليها، وهل يمكن إغفال أمة كبيرة وفيهم جواسيس الخليفة وعمالها؟! وستر رحيل إسماعيل إلى البصرة بتمثيل جنازة بطريقة مسرحية يعلن بها موته فأنه منهج وأسلوب السياسيين المخادعين، المعروفين بالتخطيط والمؤامرة، ومن يريد تفسير فعل الإمام عن هذا الطريق فهو من هؤلاء الجماعة « وكلّ إناء بالذي فيه ينضح ». وأين هذا من وضع الجنازة مرّات وكشف وجهه والاستشهاد على موته وكتابة الشهادة على كفته؟!!

والتاريخ يشهد على أنه لم يكن لإسماعيل ولا لولده الإمام الثاني، آية دعوة في زمان أبي جعفر المنصور ولا ولده، بشهادة أنّ المهدي العباسي الذي تسلم عرش الخلافة بعد المنصور العباسي ١٥٨-١٦٩ هـ كان متشدداً على أصحاب الأهواء والفرق، وكتب له ابن المفضل صنوف الفرق صنفاً صنفاً، ثم قرأ الكتاب على الناس، فقال يونس: قد سمعت الكتاب يقرأ على الناس على باب الذهب بالمدينة، ومرة أخرى بمدينة الواضح، فقال: إنّ ابن المفضل صنف لهم صنوف الفرق فرقة فرقة حتى قال في كتابه: وفرقة يقال لهم الزرارية، وفرقة يقال لهم العمارية أصحاب عمار الساباطي، وفرقة يقال لهم اليعفورية، ومنهم فرقة أصحاب سليمان الأقطع، وفرقة يقال لهم الجواليقية. قال يونس: ولم يذكر يومئذ هشام بن الحكم ولا أصحابه. (١)

تري أنه يذكر جميع الفرق المزعومة للشيعة، حتى يذكر العمارية المنسوبة إلى عمار الساباطي الذي لم يكن له يوم ذاك أيّ تابع إلاّ كونه فطحياً مؤمناً بإمامة عبد الله الأفتح، ولا يذكر الإسماعيلية؟! فلو كانت لإسماعيل دعوة سرية أيام المنصور، ثم لابنه محمد، حيث كانا ينتقلان من بلد إلى بلد، كان من المحتّم مجيء اسمه في قائمة أصحاب الأهواء. كلّ ذلك يدلّ على أنّ المذهب قد نشأ بعد لأي من الدهر.

إلى هنا تمّ البحث في الإمام الأوّل، وكانت حصيلته هي:

أنّ الرجل كان رجلاً ثقة، محبوباً للوالد، وتوفي في حياة والده وهو عنه راض، ولم تكن له أيّ دعوة للإمامة، ولم تظهر أيّ دعوة باسمه أيام خلافة المهدي العباسي الذي توفي عام ١٦٩ هـ وقد مضى على وفاة الإمام الصادق عليه السلام إحدى وعشرون سنة.

الإمام الثاني

محمد بن إسماعيل

(١٣٢-١٩٣هـ)

محمد بن إسماعيل، هو الإمام الثاني للإسماعيلية، قال ابن عنبه: أعقب إسماعيل من محمد وعلي ابني إسماعيل، أما محمد بن إسماعيل فقال شيخ الشرف العبيدي: هو إمام الميمونية وقبره ببغداد.

ويصفه الكاتب الإسماعيلي أنه ولد سنة ١٤١ في المدينة عندما توفي والده الإمام إسماعيل، اضطر لترك المدينة خوفاً من مراقبة الرشيد العباسي، الذي استطاع بنشاطه من إخماد كافة الثورات والدعوات الإمامية، فذهب إلى الكوفة، ومنها إلى فرغانة، ثم إلى نيسابور، عمل على نشر دعوته بنشاط في الجزيرة العربية، وفي كافة البلدان الإسلامية، وقد استطاع التعمية على الخلفاء العباسيين والإفلات من قبضتهم، وهم المهدي والهادي والرشيد.

إزداد تستراً بعد أن أعطى الرشيدُ أمراً بالقبض عليه، ثم إنه رَحَلَ إلى الريّ ومنها إلى نهاوند، وفيها عقد زواجه على ابنة أميرها أبي المنصور بن جوشن، وبعد ذلك توجه إلى «تدمر» في سرر: ا حيث جعلها مركزاً لإقامته ونشر دعوته، وجّه الرشيد جيشاً لإلقاء القبض عليه عندما كان في نهاوند، ولكن أتباعه تمكنوا من الانتصار على الجيش المذكور وردّوه خائباً.

يقال أنه هو الذي أرسل الداعيين: الحلواني وأبا سفيان إلى المغرب، تُوفي في

مدينة «تدمر» و دفن في جبل واقع إلى الشمال الغربي منها، ويعرف حتى الآن بضريرح محمد بن علي، وفاته سنة ١٩٣ هـ.

يقال إنَّ حجته هو ميمون القداح، والحقيقة أن الإمام محمد بن إسماعيل هو نفسه كان يحمل لقبى ميمون والقداح.

ترك عدداً من الأولاد ومنهم عبد الله الذي كان ولياً للعهد. ^(١)

أقول: للقارئ الكريم أن ينظر إلى كلمات ذلك الكاتب بنظر الشك والريبة، ويتفحص عن مأخذ كلامه ومصادر نقله، فإنَّ ما وقفنا عليه في السير والآثار لا يدعم كلامه، وذلك للأسباب التالية:

١. إنَّ شيخ الشرف العبيدي قال: إنَّه توفي ببغداد، وقبره هناك، والكاتب يذكر أنه توفي بـ«تدمر» بسوريا، وقبره هناك، وله ضريرح معروف بضريرح «محمد بن علي» ولكن من أين علم أنه ضريرح محمد بن إسماعيل؟! وأنه حُرِّفَ اسم والده.

٢. الروايات المتضاربة من الفريقين تشهد على أنه كانت بينه وبين الرشيد صلة وكان موقفه منه، موقف العين، وقد أخبره بما يجري في أوساط العلويين، من جمع الأموال للثورة، والدعوة إلى الإمامة. و من هذه الروايات التي وقفنا عليها:

روى ابن عنبه، عن أبي القاسم بن إسماعيل نسابة المصريين، أن موسى الكاظم عليه السلام كان يخاف ابن أخيه محمد بن إسماعيل، ويبرّه، وهو لا يترك السعي به إلى السلطان من بني العباس.

وقال أبو نصر البخاري: كان محمد بن إسماعيل بن الصادق عليه السلام مع موسى الكاظم عليه السلام يكتب له السر إلى شيعة في الآفاق. فلما ورد الرشيد الحجاز، سعى ^(٢) محمد بن إسماعيل بعمه إلى الرشيد. فقال: أعلمت أن في الأرض خليفتين

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٨١.

٢. ذكر الشيخ المفيد أن الساعي بعمه الكاظم عليه السلام إلى الرشيد هو علي بن إسماعيل لا أخوه محمد. وذكر قصة السعاية أنظر (الإرشاد) باب ذكر السبب في وفاته عليه السلام.

يجبى إليهما الخراج؟ فقال الرشيد: وملك أنا ومن؟ قال: موسى بن جعفر. وأظهر أسرارَه فقبض الرشيد على موسى الكاظم عليه السلام وحبسه، وكان سبب هلاكه، وحظى محمد بن إسماعيل عند الرشيد، وخرج معه إلى العراق، ومات ببغداد، ودعا عليه موسى بن جعفر عليه السلام بدعاء استجابه الله تعالى فيه وفي أولاده، ولما لِيَمَّ^(١) موسى بن جعفر عليه السلام في صلة محمد بن إسماعيل والاتصال مع سعيه به. قال: إني حدثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي صلى الله عليه وآله، الرحم إذا قُطِعَتْ فَوَصَلَتْ ثُمَّ قُطِعَتْ فَوَصَلَتْ ثُمَّ قُطِعَتْ ثُمَّ قُطِعَتْ ثُمَّ قُطِعَتْ قطعها الله تعالى، وإنا أردتُ أن يقطع الله رحمه من رحمي.^(٢)

هذا ما رواه ابن عنبه من طرق أهل السنّة، كما رواه محدثوا الشيعة ونأتي بنص أفضلهم وأوسعهم اطلاعاً، أعني: الشيخ الكليني المتوفى عام ٣٢٩هـ في الكافي.

روى الكليني بسند صحيح^(٣) عن علي بن جعفر قال: جاءني محمد بن إسماعيل وقد اعتمرنا عمرة رجب، ونحن يومئذ بمكة، فقال: يا عمُّ إني أريد بغداد، وقد أحببتُ أن أُودِعَ عمي أبا الحسن - يعني موسى بن جعفر عليه السلام - وأحببت أن تذهبَ معي إليه، فخرجتُ معه نحو أخي، وهو في داره التي بالحبوة، وذلك بعد المغرب بقليل، فضربت الباب فأجابني أخي، فقال: مَنْ هذا؟ فقلت: علي، فقال: هو ذا أُخْرِجُ - وكان بطيء الوضوء - فقلت: العجل، قال: واعجل فخرج وعليه ازار ممشق^(٤) قد عقده في عنقه حتى قعد تحت عتبة الباب، فقال علي بن جعفر: فانكببتُ عليه فقبلتُ رأسه، وقلت: قد جئتُك في أمر إن تره صواباً

١. فعل ماضي مجهول من اللوم.

٢. ابن عنبه: عمدة الطالب: ٢٣٣.

٣. رواه عن علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى العبيدي، عن موسى بن القاسم البجلي وهو نجل معاوية بن وهب البجلي، عن علي بن جعفر، والرواة ثقات والرواية صحيحة.

٤. أي مصبوغ بالمشق وهو الطين الأحمر.

فالله وفق له، وإن يكن غير ذلك، فما أكثر ما نخطئ، قال: وما هو؟ قلت: هذا ابن أخيك يريد أن يودعك ويخرج إلى بغداد، فقال لي: أدعه، فدعوته وكان متنحياً، فدنا منه فقبل رأسه.

وقال: جعلت فداك أوصني فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي، فقال مجيباً له: من أرادك بسوء فعل الله به، وجعل يدعو على من يريده بسوء، ثم عاد فقبل رأسه، فقال: يا عم أوصني، فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي، فقال: من أرادك بسوء فعَلَّ الله به وفعل، ثم عاد فقبل رأسه، ثم قال: يا عم أوصني، فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي، فدعا على من أراد به بسوء، ثم تنحى عنه، ومضيت معه، فقال لي أخي: يا عليّ مكانك فقمْتُ مكاني فدخل منزله، ثم دعاني فدخلتُ إليه، فتناول صرة فيها مائة دينار فأعطانيها. وقال: قل لابن أخيك يستعين بها على سفره، قال عليّ: فأخذتها فأدرجتها في حاشية ردائي، ثم ناولني مائة أخرى وقال: أعطه أيضاً، ثم ناولني صرة أخرى وقال: أعطه أيضاً.

فقلت: جعلت فداك، إذا كنتَ تخاف منه مثل الذي ذكرت، فلمَ تعينه على نفسك؟ فقال: إذا وصلته وقطعني قطع الله أجله، ثم تناول مِخْدَه أدم، فيها ثلاثة آلاف درهم وضح^(١) وقال: أعطه هذه أيضاً قال: فخرجت إليه فأعطيته المائة الأولى ففرح بها فرحاً شديداً ودعا لعمّه، ثم أعطيته الثانية والثالثة ففرح بها حتى ظننت أنه سيرجع ولا يخرج، ثم أعطيته الثلاثة آلاف درهم فمضى على وجهه حتى دخل على هارون فسلم عليه بالخلافة، وقال: ما ظننتُ أنّ في الأرض خليفتين، حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يُسَلِّم عليه بالخلافة، فأرسل هارون إليه بمائة ألف درهم فرماه الله بالذبحه^(٢) فما نظر منها إلى درهم ولا مسّه. (٣)

١. الوضح: الدرهم الصحيح. لسان العرب: ٢/٦٣٥، مادة «وضح».

٢. الذبحة: وجع في الحلق، أو دم ينجق فيقتل. لسان العرب: ٢/٤٣٨، مادة «ذبح».

٣. الكليني: الكافي: ١/٤٨٥-٤٨٦.

روى الكشي في رجاله، عن أبي جعفر محمد بن قولويه القمي، قال: حدثني بعض المشايخ، عن علي بن جعفر بن محمد عليه السلام، قال: جاءني محمد بن إسماعيل ابن جعفر يسألني أن أسأل أبا الحسن موسى عليه السلام، أن يأذن له في الخروج إلى العراق، وأن يرضى عنه ويوصيه بوصية، قال: فتجنبت حتى دخل المتوضى ... فلما خرج قلت له: إن ابن أخيك محمد بن إسماعيل، يسألك أن تأذن له في الخروج إلى العراق، وأن توصيه. فأذن له عليه السلام، فلما رجع إلى مجلسه قام محمد بن إسماعيل، وقال: يا عم أحب أن توصيني. فقال: «أوصيك أن تتقي الله في دمي». فقال: لعن الله من يسعى في دمك. ثم قال: يا عم أوصني، فقال: «أوصيك أن تتقي الله في دمي». قال: ثم ناوله أبو الحسن عليه السلام صرة فيها مائة وخمسون ديناراً، فقبضها محمد، ثم ناوله أخرى فيها مائة وخمسون ديناراً، فقبضها، ثم أعطاه صرة أخرى فيها مائة وخمسون ديناراً، فقبضها ثم أمر له بألف وخمسة درهم كانت عنده. فقلت له في ذلك: استكثرت؟ فقال: «هذا ليكون أوكد لحجتي إذا قطعني ووصلته». قال: فخرج إلى العراق، فلما ورد حضرة هارون أتى باب هارون بثياب طريقه قبل أن ينزل، واستأذن على هارون وقال للحاجب: قل لأمر المؤمنين إن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بالباب. فقال الحاجب: انزل أولاً وغير ثياب طريقك و عُدْ لأدخلك إليه بغير إذن فقد نام أمير المؤمنين في هذا الوقت. فقال: أعلم أمير المؤمنين أنني حضرت ولم تأذن لي، فدخل الحاجب وأعلم هارون قول محمد بن إسماعيل، فأمر بدخوله، فدخل قال: يا أمير المؤمنين خليفتان في الأرض موسى بن جعفر بالمدينة يجبي له الخراج وأنت بالعراق يجبي لك الخراج. فقال: والله؟! فقال: والله. فقال: والله؟! قال: فأمر له بمائة ألف درهم، فلما قبضها وحمل إلى منزله أخذته الريحة في جوف ليلته، فمات، وحول من الغد المال الذي حمل إليه. ^(١)

١. الكشي: الرجال: ٢٢٦، في ترجمة هشام بن الحكم.

و رواه ابن شهر آشوب في مناقبه. ^(١)

فلو صح ما ذكره فكيف تكون له ثورة أيام الرشيد وهو يتعامل معه، معاملة العيون والجواسيس، أو السعاة والوشاة.

نعم نقل أبو الفرج الاصفهاني نفس القصة وتبعه الشيخ المفيد ^(٢) ولكن الساعي في كليهما هو علي بن إسماعيل أخو محمد بن إسماعيل، لكن السند قاصر، لأن الاصفهاني يرويّه عن أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة المتوفى عام ٣٣٢هـ عن شيخه: يحيى بن الحسن العلوي ^(٣) والرواية مرسلّة إذ لا يتمكن ابن عقدة من نقل القصة بواسطة واحدة، كيف والإمام الكاظم قد أخذ في آخر السبعينات بعد المائة، وتوفي عام ١٨٣هـ ^(٤) ولأجل الإيحاء إلى الإرسال أضاف المفيد بعد إنهاء السند قوله عن مشايخهم: فما نقله الكليني بسند صحيح هو المعتبر.

وما ذكره: «وجه الرشيد جيشاً لإلقاء القبض عليه عندما كان في نهاوند...» لم أقف على مصدره ولقد تصفّحت حياة الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) في تاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي، وكامل الجزري، فلم أجد فيها شيئاً من الحرب المزعومة وانتصار محمد بن إسماعيل على جيش الرشيد.

نعم نقل الجزري في حوادث سنة ٣١٢هـ: انه ظهر في الكوفة رجل ادّعى أنّه «محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو رئيس الإسماعيلية، وجمع جمعاً عظيماً من الأعراب وأهل السواد واستفحل أمره في شوال، فسير إليه جيش من بغداد، فقاتلوه وظفروا به وانهمز،

١. ابن شهر آشوب: المناقب: ٣٢٦/٤، قريباً مما نقله الكليني والكشي.

٢. المفيد: الإرشاد: ٢٩٨.

٣. في إرشاد المفيد: أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى عن مشايخهم.

٤. الجزري: الكامل: ١٦٤/٦، لاحظ حوادث سنة ١٨٣هـ.

وقتل كثير من أصحابه. (١)

قال مصطفى غالب: ويعتبر الإمام محمد بن إسماعيل أول الأئمة المستورين، و الناطق السابع و متم الدور، لأن إمامته كانت بداية دور جديد في تاريخ الدعوة الإسماعيلية، فقام بنسخ الشريعة التي سبقتها، وبذلك جمع بين النطق والإمامة، ورفع التكليف الظاهرة للشريعة، ونادى بالتأويل، واهتم بالباطن، ولذلك قال فيه الداعي إدريس: «وإنما خص محمد بن إسماعيل بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور الستر، لأنك إذا عددت آدم ووصيه وأئمة دوره، كان خاتمهم الناطق، وهو نوح عليه السلام وإذا عددت عيسى ووصيه قائمة دوره، كان محمد عليه السلام متسلماً لمراتبهم، وهو الناطق خاتم للنطقاء، وكان وصيه عليه السلام بالفضل منفرداً به، وإذا عددت الأئمة في دوره كان محمد بن إسماعيل سابعهم، وللسابع قوة على من تقدمه، فلذلك صار ناطقاً وخاتماً للأسبوع، وقائماً وهو ناسخ شريعة صاحب الدور السادس، ببيان معانيها وإظهار باطنها المبطن فيها. (٢)

ولولا أنه فسر نسخ الشريعة ببيان معانيها وإظهار باطنها المبطن فيها، كان المتبادر منه أنه كان صاحب شريعة ودين حديث وهو كما ترى.

ثم إن ظاهر كلامه أن النبي عليه السلام كان خاتماً للدور الثاني، وأن الدور الثالث يبدأ بوصي النبي عليه السلام علي أمير المؤمنين عليه السلام و بما أتهم لا يعدون الحسن بن علي في أئمتهم، يكون محمد بن إسماعيل هو سابع الأئمة وأفضلهم.

إن ما ذكره اعتبارات وتحيلات لم يقم عليها دليل، فما هو الدليل القاطع العقلي أو النقلي على هذا الدور، وإن كل سابع، خاتم له.

١. الجزري: الكامل: ٨/ ١٥٧.

٢. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٤٨.

الإمام الثالث

عبد الله بن محمد بن إسماعيل

(١٧٩-٢١٢هـ)

ولد في بلدة نيسابور عام ١٧٩ هـ من ألقابه: المستور، والرضي، والناصر،
والعطار، وعبد الله الأكبر، كان كثير التنقل بين نهاوند والأهواز وطبرستان.

عرف أنه كان معاصراً للرشيد، وقد أدرك عصر المأمون. سمى جميع دعائه
باسمه حتى لا يعرف. عندما خرج من فرغانة إلى الديلم، وكان يصحبه أخوه
حسين. وفي الديلم تزوج فتاة علوية وولد له منها أحمد.

و ألف في سلمية رسائل «إخوان الصفاء وخلان الوفاء».

توفي سنة ٢١٢ هـ ودفن في سلمية^(١) وصرح به يعرف بالإمام إسماعيل.^(٢)

إن من يدرس كتاب رسائل «إخوان الصفاء وخلان الوفاء» يقف على أنه
أثر لجنة علمية لا تأليف شاب لم يتجاوز عمره الثلاثين إلا قليلاً.

إن هذا الكتاب ألف في القرن الرابع الهجري، وقد قامت بتأليفه جماعة،
وكان أبو حيان التوحيدي على معرفة بأحوال أحد أفرادها، وقد وصفه لصمصام
الدولة الذي ولي الأمر في سنة ٣٧٢ هـ.^(٣)

١. بليدة بالشام من أعمال حمص.

٢. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٨٢.

٣. ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٢٢/٩.

ففي مقدمة المحقق: تألفت هذه الجماعة في القرن الرابع الهجري، وكان موطنها البصرة، ولها فرع في بغداد، ولم يعرف من أشخاصها سوى خمسة يتغشاهم الغموض والشك... فقل إن أحدهم هو أبو سليمان محمد بن معشر البستي المعروف بالمقدسي، والآخر أبو الحسن علي بن هارون الزنجاني، ثم أبو أحمد المهرجاني، فأبو الحسن العوفي، فزيد بن رفاعه، ويؤخذ من كلام لأبي حيان التوحيدي أثبتة أحمد زكي باشا في مقدمته لرسائل الإخوان أن زيد بن رفاعه كان متهماً بمذهبه، وإن الوزير صمصام الدولة بن عضد الدولة سأله عنه.^(١)

١. رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء: ٥، المقدمة.

الإمام الرابع

أحمد بن عبد الله

(١٩٨-٢٦٥هـ)

عرّفه الكاتب عارف تامر بقوله: ولد في سلمية سنة ١٩٨ هـ واتخذ من هذه المدينة مقراً له ومركزاً لتوزيع الدعاة ونشر التعاليم في المناطق الأخرى. كان على جانب كبير من العلم، وإليه تنسب رسالة الجامعة لإخوان الصفاء وخلان الوفاء. ولد له ولدان هما: الحسن وسعيد.

كان يتنقل بين الديلم والكوفة، وغيرهما في سبيل التجارة. والحقيقة أنّ ذلك لم يكن إلّا في سبيل نشر الدعاية والأفكار الإسماعيلية. لقبه الوفي. عاصر المأمون واشترك في إثارة الناس عليه، إلى أن يقول: كان يقضي فصل الشتاء في سلمية، والصيف في مصياف. نشاط الدعاة في عصره بلغ الأوج خاصة في المجال العلمي.

مات في مصياف سنة ٢٦٥هـ عن ٦٧ عاماً، ودفن فيها في جبل مشهد.^(١) ويقول المؤرخ المعاصر: ولقد تعرض الإمام أثناء وجوده في السلمية لمضايقات الخلفاء العباسيين المستمرة، لذلك وجد بأنّ السلمية لم تعد مكاناً صالحاً له، فغادرها سرّاً إلى الري حيث استقر فيها مدّة طويلة عمل خلالها لنشر دعوته على نطاق واسع، فاعتنقها أكثر الملوك والأمراء، وقدموا جميع إمكانياتهم

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٨٢.

لمساعدة الدعوة في سبيل نشرها وتعميمها في جميع الأقطار الشرقية، والجدير بالذكر أنّ أكثر الحكام والولاة في العهد العباسي كانوا يتظاهرون بنقمتهم على الإسماعيلية، بينما كانوا يدينون بعقائدها في الباطن وينصرون للدعاة، ويعملون سراً على تقوية الدعوة وإنجاحها.^(١)

وقد ذكر عارف تامر أنّ لقبه هو الوفي في حين أنّ مصطفى غالب قد لقبه بمحمد التقي، والظاهر أنّها لقبين لشخص واحد.

ولا يذهب عليك ما في كلامه من المبالغة من اعتناق أكثر الحكام والولاة لعقائد الإسماعيلية، فإنّ المؤرّخين المعاصرين^(٢)، قد اعتادا على المبالغة في الشناء وانتشار الدعوة من دون أن يذكر الكلامهما مصدراً.

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٦٧.

٢. عارف تامر، مصطفى غالب، والثاني أكثر مبالغة.

الإمام الخامس

الحسين بن أحمد

(٢١٩-٢٨٩هـ)

ولد في مصيف سنة ٢١٩هـ كان مركز إقامته في سلمية. اشتهر بشروته المالية الطائلة.

من ألقابه: المرتضى، والمقتدى، والزكي، والهادي، والتقي.

لخص رسالة الجامعة برسالة موجزة سماها جامعة الجامعة.

كان على علاقات طيبة مع الهاشميين القاطنين في سلمية، التقى بالنجف الأشرف بالداعي أبي قاسم حسن بن فرح بن حوشب (منصور اليمى) وعلي بن الفضل حيث كانا يدعوان للحسن العسكري الاثنى عشرى فأثر فيهما وأحضرهما إلى سلمية، ثم جهزهما بعد ذلك إلى اليمى.

وفي عهده تم إرسال أبي عبد الله الشيعي^(١) إلى المغرب.

في عصره دبّ الوهن إلى الدولة العباسية وأحدقت بها الثورات والاضطرابات، تولى ابن طولون في عهده شؤون مصر وأوكل إليه تنظيم بلاد الشام أيضاً. كانت الأموال الطائلة تحمل إليه من كافة الجهات حتى من آذربيجان.

١. والقرائن تشهد أن المراد منه، هو عبد الله بن ميمون القداح.

٢. وصار بعد ذلك داعية عبید الله المهدي الإمام السادس، وسيوافيك تفصيله في ترجمة «عبید الله».

مات في سلمية ودفن في مقام جده عبد الله بن محمد وكان ذلك سنة ٢٦٥هـ.^(١)

ما ذكره من أنه توفي عام ٢٦٥هـ غير صحيح، لأنه عام وفاة والده ولعلّه تصحيف سنة ٢٨٩هـ. وقد أَرخ ميلاده ووفاته مؤلف تاريخ الدعوة الإسماعيلية كما ذكرنا وقال: وعهد بالإمامة من بعده لابنه محمد المهدي^(٢) وقال له: إنك ستهاجر بعدي هجرة وتلقى محناً شديدة.^(٣)

قد سبق وأن ذكرنا أنّ محمد بن إسماعيل - أي الإمام الثاني - أرسل الداعيين: الحلواني وأبا سفيان إلى المغرب، ولكن لم يحددا تاريخ البعث، فيما أنّ محمد بن إسماعيل استلم الإمامة - حسب رأي الإسماعيلية - عام ١٥٨هـ وتوفي عام ١٩٣هـ، فيكون إرساله بين الحدين.

كان الداعيان مهتمين بالتبليغ والدعوة في أيام الأئمة الثلاثة إلى أن استلم الإمام الحسين بن أحمد زمام الإمامة، ووقف بأن الدعوة في المغرب تتقدم باستمرار، فحينئذ طلب من الداعية الكبير أبي عبد الله الحسين أحمد بن محمد بن زكريا الشيعي - الذي كان يدعو الناس إلى المذهب الإسماعيلي في البصرة - الذهاب إلى اليمن ويدرس هناك على ابن حوشب ويطيعه ويقتدي به، ثم يذهب بعد فراغه من الدراسة، إلى المغرب قاصداً بلدة «كتامة».

توجه أبو عبد الله إلى اليمن حيث شهد مجالس ابن حوشب وأصبح من كبار أصحابه، فلما أتى خبر وفاة الحلواني وأبي سفيان دعاة المغرب إلى ابن حوشب قال لأبي عبد الله الشيعي: إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فاتّها موطأةً ممهّدة لك.

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٨٣.

٢. عبید الله المهدي.

٣. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٧١. ولم يذكر مصدراً للكلامه.

فخرج أبو عبد الله إلى مكة وأعطاه ابن حوشب مالا وسير معه عبد الله بن أبي ملاحف، فلما قدم أبو عبد الله مكة سأل عن حجاج كتامة، فأرشد إليهم، فاجتمع بهم، ولم يُعرّفهم قصده، وجلس قريبا منهم، فسمعهم يتحدثون بفضائل أهل البيت، فأظهر استحسان ذلك، وحدثهم بما لم يعلموه، فلما أراد القيام سألوه أن يأذن لهم في زيارته والانبساط معه، فأذن لهم في ذلك، فسألوه أين مقصده، فقال: أريد مصر، ففرحوا بصحبته.

وكان من رؤساء الكتاميين بمكة رجل اسمه «حُرَيْثُ الجُمَيْلي»، وآخر اسمه موسى بن مكاد فرحلوا وهو لا يخبرهم بغرضه، وأظهر لهم العبادة والزهد، فازدادوا فيه رغبة وخدموه، وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم وعن طاعتهم لسلطان إفريقية، فقالوا: ما له علينا طاعة، وبيننا وبينه عشرة أيام، قال: أفتحملون السلاح؟ قالوا: هو شغلنا، ولم يزل يتعرّف أحوالهم حتى وصلوا إلى مصر، فلما أراد وداعهم قالوا له: أي شيء تطلب بمصر؟ قال: أطلب التعليم بها^(١) قالوا: إذا كنت تقصد هذا فبلادنا أنفع لك، ونحن أعرف بحقك، ولم يزالوا به حتى أجابهم إلى المسير معهم بعد الخضوع والسؤال، فسار معهم.

فلما قاربوا بلادهم لقيهم رجال من الشيعة فأخبروهم بخبره، فرغبوا في نزوله عندهم واقترعوا فيمن يضيّفه منهم، ثم رحلوا حتى وصلوا إلى أرض كتامة منتصف شهر ربيع الأول سنة ثمانين ومائتين، فسأله قوم منهم أن ينزل عندهم حتى يقاتلوا دونه، فقال لهم: أين يكون فوج الأخيار؟ فتعجبوا من ذلك ولم يكونوا ذكروه له، فقالوا له: عند بني سليمان، فقال: إليه نقصد، ثم تأتي كل قوم منكم في ديارهم ونزورهم في بيوتهم، فأرضى بذلك الجميع.

و سار إلى جبل يقال له إنكجان، وفيه فوج الأخيار، فقال: هذا فوج الأخيار، وما سمي إلاّ بكم ولقد جاء في الآثار: أنّ للمهدي هجرة تنبو عن الأوطان، ينصره

١. يريد تعليم مذهب أهل البيت ﷺ.

فيها الأخيار من أهل ذلك الزمان، قوم مشتق اسمهم من الكتان، فإنهم كتامة وبخروجكم من هذا الفج يسمّى فجّ الأخيار.

ثمّ إنّه قال للكتاميين: أنا صاحب البدر الذي ذكر لكم أبوسفيان والحلواني، فازدادت محبتهم له وتعظيمهم لأمره. ثمّ إنّ الحسن بن هارون وهو من أكابر كتامة، فأخذ أبا عبد الله إليه، ودافع عنه، ومضيا إلى مدينة ناصرون فأتمته القبائل من كلّ مكان وعظم شأنه، وصارت الرئاسة للحسن بن هارون، فاستقام له أمر البربر وعامة كتامة. ثمّ كان الأمر على ذلك حتى توفي الإمام الحسين بن أحمد عام ٢٨٩هـ وعهد بالإمامة من بعده لابنه محمد المهدي، وقال له: إنك ستهاجر بعدي هجرة بعيدة، وتلقى محناً شديدة، فلما قام عبيد الله بعد أبيه انتشرت دعوته، وأرسل إليه أبو عبد الله الشيعي رجالاً من كتامة من المغرب ليخبروه بما فتح الله عليه وآتهم ينتظرونه. وهذا ما سنذكره في سيرة الإمام التالي الإمام عبيد الله المهدي. (١)

هؤلاء هم الأئمة المستورون عند الإسماعيلية، والذي يدلّ على ذلك أن القاضي النعمان وصفهم بالاستتار، وجعل مبدأ الظهور قيام عبد الله الإمام المهدي بالله، وإليك أبياته في أرجوزته يقول:

| | |
|------------------------|-------------------------|
| واشتدت المحنة بعد جعفر | فانصرف الأمر إلى التستر |
| وكان قد أقام بعض ولده | مقامه لما رأى من جلده |
| فجعل الأمر له في ستر | فلم يكن قالوا بذلك يدري |
| لخوفه عليه من أعدائه | إلا ثقّات محض أوليائه |

١. الجزري: الكامل: ٨ / ٣١ - ٣٧؛ تاريخ ابن خلدون: ٤ / ٤٠-٤٤، و أيضاً ص ٢٦١. وقد لخصنا القصة وحذفنا ما ليس له صلة بالموضوع كالحروب التي خاضها أبو عبد الله الشيعي.

وأهلُه الذين قد كانوا معه
لما مضى كلهم لصلبه
قد دخلوا في جملة الرعية
وكلهم له دعاة تسري
يعرفهم في كل عصر وزمن
والاهم، وكلُّ أوليائهم
ولم يكن ينعني من ذكرهم
وليس لي بأن أقول جهراً
وهم على الجملة كانوا استروا
بل دخلوا في جملة السواد
حتى إذا انتهى الكتاب أجله
بمنه مفتاح قفل الدين

فقام بالأمر، وقاموا أربعة
مستترين بعده بحسبه
لشدة المحنة والرزينة
ودعوة في الناس كانت تجري
وكل حين وأوان، كلُّ من
يعلم ما علم من أسمائهم
إلا احتفاظي بمصون سرهم^(١)
ما كان قد أدَّى إلي سراً
ولم يكونوا إذ تولّوا ظهورا
لخوفهم من سطوة الأعداي
وصار أمر الله فيمن جعله
أيده بالنصر والتمكين^(٢)

و مما ينبغي إلفات القارئ إليه أنّ القاضي في كتابه «الأرجوزة المختارة» وإن ذكر في المقام استتار الأئمة بعد رحيل الإمام الصادق وهو يوافق عقيدة الإسماعيلية، لكنّه في مقام الرد والنقد، رد على جميع الفرق الشيعية ماعدا الإمامية الاثني عشرية، فقد رد على مقالات الحريرية، الراوندية، الحصينية، الزيدية، الجارودية، البترية، المغيرية، الكيسانية، الكربية، البيانية، المختارية، الحارثية،

١. لوصح ما ذكره يجب على سائر الدعاة سلوك مسلكه وعدم التنويه بأسمائهم، لكن المشهور خلافه، ولعلّ الاختلاف في أسمائهم وسائر خصوصياتهم دفعه إلى هذا الاعتذار.

٢. القاضي النعمان: الأرجوزة المختارة: ١٩١-١٩٢، والأرجوزة تبحث عن قضية الإمامة منذ وفاة الرسول، إلى عصره، والظاهر أنّه ألفها في عهد الخليفة الفاطمي الثاني القائم بأمر الله وكان حكمه من سنة ٣٢٢ إلى ٣٣٤ كما استظهر محقق الكتاب.

العباسية، الرزامية. ولم يردّ على الإمامية بشيء فلو لم يكن المذهب الاثنا عشري مرضياً عنده لما فاته التعرض عليه، كيف وهو من أعظم فرق الشيعة؟! وهذا يدل على أنّ المؤلف كان إمامياً اثني عشرياً - حسب رأي المحدث النوري - ويعيش في حال التقية في عصر الخليفة الفاطمي المعزّ بدين الله في القاهرة وبجاريه، وقد ألف دعائم الإسلام، الذي اعتمدت عليه الإسماعيلية والاثنا عشرية، وإنّما المهم هو كتاب «تأويل الدعائم» الذي انفرد المذهب الإسماعيلي في الاعتماد عليه. ولعلّه كان هناك مبرر لتأليف هذا الكتاب وما مثله والله العالم.

ومع ذلك سيوافيك ما يخالف هذا الرأي في الفصل الثالث عشر ضمن ترجمة أبي حنيفة النعمان.

إلى هنا تمت ترجمة سيرة الأئمة المستورين، فلوجعلنا إسماعيل بن جعفر أول الأئمة، فالأئمة المستورون خمسة وهم:

١. إسماعيل بن جعفر، وقد عرفت أنّه لم تكن له أية دعوة، وإنّما ذكرناه في هذه القائمة مجارة للقوم.

٢. محمد بن إسماعيل، ولم تثبت عندنا له دعوة، بل كان يتعاطى مع هارون الرشيد على ما عرفت.

٣. عبد الله بن إسماعيل، المعروف بالوفي.

٤. الإمام أحمد بن عبد الله، المعروف بالتقي.

٥. الحسين بن أحمد، المعروف بالرضي.

وعلى هذا فالإمام السادس أعني عبيد الله المهدي - الذي خرج عن كهف الاستتار، وأسس دولة إسماعيلية بإفريقية - هو ابن الإمام السابق، أعني: الحسين بن أحمد، وعلى ذلك جرى مؤرخو الإسماعيلية فيذكرونه ابناً للإمام السابق، ومع

ذلك ففي نسبه خلاف كما سيوافيك تفصيله.

تنمة

الموجود في كتب أنساب الطالبين أنّ محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق لم يعقب إلاّ من رجلين، ولم يتعرّضوا لعبد الله بن محمد، فضلاً عن أحمد بن عبد الله وولده الحسين.

قال الرازي: ولمحمد بن إسماعيل هذا من الأولاد المعقبين اثنان: إسماعيل الثاني، وجعفر الأكبر السلامي. ^(١)

وقال أبو طالب الأزورقاني: وعقب محمد من رجلين: جعفر الأكبر السلامي، وإسماعيل الثاني. ^(٢)

وقال ابن عتبة: وأعقب محمد بن إسماعيل من رجلين: إسماعيل الثاني، وجعفر الشاعر «السلامي». ^(٣)

نعم ذكر الشهرستاني: أنّ ثلاثة من أولاد محمد بن إسماعيل بقوا مستورين لا وقوف لأحد عليهم: الرضي، والوفي، والتقي ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ ^(٤) ثمّ ظهر المهدي بالمغرب وبنى المهديّة. ^(٥)

ولكن ما ذكره الشهرستاني رأي تفرّد به.

ولذلك نرى أنّ بعض علماء الأنساب جعل أئمة الإسماعيلية على الترتيب

التالي:

١. الرازي: الشجرة المباركة: ١٠١.

٢. أبو طالب الأزورقاني: الفخري في انساب الطالبين: ٢٣.

٣. ابن عتبة: عمدة الطالب: ٢٣٤.

٤. الكهف: ٢٢.

٥. الرازي: الشجرة المباركة: ١٠٣.

١. إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق.
 ٢. محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، المعروف بالمكتوم.
 ٣. ابنه: جعفر بن محمد السلامي، المعروف بالمصدق.
 ٤. ابنه: محمد بن جعفر، المعروف بالحبيب. ^(١)
 ٥. ابنه: عبيد الله المهدي ابن محمد الحبيب، وعليه يكون المهدي الإمام الخامس.
- وفي بعض الروايات أنه ابن جعفر بن الحسن بن الحسن، بن محمد بن جعفر الشاعر السلامي بن محمد بن إسماعيل. ^(٢)

الفصل السادس

في

الأئمة الظاهريين

الإمام السادس عبيد الله المهدي

(٢٦٠-٣٢٢هـ)

الإمام عبيد الله الملقب بالمهدي، هو مؤسس الدولة الإسماعيلية في المغرب. ولد بسلامية التي هي بلدة بالشام من أعمال حمص عام ٢٦٠-٢٥٩ ودعي له بالخلافة على منابر: رقادة، والقيروان، يوم الجمعة لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٢٨٩هـ فخرجت بلاد المغرب عن ولاية بني العباس، وبني البلدة المعروفة بـ«المهدية» وتوفي بها عام ٣٢٢هـ.

إذا سبرنا التاريخ نجد أنّ المؤرخين، وأصحاب المعاجم، لا يمتسّون إسماعيل ولا الأئمة الذين تلوه بكلمة مشينة، وإنّما يذكرونهم كسائر الفرق فلهم ما لهم وعليهم ما عليهم، فلما وصل الأمر إلى عبيد الله الذي أسس دولة شيعية في المغرب و تعاقب على حكمها خلفاء تمكنوا من إرساء دعائمها وتقوية مرتكزاتها، ثارت نائرة السنّة المعاندين، وأخذوا يصبّون عليهم قوارع الكلم، ويرمونهم بأفطع النسب والتهم، ممّا يندى لها الجبين، والذي دعاهم لذلك أمران:

الأول: عداؤهم السياسي، فهؤلاء الخلفاء أخرجوا المغرب ومصر والشامات من قبضة الخليفة ببغداد، ممّا حرض البلاط العباسي ووعاظ الخلفاء على سبّهم والظعن في نسبهم، وأنّ نسب عبد الله المهدي لا يصل إلى آل علي، بل إلى مجوسي أو يهودي.

الثاني: بغضهم للشيعة، فلقد قام الخلفاء الفاطميون بتأسيس دولة إسلامية شيعية، لأول مرة في أقصاع كبيرة من الأرض وأشاعوا فيها التشيع، وحب أهل البيت، وأمروا بإدخال «حي على خير العمل» في الأذان، وترك بعض البدع، كإقامة صلاة التراويح جماعة وغيرها، مما حدا بالمتعصبين من أهل السنة كالذهبي، ومن لف لفه - الذي كان لا يقيم للأشاعرة من أهل العقائد ولا لغير الخنابلة من أهل الفقه وزناً ولا قيمة، فكيف للشيعة المنزهة لله سبحانه عن الجسم ولوازمه - أن يسبهم ويتهمهم بتهم رخيصة، واتهم من عناصر يهودية قلبوا الإسلام ظهراً لبطن.

فما نرى في كتب التاريخ والمعاجم حول نسب عبيد الله المهدي، كـ «وفيات الأعيان» لابن خلكان، وسير أعلام النبلاء للذهبي وغيرهما لا يمكن الاعتماد عليها والثوق بها، لأنها وليدة أجواء العداء السياسي، والاختلاف المذهبي، اللذين يعميان ويصمان.

نعم هناك من رد تلك التهم المشينة من المؤرخين برحابة صدر كابن خلدون في مقدمته، والمقريري في خططه.

يقول ابن خلدون: أولهم عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر الصادق^(١) بن محمد المكتوم بن^(٢) جعفر الصادق، ولا عبرة بمن أنكر هذا النسب من أهل القيروان وغيرهم وبالمحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالظعن في نسبهم، وشهد فيه أعلام الأئمة، وقد مرّ ذكرهم. فإن كتاب المعتضد

١. هو جعفر الأكبر السلامي، ولد محمد بن إسماعيل ابن الإمام الصادق عليه السلام وربما يعبر عنه بالمصدق لتمييز عن جدّه الإمام الصادق عليه السلام.

٢. سقط عن الطبع: ابن إسماعيل بن جعفر الصادق، أنظر عمدة الطالب: ٢٣٥، وقد ذكر ابن خلدون نفسه في مكان آخر نسبه وقال: لما توفّي محمد الحبيب بن جعفر بن محمد بن إسماعيل الإمام عهد إلى ابنه عبيد الله وقال: أنت المهدي... التاريخ ٤ / ٤٤.

إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة يغرهم بالقبض عليه، لما سار إلى المغرب، شاهد بصحة نسبه، وشعر الشريف الرضي مسجل بذلك. والذين شهدوا في المحضر فشهادتهم على السماع وهي ما علمت، وقد كان نسبهم ببغداد منكرًا عند أعدائهم شيعة بني العباس منذ مائة سنة، فتلون الناس بمذهب أهل الدولة وجاءت شهادة عليه مع أنها شهادة على النفي، مع أن طبيعة الوجود في الانقياد إليهم، وظهور كلمتهم حتى في مكة والمدينة أدل شيء على صحة نسبهم. وأما من يجعل نسبهم في اليهودية والنصرانية ليعمون القدح وغيره، فكفاه ذلك إثماً وسفسفة. ^(١)

ثم إن تقي الدين المقرئ بعد ما نقل أقوال المخالفين في حق عبيد الله المهدي - حيث إتهم وصفوه تارة بأنه ابن مجوسي، وأخرى أنه ابن يهودي - أخذ بالقضاء العادل وقال:

وهذه أقوال إن أنصفت تبين لك أنها موضوعة، فإن بني علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قد كانوا إذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة، فما الحامل لشيعتهم على الإعراض عنهم والدعاء لابن مجوسي أو لابن يهودي؟! فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية في الجهل والسخف، وإنما جاء ذلك من قبل ضَعْف خلفاء بني العباس عندما غصوا بمكان الفاطميين، فإنهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة، وملكوا من بني العباس بلاد المغرب ومصر والشام وديار بكر والحرمين واليمن، وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة وعجزت عساكر بني العباس عن مقاومتهم.

فلاذت حينئذ بتفجير الكافة عنهم بإشاعة الطعن في نسبهم، وبث ذلك عنهم خلفائهم وأعجب به أولياؤهم وأمراء دولتهم الذين كانوا يحاربون عساكر الفاطميين كي يدفعوا بذلك عن أنفسهم وسلطانهم معرفة العجز عن مقاومتهم،

و دفعهم عما غلبوا عليه من ديار مصر، والشام والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد، وأسجل القضاة بنفيهم من نسب العلويين، وشهد بذلك من أعلام الناس جماعة منهم الشريفان الرضي والمرتضى^(١) وأبو حامد الاسفرائيني والقُدوري في عدة وافرة عندما جمعوا لذلك في سنة اثنتين وأربعمئة أيام القادر.

وكانت شهادة القوم في ذلك على السماع لما اشتهر، وعرف بين الناس ببغداد وأهلها من شيعة بني العباس، الطاعنون في هذا النسب، والمتطيرون من بني علي ابن أبي طالب، الفاعلون فيهم منذ ابتداء دولتهم الأفاعيل القبيحة، فنقل الأخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه، ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر، والحق من وراء هذا.

وكفناك بكتاب المعتضد من خلائف بني العباس حجة، فإنه كتب في شأن عبيد الله إلى ابن الأغل بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة^(٢) بالقبض على عبيد الله، ففتظن - أعزك الله - لصحة هذا الشاهد، فإن المعتضد لولا صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه، إذ القوم حينئذ لا يدعون لدعي البتة ولا يدعون له بوجه، وإنما يتقادون لمن كان علويًا، فخاف مما وقع، ولو كان عنده من الأدعياء، لما مرّ له بفكر ولا خافه على ضيعة من ضياع الأرض.

وإنما كان القوم، أعني: بني علي بن أبي طالب، تحت ترقب الخوف من بني العباس لتطلبهم لهم في كل وقت، وقصدتهم إياهم دائماً بأنواع من العقاب، فصاروا ما بين طريد شريد، وبين خائف يترقب، ومع ذلك فإن لشيعتهم الكثيرة المنتشرة في أقطارهم من المحبة لهم، والإقبال عليهم مالا مزيد عليه، وتكرّر قيام

١. سيوافيك كلام الرضي الذي نقله ابن أبي الحديد في شرحه.

٢. سجلماسة مدينة انشئت سنة ١٤٠ هـ، وتقع في محلة تافيلات اليوم في طرف صحراء المغرب على بعد حوالي ٣٢٥ كلم إلى الجنوب الشرقي لمدينة فاس، عمرها بربر مكناسة، ولما تولّاها اليسع بن سمغون المكناسي أحاطها بسور وبنى بها عدة مصانع و قصور، وقد استمر عمران هذه المدينة إلى القرن العاشر الهجري. (دولة التشيع في بلاد المغرب: ١٠٩).

الرجال منهم مرة بعد مرة والطلب عليهم من ورائهم، فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يُعرفون، حتى تسمى محمد بن إسماعيل الإمام جُدَّ عبيد الله المهدي بالمكتوم، سمّاه بذلك الشيعة عند اتّفاقهم على إخفائه، حذراً من المتغلبين عليهم، وكانت الشيعة فرقةً.

فمنهم من كان يذهب إلى أنّ الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل ابنه، وهؤلاء يعرفون من بين فرق الشيعة بالإسماعيلية من أجل أنّهم يرون أنّ الإمام من بعد جعفر ابنه إسماعيل، وأنّ الإمام بعد إسماعيل بن جعفر الصادق هو ابنه محمد المكتوم، وبعد ابنه محمد المكتوم، ابنه جعفر الصادق^(١)، ومن بعد جعفر الصادق، ابنه محمد الحبيب، وكانوا أهل غلو في دعاويهم في هؤلاء الأئمة.

وكان محمد بن جعفر هذا يؤمل ظهوره وأنّه يصير له دولة، وكان باليمن من أهل هذا المذهب كثير بعدن وبإفريقية وفي كتامة و نقره، تلقوا ذلك من عهد جعفر الصادق، فقدم على محمد (الحبيب) بن جعفر والد عبيد الله رجل من شيعته باليمن فبعث معه الحسن بن حوشب في سنة ثمان وستين ومائتين، فأظهرها أمرهما باليمن، وأشهرها الدعوة في سنة سبعين، وصار لابن حوشب دولة بصنعاء، وبثّ الدعاة بأقطار الأرض، وكان من جملة دعائه أبو عبد الله الشيعي، فسّيره إلى المغرب فلقي كتامة ودعاهم، فلما مات محمد (الحبيب) بن جعفر عهد لابنه عبيد الله فطلبه المكتفي العباسي وكان يسكن عسكر مكرم، فسار إلى الشام، ثمّ سار إلى المغرب فكان من أمره ما كان، وكانت رجال هذه الدولة الذين قاموا ببلاد المغرب وديار مصر أربعة عشر رجلاً.

هذه خلاصة أخبارهم في أنسابهم، فتفطن ولا تغتر بزخرف القول الذي لفقوه من الطعن فيهم، والله يهدي من يشاء.^(٢)

١. كان التعبير بالمصدّق.

٢. المقرئزي: الخطط: ١/٣٤٨-٣٤٩.

ولا يظن القارئ الكريم أنّ الكاتب بصدد الدفاع عن عقيدتهم وأصولهم، وما اقترفوه من الأعمال الشنيعة كسائر الخلفاء والملوك، وإنّما الهدف إيقاف القارئ على بخس حملة الأقلام لحق هؤلاء، ولو كان لآل البيت حرية ولم يكن لهم اضطهاد لما التجأوا إلى ترك أوطانهم والهجرة إلى أقاصي البلاد هرباً ممّا يحيط بهم من الأخطار.

ونعم ما قال العزيز بالله أحد الخلفاء الفاطميين:

نحن بنو المصطفى ذوو نحن أولنا مبتلى وخاتمنا
عجيبه في الأيام محتتنا يجرعها في الحياة كاظمنا
يفرح هذا الوري بعيدهم طراً وأعيادنا مآتمنا^(١)

إنّ الباطل إذا خلص من شائبة الحق، لا يمكن أن يدوم ٢٧٢ سنة حاكماً، ٢٠٨ أعوام منها على مصر، وعلى مساحات شاسعة من المغرب والشام والعراق، فلم تكن الدعوة إلحادية، ولا مجوسية، ولا يهودية، بل دعوة إسلامية على نهج آل البيت، لكنّهم ضلّوا في الطريق، فأخذوا ببعض وتركوا بعضاً.

أضف إلى ذلك أنّ الناس بايعوا الحاكم بالله الإمام الحادي عشر وهو ابن خمس وستين سنة ممّا يدلّل على أنّ قلوب الأمة كانت تهوي إليهم ممّا شاهدوا بأمّ أعينهم من إشاعة للعدل وعمران للبلاد، وبسط للثقافة وأمن للطرق.

وأما ما نسب المقرئ إلى الشريف الرضي من أنّه وافق القوم في نفي انتسابهم إلى البيت العلوي فيصفه ابن أبي الحديد ويقول:

«ذكر أبو الحسن الصابي وابنه غرس النعمة محمد في تاريخهما: أنّ القادر بالله عقد مجلساً أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوي، وابنه أبا القاسم المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء، وأبرز إليهم أبيات الرضي أبي الحسن التي

أولها:

ما مقامي على الهوان وعندي مِقُول صَارِمٍ وَأَنْفِ حَمِيٍّ
وإبَاءِ مُخْلَقٍ بِي عَنِ الضَّيِّبِ — كَمَا زَاغَ طَائِرٌ وَحَشِيٍّ
أَيَّ عَذْرٍ لَهُ إِلَى الْمَجْدِ إِنْ ذُ لَ غَلَامٍ فِي غَمِّهِ الْمَشْرِقِيِّ
أَحْمَلِ الضَّيِّمَ فِي بِلَادِ الْأَعَادِي وَبِمَصْرِ الْخَلِيفَةِ الْعَلَوِيِّ
مَنْ أَبَوْهُ أَبِي، وَمَوْلَاهُ مَوْلَا يَ إِذَا ضَامِنِي الْبَعِيدُ الْقَصِيِّ
لَفًّا عِرْقِي بِعِرْقِهِ سِيدَا النَّا سَ جَمِيعًا مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا

وقال القادر للنقيب أبي أحمد: قل لولدك محمد: أيُّ هوانٍ قد أقام عليه عندنا؟! أيُّ ضيمٍ لقي من جهتنا؟! وأيُّ ذلٍّ أصابه في مملكتنا؟! وما الذي يعمل معه صاحب مصر لو مضى إليه؟! أكان يصنع إليه أكثر من صنعنا؟! ألم نولِّه النقابة؟! ألم نولِّه المظالم؟! ألم نستخلفه على الحرمين والحجاز، وجعلناه أمير الحجيج؟! فهل كان يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا؟! ما نظنّه كان يكون لو حصل عنده إلاّ واحداً من أبناء الطالبين بمصر.

فقال النقيب أبو أحمد: أمّا هذا الشعر فمما لم نسمعه منه، ولا رأيناه بخطه، ولا يبعد أن يكون بعض أعدائه نحله إياه، وعزاه إليه.

فقال القادر: إن كان كذلك، فلتكتب الآن محضراً يتضمن القدر في أنساب ولاة مصر، ويكتب محمد خطّه فيه. فكتب محضراً بذلك، شهد فيه جميع من حضر المجلس، منهم النقيب أبو أحمد، وابنه المرتضى، وحمل المحضر إلى الرضي ليكتب خطّه فيه، حمّله أبوه وأخوه، فامتنع من سطر خطه، وقال: لا أكتب وأخاف دعاة صاحب مصر، وأنكر الشعر، وكتب خطه وأقسم فيه أنه ليس بشعره، وأنه لا يعرفه. فأجبره أبوه على أن يكتب خطّه في المحضر، فلم يفعل، وقال: أخاف دعاة المصريين وغيلتهم لي فاتهم معروفون بذلك، فقال أبوه:

يا عجباه، أتخاف من بينك وبينه ستائة فرسخ، ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع؟! وحلف ألا يكلمه، وكذلك المرتضى، فعلا ذلك تقية وخوفاً من القادر، وتسكيناً له.

ولما انتهى الأمر إلى القادر سكتَ على سوءِ أضرمة، وبعد ذلك بأيام صرفه عن النقابة، وولّاه محمد بن عمر النهر السايبي. ^(١)

ذهاب عبيد الله إلى إفريقية

لما تمكن أبو عبد الله واستقر أمره مهّد الطريق لإمامة عبيد الله المهدي، فبعثَ برجال من كتامة إلى سلمية في أرض الشام، فقدموا على عبيد الله وأخبروه بها فتح الله عليه، وكان قد اشتهر هناك أنّ الخليفة المكتفي طلبه، فخرج من سلمية فازاً ومعه ابنه أبو القاسم نزار، ومعهما أهلها فأقاما بمصر مستقرين، ثم سار إلى طرابلس وقد سبقَ خبره إلى «زيادة الله» فسار إلى قسطنطينية فقدم كتاب «زيادة الله» ابن الأغلب إلى عامل طرابلس بأخذ عبيد الله وقد فاتهم، فلم يدركوه، فرحل إلى سجلماسة وأقام بها، فوافي عامله على سجلماسة كتاب زيادة الله، بالقبض على عبيد الله فلم يجد بداً من أن قبض عليه وسجنه. فلما دخل شهر رمضان سار أبو عبد الله من رقادة في جيوش عظيمة يريد سجلماسة، فحاربه اليسع يوماً كاملاً إلى الليل ثم فر عاملها في خاصته، فدخل أبو عبد الله من الغد إلى البلد وأخرج عبيد الله وابنه ومشى في ركبهما بجميع رؤساء القبائل، وهو يقول للناس: هذا مولاكم، وهو يبكي من شدة الفرح حتى وصل بهما إلى فسطاط وأقاما فيها أربعين يوماً، ثم سار إلى إفريقية في ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ونزل برقادة، وقسم على وجوه كتامة أعمال إفريقية. ^(٢)

١. شرح نهج البلاغة: ١/ ٣٧-٣٩.

٢. المقرئزي: الخطط المقرئزية: ١/ ٣٥٠، دار صادر؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٢/ ١٩٢.

ولكن العجب أنّ عبيد الله جزى أبا عبد الله الشيعي جزء السنهار، وذلك أنّ المهدي لما استقامت له البلاد، ودانت له العباد، وبأشر الأمور بنفسه وكف يد أبي عبد الله ويد أخيه أبي العباس، داخل أبا العباس الحسد وعظم عليه الفطام عن الأمر والنهي والأخذ والعطاء، فأقبل يزري على المهدي في مجلس أخيه ويتكلم فيه وأخوه ينهاه ولا يرضى فعله فلا يزيد ذلك إلا لجأجأ، ولم يزل حتى أثر في قلب أخيه وكل ذلك يصل إلى المهدي وهو يتغافل، ثم صار أبو العباس يقول: إنّ هذا ليس الذي كنّا نعتقد طاعته وندعو إليه، لأنّ المهدي يختم بالحجة ويأتي بالآيات الباهرة، فأخذ قوله بقلوب كثير من الناس، منهم إنسان في كتامة يقال له شيخ المشايخ، فواجه المهدي بذلك وقال: إن كنت المهدي، فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك، فقتله، فخافه أبو عبد الله و علم أنّ المهدي قد تغير عليه واتفق هو وأخوه ومن معهما على الاجتماع عند أبي زاكي وعزموا على قتل المهدي، واجتمع معهم قبائل كتامة إلا قليلاً منهم وكان معهم رجل يظهر أنّه منهم وينقل ما يجري إلى المهدي.

فلما وقف المهدي على أمرهم حاربهم وأمر رجالاً معه أن يرصدوا أبا عبد الله وأخاه أبا العباس ويقتلوهما. ^(١)

ولكن الإسماعيلية تنكر ذلك، وتقول: وهذه الأقوال لا يقرها المنطق، ولا يمكن أن يصدقها العقل، فلو كان أبو عبد الله الشيعي يبغي الخلافة لنفسه لكان باستطاعته أن يحصل عليها قبل قدوم الإمام محمد المهدي إلى إفريقية عندما كانت جيوشه يربو عددها على المائة ألف مقاتل بينما كان الإمام المهدي في الرملة بطريقه إليه.

ثم يقول: إنّ أبا عبد الله الشيعي قضى آخر أيامه بقرب الإمام مخلصاً له

حتى أدركته الوفاة، فدفن باحتفال مهيب وصلى عليه الإمام المهدي. (١)

ولكن فات الكاتب أن أبا عبد الله الشيعي وإن كان لا يبغى الخلافة لنفسه لفقدانه الرصيد الشعبي، ومع ذلك كان يتطلع للمشاركة في الأمور، وقد حال المهدي دون ذلك، فعند ذلك ثارت ثائرتة. وتآمر على إمامه.

ثم إن هناك نكتة أخرى هامة وهي أن النبي ﷺ أخبر عن خروج المهدي في آخر الزمان، وأنه يملك الشرق والغرب، ويجري القسط والعدل بين الناس، فاتخذ المهدي هذا الخبر الذائع الصيت ذريعة لاستقطاب الناس حوله، وقد سمى نفسه محمداً، ولقب نفسه بالمهدي فتقمص أوصاف المهدي الذي أخبر به النبي ﷺ ليتخذها وسيلة لتحقيق مآربه وأنه مفترض الطاعة.

وقد مات عبيد الله في ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الأول سنة ٣٢٢ هـ بالمهدية في القيروان عن ثلاث وستين سنة، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وشهراً وعشرين يوماً، وقام بعده ابنه.

الإمام السابع

القائم بأمر الله

(٢٨٠-٣٣٤هـ)

ولد الإمام القائم بأمر الله، ابن الإمام عبید الله المهدي، في محرم سنة ٢٨٠ هجرية «بالسلمية»، وارتحل مع أبيه الإمام محمد المهدي إلى المغرب، وعهد إليه بالإمامة من بعده حسب الأصول الإسماعيلية، فافتنى إثر أبيه وخطا خطاه، ونهج نهجه، وعمل جاهداً على تعزيز وازدهار الدعوة الإسماعيلية، وتعميمها في جميع البلدان والأقاليم، ووجه اهتمامه الزائد لتنظيم وتقوية البحرية الإسماعيلية، فشكل اسطولاً عظيماً، تمكن بواسطته من قهر العصابات البحرية المالطية، التي كانت تأتي بأعمال القرصنة لغزو البلاد الإسماعيلية، وقيامهم بأعمال النهب والسلب والتخريب. واحتل الاسطول الإسماعيلي «جنوه» و«لونبارتي» و«غرناطة» وغيرها من البلاد الإيطالية التي كانت خاضعة لحكم الروم، كما فتح الإسماعيلية جزيرة «صقليا».^(١)

يقول المقرئزي: كان اسمه بالمشرق عبد الرحمان فتسمى في بلاد المغرب بمحمد، فلما فرغ من جميع ما يريد وتمكن، أظهر موت أبيه، واستقل بالأمر وله سبع وأربعون سنة، وتبع سيرة أبيه، وثار عليه جماعة فظفر بهم، وبت جيوشه في البر والبحر فسبوا وغنموا من بلد «جنوه» وبعث جيشاً إلى مصر فملكوا

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٨٤.

الاسكندرية، والاحشيد يومئذٍ أمير مصر، فلما كان في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة خرج عليه أبو يزيد مخلد بن كندار النكاري الخارجي بإفريقية، واشتدت شوكته وكثرت أتباعه، وهزم جيوش القائم غير مرة، وكان مذهبه تكفير أهل الملة، وإراقة دمائهم ديانة، فملك «باجه» وحرّقها، وقتل الأطفال، وسبى النسوان، ثم ملك القيروان، فاضطرب القائم، وخاف الناس، وهموا بالنقلة من «زويلة» وقوى أمر أبي يزيد ونازل المهديّة وحصر القائم بها، وكاد أن يغلب عليها، فلما بلغ المصلّي حيث أشار المهدي أنّه يصل، هزمه أصحاب القائم وقتلوا كثيراً من أصحابه، وكانت له قصص وأنباء، إلى أن مات القائم لثلاث عشرة خلت من شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، عن أربع وخمسين سنة وتسعة أشهر، ولم يرق منبراً، ولا ركب دابةً لصيدٍ مدّة خلافته حتى مات، وصلى مرّةً على جنازة، وصلى بالناس العيد مرة واحدة، وكانت مدّة خلافته اثنتي عشرة سنة وستة أشهر وأياماً، وترك أبا الظاهر إسماعيل، وأبا عبد الله جعفر أو حمزة، وعدنان، وعدّةً أُخر، وقام من بعده ابنه. ^(١)

يقول الجزري في حوادث سنة (٣٣٤): وفي هذه السنة توفي القائم بأمر الله، أبو القاسم محمد بن عبد الله المهدي العلوي صاحب إفريقية، لثلاث عشرة مضت من شوال، وقام بالأمر بعده ابنه إسماعيل، وتلقّب المنصور بالله، وكنمته ^(٢) خوفاً أن يعلم بذلك أبو يزيد، وهو بالقرب منه على «سوسة» وأبقى الأمور على حالها، ولم يتسم بالخليفة، ولم يغيّر السكّة، ولا الخطبة، ولا البنود، وبقي على ذلك إلى أن فرغ من أمر أبي يزيد، فلما فرغ منه أظهر موته، وتسمّى بالخلافة، وعمل آلات الحرب والمراكب، وكان شهماً شجاعاً، وضبط الملك والبلاد. ^(٣)

١. المقرئبي: كتاب الخطط المقرئبية: ٣٥١، دار صادر.

٢. كسيرة أبيه في حقّ المهدي.

٣. الجزري: الكامل في التاريخ: ٨/٤٥٥، دار صادر.

وقد ذكره الذهبي السلفي وبالغ في ذمه، وسلك في ترجمته نفس ما سلكه في ترجمة أبيه، ولأجل ذلك تركنا النقل عنه، ومن أراد الوقوف عليه فليرجع إلى كتابه.^(١)

١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٥١/١٥، مؤسسة الرسالة.

الإمام الثامن

الإمام المنصور بالله

(٣٠٣-٣٤٦هـ)

ولد الإمام المنصور بالله ، إسماعيل بن الإمام القائم بـ«المهدية» في أول جمادى الآخرة سنة ٣٠٣هـ ، وقيل : ولد بالقيروان سنة ٣٠٢هـ تسلّم شؤون الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٣٣٤هـ وكان سياسياً عظيماً ، ومحارباً قديراً ، وخطيباً من أفصح الخطباء وأبلغهم. ^(١)

وقال المقرئزي: جدّ في حرب أبي يزيد حتى ظفر به وحمل إليه فمات من جراحات كانت به ، سلخ المحرم سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ولم يزل المنصور إلى أن مات سلخ شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة عن إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر ، وكانت مدّة خلافته ثمان سنين وقيل سبع سنين وعشرة أيام ، وقد اختلف في تاريخ ولادته فقيل : ولد أول ليلة من جمادى الآخرة سنة ٣٠٣هـ بالمهدية ، وقيل : بل ولد في سنة اثنتين وقيل : سنة إحدى وثلاثمائة ، وكان خطيباً بليغاً يرتجل الخطبة لوقته شجاعاً عاقلاً ، وقام من بعده ابنه. ^(٢)

يقول المؤرخ المعاصر: وما زال أبو يزيد هارباً والجيش تلاحقه حتى التجأ إلى جبل البربر ، وجمع خلقاً كثيراً لمقابلة جيش الإمام المنصور ، ولكنه هزم ، فأدركه

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٨٩.

٢. المقرئزي: الخطط: ١/٣٥١ ، دار صادر.

أحد الأمراء الإسماعيليين وقبض عليه وساقه إلى الإمام المنصور، وكان ذلك سنة ٣٣٦ هجرية، فقتله وأمر الإمام أن تبنى مدينة «المنصورية» تيمناً بذلك الانتصار العظيم، ثم عاد الإمام إلى المهديّة في شهر رمضان عام ٣٣٦ هجرية، فعهد بالإمامة من بعده لولده المعز لدين الله، وتوفي يوم الأحد في الثالث والعشرين من شوال سنة ٣٤٦ هجرية، ودفن جسده الطاهر في مدينة المنصورة، وقيل كانت وفاته سنة ٣٤٣ هجرية ودفن بالمهدية. ^(١)

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٩٠.

الإمام التاسع

المعز لدين الله

مؤسس الدولة الفاطمية في مصر

(٣١٩-٣٦٥هـ)

وهو أوّل خليفة فاطمي ملك مصر وخرج إليها، وكان مغرباً بالنجوم ويعمل بأقوال المنجمين، وكان المعز عالماً، فاضلاً، جواداً، شجاعاً، جارياً على منهاج أبيه في حسن السيرة، وإنصاف الرعية، وستر ما يدعون إليه إلا عن الخاصة، ثم أظهره وأمر الدعاة بإظهاره إلا أنه لم يخرج فيه إلى حد يدم به. ^(١)

يقول المقرئزي: المعز لدين الله أبو تميم، «معد» ولد للنصف من رمضان سنة ٣١٩هـ فانقاد إليه البربر وأحسن إليهم، فعظم أمره واختص من مواليه، «بجوهر» وكناه بأبي الحجاجين، وأعلى قدره، وسيره في رتبة الوزارة، وعقد له على جيش كثيف، فدوّخ المغرب، وافتتح مدناً، وقهر عدّة أكابر وأسّره، حتى أتى البحر المحيط الذي لا عمارة بعده، ثم قدم غانماً مظفراً، فعظم قدره عند المعز، ولما وصل الخبر إلى المعز بموت كافور الإخشيدي صاحب مصر أخذ في تجهيز جوهر بالعساكر إلى أخذ ديار مصر حتى تهيأ أمره، وبرز للمسير، فلما ثبتت قدم جوهر بمصر، عزم المعز على المسير إلى مصر أجال فكره فيمن يخلفه في بلاد المغرب، فوقع اختياره على «يوسف بن زيري الصنهاجي»، وقال له: تأهب لخلافة المغرب،

١. الجزري: الكامل في التاريخ: ٦٦٤ / ٨.

فأكبر ذلك وقال: يا مولانا أنت وأباؤك الأئمة من ولد رسول الله ﷺ ما صفا لكم المغرب فكيف يصفولي وأنا صنهاجي بربري؟! قتلنتي يا مولانا بغير سيف ولا رمح. فما زال به المعز حتى أجاب.

فلما ملك جوهرُ مصر بادر حسن بن جعفر الحسيني بالدعاء للمعز في مكة، وبعث إلى «جوهراً» بالخبر، فسير إلى المعز يعرفه بإقامة الدعوة له بمكة، فأنفذ إليه بتقليده الحرم وأعماله، وسار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل بالجيزة، فعقد له جوهر جسراً جديداً عند المختار بالجيزة، فسار إليه وقد زينت له مدينة الفسطاط فلم يشقها، ودخل إلى القاهرة بجميع أولاده وإخوته وسائر أولاد عبيد الله المهدي، وذلك لسبع خلون من رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، فعندما دخل القصر صلى ركعتين، وأمر فكتب في سائر مدن مصر: خير الناس بعد رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأثبت اسم المعز لدين الله واسم أبيه عبد الله الأمير، وجلس في القصر على سرير الذهب، وصلى بالناس صلاة عيد الفطر في المصلى، وركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء وعمل عيد غدير خم. وقدمت القرامطة إلى مصر فسير إليهم الجيوش وهزموهم، وما زال إلى أن توفي من علة اعتلها بعد دخوله إلى القاهرة بستين وسبعة أشهر وعشرة أيام وعمره خمس وأربعون سنة وستة أشهر تقريباً، فإن مولده بالمهدية في حادي عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة^(١)، ووفاته بالقاهرة لأربع عشرة خلت من ربيع الآخر سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكانت مدة خلافته بالمغرب وديار مصر ثلاثاً وعشرين سنة وعشرة أيام وهو أول الخلفاء الفاطميين بمصر وإليه تنسب القاهرة المعزية، لأن عبده «جوهراً» القائد بناها حسب ما رسم له.

وكان المعز عالماً، فاضلاً، جواداً، أحسن السيرة منصفاً للرعية، مغرمًا بالنجوم، أُقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض

١. وقد أرخ ميلاده عارف تامر بـ٣٤٧ وهو خطأ واضح.

أعمال العراق، وقام من بعده ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار. ^(١)

يقول ابن خلكان: وكان المعز عاقلاً، حازماً، سرياً، أديباً، حسن النظر في النجامة، وينسب إليه من الشعر قوله:

الله ما صنعت بنا
أمضي وأقضي في النفوس
ولقد تعبت بينكم
وينسب إليه أيضاً:

تلك المهاجر في المعاجر
س من الخناجر في الخناجر
تعب المهاجر في الهواجر

اطلع الحسن من جبينك شمسا
و كأن الجمال خاف على الور
فوق ورد في وجنتيك اطلأ
د جفافاً فمد بالشعر ظلا

و هو معنى غريب بديع. ^(٢)

ويقول في موضع آخر: ملك المعز أبو تميم معد بن المنصور العبيدي الديار المصرية على يد القائد جوهر، وجاء المعز بعد ذلك من إفريقية، وكان يُطعن في نسبه، فلما قرب من البلد وخرج الناس للقاءه، اجتمع به جماعة من الأشراف، فقال له من بينهم ابن طباطبا: إلى من ينتسب مولانا؟ فقال له المعز: سنعقد مجلساً ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا. فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم، وقال: هل بقي من رؤسائكم أحد؟ فقالوا: لم يبق معتبر، فسئل عند ذلك نصف سيفه وقال: هذا نسبي، ونثر عليهم ذهباً كثيراً،

١. وفيات الأعيان: ٥/ ٢٢٤. المقرئزي: كتاب الخطط المقرئزية: ١/ ٣٥٢-٣٥٤، دار صادر. ومن الغريب أن المقرئزي ذكر ولادة المعز سنة ٣١٧ تارة وأخرى بسنة ٣١٩، وقد اعتمدنا في تعيين سنة ولادته على نقل ابن خلكان.

٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥/ ٢٢٨.

وقال: هذا حسبي، فقالوا جميعاً: سمعنا وأطعنا. (١)

لا شك أنّ عصر المعز لدين الله من العصور الذهبية للإسماعيلية حيث أصبحت مصر داراً للخلافة، وأصبح الإمام المعز أول خليفة فاطمي فيها، فعمل على ترقية العلوم والثقافة، وأمر ببناء الجامع الأزهر، وجعله داراً للعلوم ومنهلاً للثقافة والفكر، وشجّع العلماء، وخصّص لهم المبالغ الطائلة، فوفدوا عليه من كلّ قطر حيث وجدوا المساعدات.

كما أشرف بنفسه على تأليف الكتب على غرار المذهب الإسماعيلي، فتقدمت الثقافة الإسماعيلية تقدماً باهراً، وازدهر في عصره فقهاء وشعراء وفلاسفة يشار إليهم بالبنان.

فمن فقهاء عصره: القاضي النعمان بن محمد بن منصور التميمي المغربي مؤلف كتاب «دعائم الإسلام»، توفي بالقاهرة في ٢٩ من جمادى الثانية سنة ٣٦٣هـ، وصلى عليه الإمام المعز لدين الله.

خدم المهدي بالله مؤسس الدولة الفاطمية تسع سنوات، ثمّ ولي قضاء طرابلس في عهد القائم بأمر الله الخليفة الثاني للفاطميين، وفي عهد الخليفة الثالث المنصور بالله عين قاضياً للمنصورية، ووصل إلى أعلى المراتب في عهد المعز لدين الله الخليفة الرابع الفاطمي إذ رفعه إلى مرتبة قاضي القضاة وداعي الدعاة.

وقد نشر كتابه لأول مرة في مستدرك الوسائل للمحدّث النوري (١٢٥٤-١٣٢٠هـ) مبعثاً وموزعاً أحاديثه على أبواب الكتب الفقهية كما تم طبعه مستقلاً بتحقيق آصف بن علي أصغر فيضي في مصر عام ١٣٧٤هـ وطبع ثالثاً على الأُفست في بيروت عام ١٣٨٣هـ.

ومن شعراء عصره ابن هانئ الأندلسي، وهو محمد بن هانئ الأندلسي من قرية اشبيلية، ولد عام ٣٢٠هـ ولقب بأبي القاسم، ولما اتهم بمذهب الإسماعيلية غادر الأندلس نازلاً إلى المغرب، واتصل بأميره، فبالغ في إكرامه وأحسن إليه، ولما وصل خبره إلى المعز طلبه من أمير المغرب، فأقام عنده حتى ارتحل الإمام المعز إلى مصر فلحق به فيها.

كان ابن هانئ من فحول الشعراء، ولكن قصائده تحكي عن غلوه في حق الأئمة الإسماعيلية حيث تفوح منها رائحة الإلحاد، وقد أعطى لهم ما للخالق من الأوصاف، وإليك مقتطفات من أشعاره:

قال:

| | |
|---------------------------|------------------------------|
| ما شئت لا ماشاءت الأقدارُ | فاحكم فأنت الواحد القهار |
| وكاننا أنت النبي محمد | وكاننا أنصارك الأنصار |
| أنت الذي كانت تبشرنا به | في كتبها الأجزاء والأخبار |
| هذا إمام المتقين ومن به | قد دوخ الطغيان والكفار |
| هذا الذي ترجى النجاة بحبه | و به يحط الإصر والأوزار |
| هذا الذي تجدي شفاعته غداً | حقاً وتحمد أن تراه النار (١) |

إن بيته الأول ينم عن غلوه غلواً يكسي صفة الخالق على المخلوق.

و من العجب أن المؤرخ الإسماعيلي المعاصر حاول تصحيح الأشعار، ودفع الفاسد بالأفسد، حيث قال في تعليقه: إن العقيدة الإسماعيلية تنزه الخالق عن الصفات كالعالم والقادر والصانع و...، فإن إطلاق الصفات عليه يوجب الكثرة في ذاته عندهم، وهم يروون عن الإمام الباقر محمد بن علي زين العابدين

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٠٩.

قوله: «إنَّ الله عالم على المعنى أنه يؤتي العلم من يشاء لا على معنى أنَّ العلم قائم بذاته، وأنَّه تعالى قادر على معنى أنَّ القدرة قائمة بذاتها».

ولمَّا كان الإمام قائماً مقام الأمر والكلمة في هذا العالم فجميع صفات الباري واقفة عليه، ومن هنا نجد أنَّ إطلاق كلمة الواحد القهار على المعزِّ إنَّما هي حسب الاعتقاد. ^(١)

عزب عن هذا المسكين أولاً: أنَّ إطلاق الصفات عليه سبحانه لا توجب الكثرة في ذاته عند المحققين، وذلك لأنَّ الأوصاف وإن كانت مختلفة مفهوماً لكنَّها متحدة وجوداً، فذاته نفس العلم والقدرة والحياة، لا أنَّ كلَّ واحدة من هذه الصفات تمثل جزءاً من ذاته.

وثانياً: أنَّه لو صحَّ ما ذكره من التفسير في العالم والقادر بمعنى أنَّه سبحانه يعطي العلم والقدرة لا يصحَّ ذلك في الواحد القهار، إذ معناه عندئذ أنَّ الإمام يهب الوحدة والقهر من يشاء لكي يصحَّ إطلاقها على الإمام، ولا شكَّ أنَّ في ما جاء به الشاعر غلواً واضحاً، عصمنا الله من غلو الغالين وإبطاء التالين.

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٠٩ الهامش.

الإمام العاشر

العزیز بالله

(١١) (٣٤٤-٣٨٦هـ)

نزار بن معد، العزیز بالله، ولي العهد بمصر يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٥هـ واستقل بالأمر بعد وفاة أبيه، وكان يوم الجمعة حادي عشر الشهر المذكور وسُتِرت وفاة أبيه وسُلم عليه بالخلافة، وكان شجاعاً، حسن العفو عند المقدرة، ذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب «يتيمة الدهر» وأورد له شعراً قاله في بعض الأعياد، وقد وافق موت بعض أولاده وعقد عليه المآتم وهو:

نحن بنو المصطفى ذوو محن يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبه في الأنام محنتنا أولنا مبتلى وخاتمنا
يفرح هذا الورى بعيدهم طراً وأعيادنا مآتمنا

و فتحت له مُحص وحماء وشيْزِر، وحلب، والموصل، وخطب له باليمن ولم يزل في سلطانه وعظم شأنه إلى أن خرج إلى بلييس متوجهاً إلى الشام، فابتدأت به العلة في العشر الأخير من رجب سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ولم يزل مرضه يزيد حتى توفي في مسلخ الحمّام في الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة

١. وقد أَرخ عارف تامر تاريخ وفاته ٣٦٨ وهو خطأ.

ست وثمانين و ثلاثمائة. ^(١) بمدينة بلبيس وحمل إلى القاهرة.

وذكر ابن خلكان أنّ تاريخ وفاته في الثامن والعشرين من شهر رمضان، في حين أنّ المقرئ ذكره في الثامن والعشرين من رجب مع توافقهما في سنة وفاته.

قال ابن الأثير: في هذه السنة توفي العزيز أبو منصور نزار ابن المعز أبي تميم معد العلوي، صاحب مصر لليلتين بقيتا من رمضان وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر ونصف، بمدينة بلبيس، وكان برز إليها لغزو الروم، فلحقه عدة أمراض، منها: التقرس، والحصا، والقولنج، فاتصلت به إلى الشامات.

وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفاً، ومولده بالمهدية من إفريقية. ^(٢)

قال الذهبي: وكان كريماً، شجاعاً، صفوحاً، أسمر، أصهب الشعر، أعين، أشهل، بعيد ما بين المنكبين، حسن الأخلاق، قريباً من الرعية، مغرماً بالصيد، ويكثر من صيد السباع، ولا يؤثر سفك الدماء.

وفي سنة ٣٦٧هـ جرت وقعات بين المصريين وهفتكين الأمير، وقتل خلق، وضرب المثل بشجاعة هفتكين وهزم الجيوش، وفرّ منه جوهر القائد، فسار لحربه صاحب مصر العزيز بنفسه، فالتقوا بالرملة، وكان «هفتكين» على فرس أدهم يجول في الناس، فبعث إليه العزيز رسولاً يقول: أزعجتني وأحوجتني لمباشرة الحرب، وأنا طالب للصلح، وأهب لك الشام كلّها.

قال: فات الأمر، ووقعت الحرب، فحمل العزيز بنفسه عليه في الأبطال، فانهزم هفتكين ومن معه من القرامطة، واستحزّ بهم القتل.

وفي سنة ٣٧٧هـ تهبأ العزيز لغزو الروم فأحرقت مراكبه، فغضب وقتل

١. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥/٣٧١-٣٧٤.

٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ٩/١١٦.

مأتي نفس ائهمهم، ثم وصلت رسل طاغية الروم بهديّة، تطلب الهدنة، فأجاب بشرط أن لا يبقى في مملكتهم أسير، وبأن يخطبوا للعزير بقسطنطينية في جامعها، وعقدت سبعة أعوام. (١)

الإمام الحادي عشر

الحاكم بأمر الله

(٣٧٥-٤١١هـ)

هو منصور بن نزار^(١) ولد يوم الخميس لأربع ليال بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٧٥هـ، وبويع في اليوم الذي توفي فيه والده أي سنة ٣٦٨هـ وكان عمره أحد عشر عاماً ونصف العام وهو من الشخصيات القليلة التي لم تتجلى شخصيته بوضوح، وقام بأعمال إصلاحية زعم مناوئوه أنّها من البدع.

يقول الجزري: وبنى الجامع براشدة، وأخرج إلى الجوامع والمساجد، من الآلات، والمصاحف، والستور والحصر ما لم ير الناس مثله، وحمل أهل الذمة على الإسلام، أو المسير إلى مأمئهم، أو لبس الغيار، فأسلم كثير منهم، ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقاه، ويقول له: إنني أريد العود إلى ديني، فيأذن له.

أظن أنّ إدخال الحصر إلى المساجد، لأجل أنّ المسجد عليه في مذهب الشيعة يجب أن يكون إمّا أرضاً، أو ما أنبتته الأرض، فبما أنّ المساجد كانت مفروشة فحمل الحصر على ذلك.

ويقول أيضاً: ثمّ أمر في سنة ٣٩٩هـ بترك صلاة التراويح، فاجتمع الناس بالجامع العتيق، وصلى بهم إمام جميع رمضان، فأخذه وقتله، ولم يصل أحد

١. وأسماه في «الإمامة في الإسلام» بـ «الحسن بن نزار» ولكن في الخطط، وتاريخ الدعوة الإسماعيلية حسب ما أثبتناه.

التراويح إلى سنة ٤٠٨ هـ. (١)

أقول: لقد قام الخليفة بمهمته، فإن صلاة التراويح كانت تقام في عصر النبي ﷺ والخليفة الأول بغير جماعة، وإنما أُقيمت جماعة في عصر الخليفة الثاني، واصفاً إياها بالبدعة الحسنة، ولما تسلّم الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام زمام الخلافة نهى الناس عن إقامتها جماعة، فلما رأى إصرار الناس على إقامتها جماعة تركهم وما يهون.

وأما رميه بتهمة قتل الإمام بعد انقضاء شهر رمضان، فما لا يقبله العقل، إذ كان في وسع الخليفة منعه من إقامتها أول الشهر فأي مصلحة كانت تكمن في استمهاله إلى آخر الشهر واكتسابه مكانة في القلوب ثم قتله؟!

يقول المقرئ: جامع الحاكم بني خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة، وأول من أسسه أمير المؤمنين العزيز بالله، نزار بن المعز لدين الله معد، وخطب فيه وصلى بالناس الجمعة، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله، فلما وسّع أمير الجيوش بدر الجمالي القاهرة، وجعل أبوابها حيث هي اليوم صار جامعُ الحاكم داخل القاهرة. (٢)

و ينقل أيضاً أنّ الحاكم بأمر الله أمر في سنة ٣٩٣ هـ أن يتم بناء الجامع الذي كان الوزير يعقوب بن كاس بدأ في بنيانه عند باب الفتوح، فقدّر للنفقة عليه أربعون ألف دينار، فابتدأ بالعمل فيه وفي صفر سنة إحدى وأربعمئة زيد في منارة جامع باب الفتوح وعمل لها أركاناً، طول كلّ ركن مائة ذراع.

وفي سنة ٤٠٣ هـ أمر الحاكم بأمر الله بعمل تقدير ما يحتاج إليه جامع باب الفتوح من الحصر والقناديل والسلاسل، فكان تكسير ما ذرع للحصر ٣٦ ألف ذراع، فبلغت النفقة على ذلك خمسة آلاف دينار.

١. الجزري: الكامل في التاريخ: ٣١٦/٩-٣١٧.

٢. المقرئ: الخطط: ٢/٢٧٧.

وتم بناء الجامع الجديد بباب الفتوح، وعلّق على سائر أبوابه ستور ديبقية عملت له، وعلّق فيه تنانير فضة عدتها أربع وكثير من قناديل فضة، وفرش جميعه بالحصر التي عملت له، ونصب فيه المنبر، وتكامل فرشاه وتعليقه، وأذن في ليلة الجمعة سادس شهر رمضان سنة ثلاث وأربعمائة لمن بات في الجامع الأزهر أن يمضوا إليه، فمضوا وصار الناس طول ليلتهم يمشون من كلّ واحد من الجامعين إلى الآخر بغير مانع لهم ولا اعتراض من أحد من عسس القصر، ولا أصحاب الطوف إلى الصبح، وصلّى فيه الحاكم بأمر الله بالناس صلاة الجمعة، وهي أول صلاة أقيمت فيه بعد فراغه. ^(١)

ما ذكرنا من محاسن أعماله قد أخفاها أعداؤه، وبدل ذلك فقد نالوا منه وأكثروا في ذمّه وذكر مساوئ أعماله، حتى تجد أنّ الذهبي قد بالغ في ذمّه ووصفه بقوله: «العبيدي، المصري، الرافضي بل الإسماعيلي الزنديق المدّعي الربوبية».

ثمّ يقول في موضع آخر: وكان شيطاناً مريداً، جباراً عنيداً، كثير التلون، سفاكاً للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر، جواداً ممدحاً، له شأن عجيب ونبا غريب، كان فرعون زمانه، يخترع كلّ وقت أحكاماً يلزم الرعية بها إلى آخر ما ذكر. ^(٢)

و على أيّ حال فهو من الشخصيات القلقة التي تجمع بين محاسن الأعمال ومساوئها.

ولولا أنّ الحاكم كان من الشيعة لما وجد الذهبي السلفي في نفسه مبرراً لصب هذه التقرّيات.

وقد اكتفينا بذلك في ترجمته، لأنّ فيها أموراً متناقضة ومتضادة لا يمكن الإذعان بصحّة واحد منها.

١. المقرّبي: الخطط: ٢/٢٧٧، دار صادر.

٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٥/١٧٤.

انشقاق الإسماعيلية

كانت الإسماعيلية فرقة واحدة، غير أنه طرأ عليهم الانشقاق، فقال قوم منهم: بالوهية الحاكم وغيبته، وهم المعروفون اليوم بـ «الدروز»، يقطنون لبنان. فالدروز إسماعيلية محرّفة، وسيوافيك البحث عن هذه الفرقة وعقائدها في باب خاص، وهي أكثر غموضاً من سابقتها، فهم يمسكون بكتبهم ووثائقهم عن الآخرين.

يقول المؤرخ المعاصر: وفي سنة ٤٠٨ استدعى الحاكم كبير دعائه، وأحد المقربين إليه الموثوق بهم سيدنا «الحمزة بن علي» الفارسي الملقب بـ «الدرزي» وأمره أن يذهب إلى بلاد الشام ليتسلم رئاسة الدعوة الإسماعيلية فيها، ويجعل مقره «وادي التيم»، لأنّ الأخبار التي وردت إلى بيت الدعوة تفيد بأنّ إسماعيلية وادي التيم تسيطر عليهم التفرقة والاختلافات الداخلية، حول تولّي رئاسة الدعوة هناك ولقبه الإمام بـ «السند الهادي».

تمكّن الدرزي في وقت قليل من السيطرة على الموقف في وادي التيم وإعادة الهدوء والسكينة في البلاد، وعمل جاهداً لتوسيع وانتشار الدعوة الإسماعيلية في تلك البلاد.

لبث الدرزي رئيساً للدعوة الإسماعيلية وكبيراً لدعاتها في بلاد الشام حتى أعلنت وفاة الإمام الحاكم وولاية ابنه الطاهر.

لم يعترف الدرزي بوفاة الإمام الحاكم، مدّعياً بأنّ وفاته لم تكن سوى نوع من الغيبة لتخايلص أنفس مريدي الإمام من الأدران، وبقي متمسكاً بإمامة الحاكم ومنتظراً عودته من تلك الغيبة، وبذلك أعلن انفصاله عن الإسماعيلية التي لا تعتقد بالغيبة، وتقول ببقاء الجسم وبقاء سر الإمامة بالروح، فينتقل بموجب النص إلى إمام آخر وهو المنصوص عليه من قبل الإمام المتوفى، وسميت الفرقة

التي تبعت الدرزي بالدرزية نسبة إليه.

وهكذا يتبين للقارئ الكريم بأن الدرزية والإسماعيلية عقيدتان من أصل

واحد.^(١)

وأما عن مصير الحاكم فمجمل القول فيه أنه فقد في سنة ٤١١ هـ ولم يعلم

مصيره، وحامت حول كيفية اغتياله أساطير لا تتلاءم مع الحاكم المقتدر .

يقول الذهبي: وثم اليوم طائفة من طعام الإسماعيلية الذين يملفون بغيبة

الحاكم، وما يعتقدون إلا بأنه باق، وأنه سيظهر^(٢).

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٣٨-٢٣٩.

٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٥/١٠٨، ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ١٠٠.

الإمام الثاني عشر الظاهر لإعزاز دين الله

علي بن منصور^(١)

(٣٩٥-٤٢٧ هـ)

هو علي بن منصور، ولد ليلة الأربعاء من شهر رمضان سنة ثلاثمائة وخمس وتسعين، وبويع بالخلافة وعمره ستة عشر عاماً يقول ابن خلكان: كانت ولايته بعد فقد أبيه بمدّة، لأنّ أباه فقد في السابع والعشرين من شوال سنة ٤١١ هـ وكان الناس يرجون ظهوره ويتبعون آثاره إلى أن تحقّقوا عدمه، فأقام ولده المذكور في يوم النحر من السنة المذكورة.^(٢)

وقد أطنب المقرئزي في سيرته وذكر حوادث حياته.

يقول المقرئزي: مات الظاهر في النصف من شعبان سنة ٤٢٧ هـ عن اثنين وثلاثين سنة إلاّ أياماً، وكانت مدّة خلافته ١٥ سنة وثمانية أشهر.^(٣)

وذكر الذهبي فتنة القرامطة عام ٤١٣ هـ فنقل عن محمد بن علي بن عبد الرحمان العلوي الكوفي أنّه قال: لما صليت الجمعة والركب بعدُ بمنى، قام رجل،

١. سباه عارف تامر علي بن الحسن، وفي المقرئزي وتاريخ الدعوة كما أثبتناه.

٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٤٠٧/٣، دار صادر.

٣. المقرئزي: الخطط: ٣٥٥/١.

فَضْرِبَ الْحَجْرَ الْأَسْوَدَ بِدَبَّوسٍ ثَلَاثًا، وَقَالَ: إِلَى مَتَى يُعْبَدُ الْحَجْرُ فَيَمْنَعُنِي مُحَمَّدٌ مِمَّا أَفْعَلُهُ؟ فَإِنِّي الْيَوْمَ أَهْدِمُ هَذَا الْبَيْتَ، فَاتَّقَاهُ النَّاسُ، وَكَادَ يَفْلِتُ، وَكَانَ أَشْقَرًا، أَحْمَرًا، جَسِيماً، تَامَ الْقَامَةَ، وَكَانَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ عَشْرَةَ فَرَسَانَ عَلَى أَنْ يَنْصُرُوهُ، فَاحْتَسَبَ رَجُلٌ، فَوَجَّاهُ بِخَنْجَرٍ، وَتَكَاثَرُوا عَلَيْهِ، فَأُحْرِقَ، وَقَتْلَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ وَثَارَتِ الْفِتْنَةُ، فَقَتَلَ نَحْوَ الْعَشْرِينَ وَنَهَبَ الْمَصْرِيِّونَ وَقَيْلٌ: أَخَذَ أَرْبَعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَقْرَأُوا بِأَتْمِهِمْ مِائَةَ تَبَايَعُوا عَلَى ذَلِكَ، فَضْرِبَتْ أَعْنَاقَ الْأَرْبَعَةِ، وَتَهَشَّمَتْ وَجْهَ الْحَجْرِ، وَتَسَاقَطَ مِنْهُ شَطَايَا وَخَرَجَ مُكْسَرُهُ أَسْمَرَ إِلَى صَفْرَةٍ. ^(١)

وَيُقَالُ أَنَّ الظَّاهِرَ شَنَّ عَلَى الدَّرُوْزِ حَرْبًا مَحَاوِلًا إِرْجَاعَهُمْ إِلَى الْعَقِيدَةِ الْفَاطِمِيَّةِ الْأَصِيلَةِ، مَدَّةَ خِلَافَتِهِ كَانَتْ سِتَّةَ عَشْرٍ عَامًا... لَمْ تَنْتَهْ هَجْمَاتُ الصَّلِيبِيِّينَ عَنِ الْأَرْضِي وَالثَغُورِ الْعَائِدَةِ لِلدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ، وَقَعَ هَدَنَةٌ مَعَ الرُّومِ. ^(٢)

١. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٥/١٨٥-١٨٦، مؤسسة الرسالة.

٢. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٨٩.

الإمام الثالث عشر

المستنصر بالله

(٤٢٠-٤٨٧هـ)^(١)

هو معد بن علي، ولد يوم الثلاثاء في الثالث عشر من شهر جمادى الآخر سنة ٤٢٠هـ وبويع بالخلافة يوم الأحد في منتصف شهر شعبان سنة ٤٢٧هـ وكان له من العمر سبعة أعوام، وقد ظل في الحكم ستين عاماً، وهي أطول مدّة في تاريخ الخلافة الإسلامية.

يقول ابن خلكان: وجرى على أيامه ما لم يجز على أيام أحد من أهل بيته ممّن تقدّمه ولا تأخره، منها:

١. قضية أبي الحارث أرسلان البساسيري، فإنّه لما عظم أمره وكبر شأنه ببغداد، قطع خطبة الإمام القائم وخطب للمستنصر المذكور، وذلك في سنة خمسين وأربعمائة، ودعا له على منابرها مدّة سنة.

٢. أنّه ثار في أيامه علي بن محمد الصليحي وملك بلاد اليمن، ودعا للمستنصر على منابرها بعد الخطبة.

٣. أنّه أقام في الأمر ستين سنة، وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس.

١. أرخ كل من الكاتيب عارف تامر ومصطفى غالب تاريخ ولادته ٤٢٠هـ.

٤. أنه ولي العهد وهو ابن سبع سنين.

٥. أن دعوتهم لم تنزل قائمة بالمغرب منذ قام جداهم المهدي إلى أيام المعز، ولما توجه المعز إلى مصر واستخلف بلكين بن زيري كانت الخطبة في تلك النواحي جارية على عاداتها لهذا البيت إلى أن قطعها المعز بن باديس في أيام المستنصر، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة.

٦. أنه حدث في أيامه الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام حتى قيل أنه بيع رغيف واحد بخمسين ديناراً، وكان المستنصر في هذه الشدة يركب وحده، وكل من معه من الخواص مترجلون ليس لهم دواب يركبونها، وكانوا إذا مشوا تساقطوا في الطرقات من الجوع، وكان المستنصر يستعير من ابن هبة صاحب ديوان الانشاء بغلته ليركبها صاحب مظلته، وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناته إلى بغداد من فرط الجوع، وتفرق أهل مصر في البلاد وتشتتوا.^(١)

وذكر الذهبي تفاصيل حياته بحسب السنين التي مرت عليه.^(٢)

ولقي المستنصر شداً وأهوالاً، وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر أخرج فيها أمواله وذخائره إلى أن بقي لا يملك غير سجاده التي يجلس عليها، وهو مع هذا صابر غير خاشع.^(٣)

وقد توفي في الثامن عشر من ذي الحجة، ودامت خلافته ستين سنة وأربعة أشهر.

إلى هنا تمت ترجمة الأئمة الثلاثة عشر الذين اتفقت كلمة الإسماعيلية على إمامتهم وخلافتهم، ولم يشذ عنهم سوى الدرروز الذين انشقوا عن الإسماعيلية في

١. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٢٢٩/٥-٢٣٠، دار صادر.

٢. الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١/١٨٦-١٩٦.

٣. الجزري: الكامل: ١٠/٢٣٧.

عهد خلافة الحاكم بأمر الله، وصار وفاة المستنصر بالله سبباً لانشقاق آخر وظهور طائفتين من الإسماعيلية بين: مستعلية تقول بإمامة أحمد المستعلي ابن المستنصر بالله، ونزارية تقول بإمامة نزار ابن المستنصر.

فالمستعلية هم المعروفون في هذه الأيام بالبُهرة، وقد انقسموا إلى: سليمانية وداودية؛ كما أنّ النزاريين هم القائلون بإمامة نزار ابن المستنصر، وانقسموا إلى: مؤمنية وقاسمية. وقد اتفقت الطائفتان الأخيرتان في بعض الأئمة، واختلفت في البعض الآخر، وسيوافيك تفصيل الجميع.

الفصل السابع

في

أئمة المستعالية

الإمام الأوّل المستعلي بالله

(٤٦٧-٤٩٥هـ)

قد ذكرنا - فيما سبق - أنّ المستنصر قد عهد في حياته بالخلافة لابنه «نزار» وقد بويع بعد وفاة أبيه، ولكن خلعه الأفضل وبايع المستعلي بالله، وسبب خلعه أنّ الأفضل ركب مرّة أيام المستنصر، ودخل دهليز القصر من باب الذهب راكباً، و«نزار» خارج، والمجاز مظلم، فلم يره الأفضل، فصاح به نزار: انزل، يا أرمي، كلب، عن الفرس، ما أقلّ أدبك. فحقدتها عليه، فلما مات المستنصر خلعه خوفاً منه على نفسه، وبايع المستعلي، فهرب نزار إلى الاسكندرية، وبها ناصر الدولة «افتكين»، فبايعه أهل الاسكندرية، وسّموه المصطفى لدين الله، فخطب بالناس، ولعن الأفضل، وأعانه أيضاً القاضي جلال الدولة ابن عمار، قاضي الاسكندرية، فسار إليه الأفضل، وحاصره بالاسكندرية، وأخذ «افتكين» قتلته، وتسلم المستعلي نزاراً فبنى عليه حائطاً فمات، وقتل القاضي جلال الدولة ابن عمار ومن أعانه. (١) وحيث إنّه لم يتم الاتفاق على إمامة هؤلاء فقد عقدنا لهم فصلاً مستقلاً.

يقول ابن خلكان: وكانت ولادة المستعلي (أحمد بن معد) لعشر ليال بقين من محرم سنة تسع وستين وأربعمائة، بالقاهرة وبويع في يوم عيد غدِير خم، وهو الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، وتوفي بمصر يوم الثلاثاء

١. ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ١٠/٢٣٧ - ٢٣٨، دار صادر.

ثلاث عشرة ليلة بقيت من صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وله من العمر ثمان وعشرون سنة وأيام^(١)، فكانت مدّة ولايته سبع سنين وكسراً، وتولّى بعده ولده أبو علي المنصور، الملقب بالأمير، وله من العمر خمس سنين وشهر وأربعة أيام، ولم يكن في من تسمى بالخلافة قط أصغر منه، ومن المستنصر، وكان المستنصر أكبر من هذا، ولم يقدر يركب وحده الفرس، وقام بتدبير دولته الأفضل ابن أمير الجيوش، أحسن قيام، إلى أن قتل.^(٢)

الإمام الثاني الأمير بأحكام الله

(٤٩٠-٥٢٤هـ)

هو منصور بن أحمد، ولد في القاهرة في الثالث عشر من محرم، وبويع بالخلافة يوم وفاة والده في الثالث عشر من صفر سنة ٤٩٥هـ وكان له من العمر خمس سنوات، وفي عهده سقطت مدينة «صور» بأيدي الصليبيين، وذلك بعد سقوط انطاكية وبيت المقدس وقيصرية وعكا وبانياس وطرابلس، وأكثرها كانت فاطمية.

من آثاره العمرانية الجامع الأقرم في القاهرة، وتجديد قصر القرافة، وفتح مكتبة دار العلوم للمطالعة والتدريس، قتله النزاريون انتقاماً لإمامهم نزار، وكان في هودج يقوم بالنزهة بين الجزيرة والقاهرة، وقد حُمل إلى القصر، ولكنه لم يلبث أن

١. لو كان له من العمر ثمان وعشرون عاماً عند الوفاة لكانت ولادته عام ٤٦٧هـ، لا ما ذكره من أن ولادته ٤٦٩هـ.

٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان: دار صادر: ١/ ١٨٠.

فارق الحياة في الرابع عشر من ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ، وكان عمره ٣٤ عاماً وتسعة أشهر وعشرين يوماً.^(١)

قال ابن خلكان: ولما انقضت أيامه، خرج من القاهرة صبيحة يوم الثلاثاء في الثالث من ذي القعدة سنة ٥٢٤هـ ونزل إلى مصر، وعدى على الجسر إلى الجزيرة التي قبالة مصر، فكمن له قوم بالأسلحة وتواعدوا على قتله في السكة التي يمر فيها، فلما مرّ بهم وثبوا عليه فلعبوا عليه بأسياهم، وكان قد جاوز الجسر وحده مع عدّة قليلة من غلمانة وبطانته وخاصته وشيعته، فحُمِل في النيل في زورق ولم يمت، وأدخل القاهرة وهو حيّ، وجيء به إلى القصر من ليلته، فمات ولم يعقب، وهو العاشر من أولاد المهدي عبيد الله القائم بسجلماسة، إلى أن يقول: وكان ربعة، شديد الأدمة، جاحظ العينين، حسن الخط والمعرفة والعقل.^(٢)

ومع هذا فيصفه بكونه «قبيح السيرة، ظلم الناس وأخذ أموالهم وسفك دماءهم، وارتكب المحذورات واستحسن القبائح المحظورات، فابتهج الناس بقتله».^(٣)

ولا يخفى وجود التضاد بين الوصفين، فلو كان حسن المعرفة والعقل لما قبحت سيرته وما أخذ أموال الناس ولا أراق دماءهم. والله العالم.

وكان يطمع إلى عرش العباسيين في العراق، ولكن الأحداث الداخلية حالت بينه وبين أمنيته.

يقول المقرئزي: وكانت نفسه تحدّثه بالسفر والغارة على بغداد، ومن شعره في ذلك:

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٩٠-١٩١.

٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٣٠١-٣٠٢، ولاحظ الخطط المقرئزية: ١/٣٥٧ و ٢/٢٩٠.

٣. وفيات الأعيان: ٣٠٢/٥.

دع اللوم عني لست مني بموثق
 وأسقى جيادي من فرات ودجلة
 فلابد لي من صدمة المتحقق
 وأجمع شمل الدين بعد التفرق
 وقال:

أما والذي حجّت إلى ركن بيته
 لاقتحمن الحرب حتى يقال لي
 جراثيم ركبان مقلّدة شهبها
 ملكت زمام الحرب فاعتزل الحربا
 وينزل روح الله عيسى ابن مريم
 فيرضى بنا صحباً وترضى به صحبا^(١)

والمهم في تاريخه، أنه قتل الأفضل الذي مهّد الطريق لأبيه المستعلي في زمانه، ويقال أنه قتل بأشارة أو مؤامرة الأمر بأحكام الله.

يقول المقرئزي: وفي يوم الثلاثاء، السابع عشر من صفر، سنة خمس وتسعين، أحضره الأفضل بن أمير الجيوش، وباع له ونصبه مكان أبيه، ونعته بالأمر بأحكام الله، وركب الأفضل فرساً، وجعل في السرج شيئاً، وأركبه عليه لينمو شخص الأمر، وصار ظهره في حجر الأفضل، فلم يزل تحت حجره حتى قتل الأفضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسة^(٢).

وقد مرّ آنفاً قول ابن خلكان بأن الأمر بأحكام الله مات ولم يعقب، وربّما يقال أنّ الأمر مات وامراته حامل بالطيب، وربّما يقال بأنّ امرأته ولدت أنثى، فلأجل ذلك عهد الأمر بأحكام الله الخلافة إلى الحافظ، الظافر، الفائر، ثم إلى العاضد.

وستتطرق إلى حياة الأئمة الأربعة الذين لم يكونوا من صُلب الإمام السابق، بل كانوا من أبناء عمّه، ولأجل ذلك لا تصح تسميتهم بالأئمة، وإنّما

١. المقرئزي: الخطط: ٢/ ١٩١.

٢. المقرئزي: الخطط: ٢/ ٢٩٠.

هم دعاة، حيث لم يكن في الساحة إمام، ودخلت الدعوة المستعلية بعد اختفاء الطيّب بالستر، وما تزال تنتظر دعوته، وتوقفت عن السير وراء الركب الإمامي، واتبعت نظام الدعاة المطلقين.^(١)

الإمام الثالث الحافظ لدين الله (٤٦٧-٥٤٤هـ)

ولد بعسقلان سنة ٤٦٧هـ عندما مات الأمر، وتوفي في الخامس من جمادى الأولى سنة ٥٤٤هـ فدامت دولته عشرين سنة سوى خمسة أشهر، وعاش سبع وسبعين سنة، وقام بعده ولده الظاهر.^(٢)

عبد المجيد الملقب بالحافظ، ابن أبي القاسم محمد بن المستنصر، بويح بالقاهرة يوم مقتل ابن عمّه الأمر، بولاية العهد وتدبير المملكة، حتى يظهر الحمل المخلف عن الأمر، فغلب عليه أبو علي أحمد بن الأفضل، في صبيحة يوم مبايعته، وكان الأمر لما قتل الأفضل اعتقل جميع أولاده وفيهم أبو علي المذكور، فأخرجه الجند من الاعتقال لما قُتل الأمر، وبايعوه فسار إلى القصر، وقبض على الحافظ المذكور، واستقلّ بالأمر وقام به أحسن قيام، وردّ على المصادرين أموالهم، وأظهر مذهب الإمامية وتمسك بالأئمة الاثني عشر، ورفض الحافظ وأهل بيته، ودعا على المنابر للقائم في آخر الزمان المعروف بالإمام المنتظر على زعمهم، وكتب اسمه على السكة، ونهى أن يؤذن (حي على خير العمل) وأقام كذلك، إلى أن وثب عليه

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٩١.

٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٣/٢٣٦، دار صادر.

رجل من الخاصة بالبستان الكبير بظاهر القاهرة، في النصف من المحرم سنة ست وعشرين وخمسة فقتله، وكان ذلك بتدبير الحافظ، فبادر الأجناد بإخراج الحافظ، وبايعوه ولقبوه الحافظ، ودعي له على المنابر.^(١)

الإمام الرابع

الظافر بأمر الله

(٥٢٧-٥٤٩هـ)

هو إسماعيل بن عبد المجيد ولد في القاهرة يوم الأحد منتصف شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسة، واغتيل في منتصف محرم سنة ٥٤٩هـ ببيع الظافر يوم مات أبوه، بوصية أبيه، وكان أصغر أولاد أبيه سنّاً، ولي الأمر بعد أبيه وكان شاباً جميلاً.

وهو الذي انشأ الجامع المعروف بجامع الفاكهيين، قتله نصر بن عباس أحد أبناء وزرائه، وقد ذكر المؤرخون سبب قتله وتفصيله، فمن أراد فليراجع.^(٢)

وعاش الظافر ٢٢ سنة.

١. وفيات الأعيان: ٣/ ٢٣٥-٢٣٦، وسير أعلام النبلاء: ١٥/ ١٩٩.

٢. المقرئ: الخطط: ٢/ ٣٠ وذكره بإيجاز ابن خلكان في وفيات الأعيان: ١/ ٢٣٧، والذهبي في سير

أعلام النبلاء: ١٥/ ٢٠٤.

الإمام الخامس الفائز بنصر الله (٥٤٤-٥٥٥هـ)

هو عيسى بن إسماعيل ولد عام ٥٤٤هـ، وتسلم الخلافة وله خمس سنين، وبقي على سدة الخلافة ست سنين، ولما اغتيل أبوه، أقامه الوزير عباس مكان والده، تغطية لما ارتكبه ابنه من قتل الإمام الظافر، فلما قدم طلائع بن رزيك، والي الاشمونين بمجموعة إلى القاهرة، فرّ عباس، واستولى طلائع على الوزارة، وتلقّب بالصالح، وقام بأمر الدولة، إلى أن مات الفائز لثلاثة عشرة بقية من رجب سنة ٥٥٥هـ عن إحدى عشرة سنة وستة أشهر ويومين، منها في الخلافة ست سنين وخمسة أشهر وأيام. ^(١)

الإمام السادس العاقد لدين الله (٥٤٦-٥٦٧هـ)

هو عبد الله بن يوسف ولد عام ٥٤٦هـ وتوفي عام ٥٦٧هـ وهو عبد الله ابن يوسف بن عبد المجيد بن محمد بن المنتصر، أقامه طلائع بن رزيك، بعد الفائز، ولي المملكة بعد وفاة ابن عمّه الفائز بنصر الله، وكان العاقد شديد التشيع، بويع وعمره آنذاك إحدى عشرة سنة، وقام الصالح بن رزيك، أخو طلائع بن رزيك، بتدبير الأمور، إلى أن قتل في رمضان سنة ٥٥٦هـ فقام من بعده

١. المقرئبي: الخطط: ١/٣٥٧، لاحظ وفيات الأعيان: ٣/٢٩١، رقم الترجمة ٥١٤، والذهبي: سير اعلام النبلاء: ١٥/٢٠٧ رقم الترجمة ٧٨، وقصد فصل الأخيران الكلام في حياته.

ابنه رزيك بن طلائع، وحسنت سيرته.

يقول المقرئزي: فلما قوى تمكّن الافرنج في القاهرة عام ٥٦٤ هـ وجاروا في حكمهم بها، وركبوا المسلمين بأنواع الإهانة، فسار مري ملك الافرنج يريد أخذ القاهرة، ونزل على مدينة بليس وأخذها عنوة، فكتب العاضد إلى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستصرخه ويحثه على نجدة الإسلام وإنقاذ المسلمين من الافرنج، فجهّز أسد الدين شيركوه في عسكر كثير، وسيرهم إلى مصر، فلما اطّلع الافرنج على قدوم شيركوه، رحلوا عن القاهرة في السابع من ربيع الآخر، ونزل شيركوه بالقاهرة، فخلع عليه العاضد وأكرمه، وتقلّد وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة أيام، ومات في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن أيوب، فساس الأمور ودبّر لنفسه، فبذل الأموال وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال، فلم يزل أمره في ازدياد، وأمر العاضد في نقصان، واستبدّ بالأمر ومنع العاضد من التصرف حتى تبين للناس ما يريد من إزالة الدولة، إلى أن كان من واقعة العبيد ما كان فأبادهم وأفنانهم، ومن حينئذ تلاشى العاضد وانحل أمره ولم يبق له سوى إقامة ذكره في الخطبة، وتبع صلاح الدين جند العاضد، وأخذ دور الأمراء، وإقطاعاتهم، فوهبها لأصحابه، وبعث إلى أبيه وإخوته وأهله فقدموا من الشام عليه، وعزل قضاة مصر الشيعة، واختفى مذهب الشيعة إلى أن نسي من مصر، وقد زاد المضايقات على العاضد وأهل بيته، حتى مرض ومات، وعمره إحدى وعشرون سنة إلا عشرة أيام، وكان كريماً لئس الجانب مرّت به مخاوف وشدائد، وهو آخر الخلفاء الفاطميين بمصر، وكانت مدّتهم بالمغرب، ومصر، منذ قام عبيد الله المهدي إلى أن مات العاضد ٢٧٢ سنة، منها بالقاهرة ٢٠٨ سنين فسبحان الباقي. ^(١)

١. المقرئزي، الخطط: ١/٣٥٨-٣٥٩ باختصار، وابن خلكان: وفيات الأعيان: ٣/١٠٩-١١٢،

والذهبي: سير اعلام النبلاء: ١٥/٢٠٧-٢١٥.

جناية التاريخ على الفاطميين

إن لكل دولة أجلاً مسمّى، كما أنّ لطلوعها ونشئها عللاً، كذلك لزوالها وإبادتها أسباباً سنة الله سبحانه الذي قد كتب على كلّ أمة أمرَ زوالها وفنائها قال سبحانه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾^(١) وقال سبحانه: ﴿مَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾^(٢). لا شك أنّ كلّ دولة يرأسها غيرُ معصوم لا تخلو من أخطاء وهفوات، بل من جرائم وآثام، وربما تتسابقها بين آونة وأخرى حوادث وفتن، تضعضع كيانها وتشرفها على الانهيار.

ومع ذلك فالدولة الفاطمية غير مستثناة عن هذا الخط السائد، فقد كانت لديهم زلات وعثرات ومآثم وجرائم كسائر الدول. إلا أنّهم قاموا بأعمال ومشاريع كبيرة لا تقوم بها إلا الدولة المؤمنة بالله سبحانه وشريعته، كالجامع الأزهر، الذي ظل عبر الدهور يُنير الدرب لأكثر من ألف سنة -، كما أنّهم أنشأوا جوامع كبيرة، ومدارس عظيمة مذكورة في تاريخهم، وبذلك رفعوا الثقافة الإسلامية إلى مرتبة عالية، وتلك الأعمال جعلت لهم في قلوب الناس مكانة عالية.

ومّا يدلّ على أنّ حكمهم لم يكن حكماً استبدادياً، ولم تكن سيرتهم على سفك الدماء، أنّ البعض منهم تسلّموا الخلافة وهم بين خمس سنين إلى عشر سنين، فلو كانت حكومتهم حكومة ظالمة ومالكة للرقاب بالتعسف والظلم، لانهار ملكهم منذ أوائل خلافتهم، ولم يدم ثلاثة قرون، وسط عدوين شرسين، الخلافة العباسية من جانب، والافرنج من جانب آخر.

غير أنّنا نرى أنّ أكثر المؤرّخين يصوّرونهم كالفراعنة، وأنّهم فراعنة الأعصار

الإسلامية، كالقبطيين الذي كانوا فراعنة أعصارهم، لا لم يكونوا بهذه المثابة، كما لم يكونوا نزيهين عن الآثام، خلطوا المحاسن بالمساوي، شأن كل ملك يحكم، وإن كانت محاسنهم أكثر من مساوئهم، فأظن أنّ ما كتبه أقلام السير والتاريخ كلّها حدسيّات وتخمينات أخذوها من رماة القول على عواهنه، فيجب على القارئ دراسة سيرة الفاطميين من رأس وأخذها من معين صاف غير مشوب بالعداء.

والذي يدل على ذلك أنّ الفقيه عمارة اليميني كتب إلى صلاح الدين قصيدة متضمنة شرح حاله وضرورته وسماها «شكاية المتظلم ونكاية المتألم» وهي بديعة ورثى أصحاب القصر عند زوال ملكهم، بقصيدة لامية أجاد فيها. ^(١)

وعلى كلّ تقدير، فبعد وفاة الطيّب بن الأمر وخلافة الأئمة الأربعة المتأخرة، الحافظ، الظافر، الفاتر ثمّ العاضد، دخلت الدعوة المستعلية بالستر وتوقفت عن السير وراء الركب الإمامي واتبعت نظام الدعاة مكان الأئمة.

إلى هنا تم بيان أئمة المستعلية، التي افرقت بعد المستنصر بالله، وصارت فرقة عظيمة معروفة بالبهرة، ولهم اليوم في الهند نشاطات، ومدارس ودعايات، وهم يمسكون بكتبهم عن الغير ويبخلون بها.

إنّ الإسماعيلية المستعلية انقسمت سنة ٩٩٩هـ إلى فرقتين: داودية، وسليمانية، وذلك بعد وفاة الداعي المطلق، داود بن عجب شاه، انتخبت مستعلية كجرات داود بن قطب شاه خلفاً له، ولكن اليمانيين عارضوا ذلك وانتخبوا داعياً آخرأ، يدعى سليمان بن الحسن، ويقولون: إنّ داود قد أوصى له بموجب وثيقة ما تزال محفوظة.

إنّ الداعي المطلق، للفرقة الإسماعيلية المستعلية الداودية اليوم، هو طاهر سيف الدين، ويقوم في بومباي - الهند - أما الداعي المطلق للفرقة المستعلية السللمانية، فهو علي بن الحسين، ويقوم في مقاطعة نجران بالحجاز. ^(٢)

١. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٤٣٤.

٢. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٦٢.

الفصل الثامن

في

أئمة النزارية

المؤمنية والآخانية

قد عرفت أنّ الإسماعيلية افرقت فرقتين، بين مستعلية تأتم بعد المستنصر بالله، بأحمد المستعلي، ثم الأمر بأحكام الله؛ ونزارية تقول: بإمامة نزار بن معد بعد المستنصر، ولا تأتم بالمستعلي أبداً، وقد تعرّفت على أئمة المستعلية، وهذا بيان لأئمة النزارية المشتركة بين الفرقتين «المؤمنية» و«الأغاخانية»، فإنّ الفرقتين تتفقان على إمامة الأئمة الخمسة التالية:

١. المصطفى بالله نزار بن معد المستنصر.

٢. الإمام جلال الدين حسن بن أعلى محمد.

٣. الإمام علاء الدين بن الإمام جلال الدين.

٤. الإمام ركن الدين خورشاه بن الإمام علاء الدين.

٥. الإمام شمس الدين بن ركن الدين.

وقد اتفقت الفرقتان على إمامة الأئمة الخمسة في مسلسل أئمتها، واختلفتا في غيرهم، فإليك قائمة بأسماء أئمة النزارية المؤمنية أولاً، ثم قائمة بأسماء أئمة النزارية «الأغاخانية» أو «القاسمية» ثانياً، وترى أسماء الأئمة المتفق عليهم في كلتا القائمتين.

قائمة الأئمة النزارية المؤمنية:

١. نزار بن معد. ١٢. رضي الدين الثاني بن طاهر.
٢. حسن بن نزار. ١٣. طاهر بن رضي الدين الثاني.
٣. محمد بن الحسن. ١٤. حيدر بن طاهر.
٤. حسن بن محمد «جلال الدين». ١٥. صدر الدين بن حيدر.
٥. محمد بن الحسن «علاء الدين». ١٦. معين الدين بن صدر الدين.
٦. محمود بن محمد «ركن الدين». ١٧. عطية الله بن معين الدين.
٧. محمد بن محمود «شمس الدين». ١٨. عزيز بن عطية الله.
٨. مؤمن بن محمد. ١٩. معين الدين الثاني بن عزيز.
٩. محمد بن مؤمن. ٢٠. محمد بن معين الدين الثاني.
١٠. رضي الدين بن محمد. ٢١. حيدر بن محمد.
١١. طاهر بن رضي الدين. ٢٢. محمد بن حيدر (الأمير الباقر).^(١)

ولد هذا الإمام الأخير في أورنك آباد عام ١١٧٩ هـ لقبه محمد الباقر (وتوفي سنة ١٢١٠ هـ)، كل ما عرف عنه حتى الآن، هو أنه آخر إمام من أسرة مؤمن، يحتفظ الإسماعيليون في سوريا بفرمان مرسل منه، من بلدة أورنك آباد بالهند، إلى الإسماعيليين في سوريا، وفي عهده توقف الفرع المؤمني النزاري عن الركب الإمامي، ولم يبق بين فرق الإسماعيليين سوى القاسمية - الأغاخانية - سائرة على المنهج دون توقف.^(٢)

١. الإمامة في الإسلام: ١٧٨.

٢. الإمامة في الإسلام: ٢١٤.

قائمة الأئمة النزارية القاسمية . الأاخانية:

١. نزار بن معد . ١٧ . أبو الذر علي .
٢. هادي . ١٨ . مراد ميرزا .
٣. مهتدي . ١٩ . ذو الفقار علي .
٤. قاهر . ٢٠ . نور الدين علي .
٥. حسن علي ذكره السلام . ٢١ . خليل الله علي .
٦. أعلى محمد . ٢٢ . نزار علي .
٧. جلال الدين حسن . ٢٣ . السيد علي .
٨. علاء الدين محمد . ٢٤ . حسن علي .
٩. ركن الدين خورشاه . ٢٥ . قاسم علي .
١٠. شمس الدين محمد . ٢٦ . أبو الحسن علي .
١١. قاسم شاه . ٢٧ . خليل الله علي .
١٢. اسلام شاه . ٢٨ . حسن علي .
١٣. محمد بن اسلام . ٢٩ . علي شاه .
١٤. المستنصر بالله الثاني . ٣٠ . سلطان محمد شاه .
١٥. عبد السلام . ٣١ . كريم خان .^(١)
١٦. غريب ميرزا .

فعدد الأئمة عند النزارية المؤمنية بعد المستنصر يبلغ ٢٢ إماماً، وعند الأاخانية يبلغ ٣١ إماماً.

إنّ الاختلاف بدأ يدبُّ بعد الإمام نزار ابن المستنصر، ففي الشجرة المؤمّنية نرى إمامين بعد نزار، هما: حسن، ومحمد، ثمّ حسن جلال الدين، وفي الشجرة القاسميّة نرى خمسة أئمّة بعد نزار، هم: هادي، ومهتدي، وقاهر، وحسن على ذكره السلام، وأعلى محمد، ثم يأتي جلال الدين حسن، هذا ويلاحظ أنّه بعد هذا الالتقاء عند حسن جلال الدين، تعود الشجرتان إلى السير جنباً إلى جنب حتى محمد شمس الدّين، فبعد وفاة هذا الأخير ظهر اختلاف من نوع جديد، فالمعلوم أنّه كان للإمام محمد شمس الدين ثلاثة أولاد، هم: مؤمن شاه، وقاسم شاه، وكياشاه.

فالمؤمّنية اعترفت بإمامة مؤمن شاه، وسارت وراءه، ووراء ولده من بعده حتى آخرهم أمير محمد باقر سنة ١٢١٠ هـ والقاسميّة سارت وراء قاسم شاه، وولده الذين هم أسرة آغاخان. ^(١)

ثمّ إنّ بسط الكلام في ترجمة هؤلاء الأئمّة يوجنا إلى تأليف كتاب مفرد، ولنقتصر على ترجمة الأئمّة الذين حكموا قلعة ألموت من قلاع قزوين، التي دمرها هولاء سنة ٦٥٤ هـ. وكان آخر الأئمّة في تلك القلاع الإمام ركن الدين، الذي ولد عام ٦٢٥ هـ وأسر بيد جيوش التتر، وقتل سنة ٦٥٤ هـ عند ما كانت الجيوش التترية تعبر نهر جيحون لتسليم الإمام والأسرى إلى هولاء.

وأما الباقي فسنترك ذكر سيرتهم، ومن أراد المزيد فليرجع إلى المصادر التالية:

١. الإمامة في الإسلام تأليف عارف تامر، ٢. تاريخ الدعوة الإسماعيلية لمصطفى غالب.

الإمام الأوّل

المصطفى بالله

نزار بن معد المستنصر

(٤٣٧ - ٤٩٠ هـ)

قد تعرفت على أنّ المستنصر عهد بالولاية لابنه نزار إلّا أنّ الأفضل رئيس الوزراء، سعى لخلعه، وبإيع أخاه الأصغر أحمد المستعلي، وقد ذكرنا سبب هذا الخلاف، فغادر الإمام نزار القاهرة بصحبة عدّة من رجال دعوته، ونزل الاسكندرية بدعوة من حاكمها، فسار إليه الأفضل على رأس جيش وحاصر الاسكندرية، وعندما اشتدّ الحصار عليها غادرها الإمام نزار مع أهل بيته متخفياً بزّي التجار، نحو «سجلماسة» حيث مكث عند عمّته هناك بضعة أشهر، حتى عادت إليه الرسل التي أوفدها لإبلاغ الحسن بن الصباح عن محل إقامته، فسار إلى جبال الطالقان مع أهل بيته ومن بقي معه من دعائه وخدمه، حيث استقر بقلعة «آلموت» بين رجال دعوته المخلصين، وعمل مع الحسن بن الصباح على تأسيس الدولة النزارية، وبعد أن تمّ له ذلك أصابه مرض شديد استدعى على أثره دعائه ونص على إمامة ابنه (علي) وذلك سنة ٤٩٠ هـ، وتوفي في اليوم الثاني ودفن في قلعة الموت. (١)

هذا ما يذكره ذلك المؤرخ، ولكنّ غيره من المؤرخين يذكرون شيئاً آخر، وهو أنّ الأفضل لحق به ونشبت بينهم معارك ضارية انتهت بمقتل نزار، وقد انتقم

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٥٥.

النزاريون بمقتله فيما بعد بأن قتلوا الخليفة الفاطمي الأمر بن المستعلي، ورئيس الوزراء الأفضل نفسه. وعلى كل تقدير فقد توفي عام ٤٩٠هـ إماماً في الاسكندرية مقتولاً، أو في قلعة الموت.^(١)

وتجدر الإشارة إلى أنّ الحسن بن الصباح شيخ الجبل (٤٢٨ - ٥١٨هـ) هو المؤسس الواقعي للإمامة النزارية، ولولا بيعته لابن المستنصر لما كان للنزارية دولة.

إنّ ابن الصباح قصد المستنصر بالله في زيارته واجتمع به، وخاطبه في إقامة الدعوة له فأجاب الدعوة له في بلاد العجم، فعاد ودعا الناس إليه سراً، ثم أظهرها وملك قلاع الموت.

يقول الجزري: وكان الحسن بن الصباح رجلاً شهماً، كافياً، عالماً بالهندسة، والحساب، والنجوم والسحر وغير ذلك؛ وكان رئيس الري إنسان يقال له أبو مسلم، وهو صهر نظام الملك، فاتهم الحسن بن الصباح بدخول جماعة من دعاة المصريين عليه، فخافه ابن الصباح، وكان نظام الملك يكرمه، وقال له يوماً من طريق الفراسة: عن قريب يضل هذا الرجل ضعفاء العوام، فلما هرب الحسن من أبي مسلم طلبه فلم يدركه، فطاف البلاد، ووصل إلى مصر ودخل على المستنصر صاحبها فأكرمه وأعطاه مالاً، وأمره أن يدعو الناس إلى إمامته، فقال له الحسن: فمن الإمام بعدك؟ فأشار إلى ابنه نزار، وعاد من مصر إلى موطنه، فلما رأى قلعة الموت واختبر أهل تلك النواحي، أقام عندهم وطمع في إغوائهم ودعاهم في السر، وأظهر الزهد، ولبس المسح، فتبعه أكثرهم، والعلوي صاحب القلعة حسن الظن فيه، يجلس إليه يتبرك به.

فلما أحكم الحسن أمره، دخل يوماً على العلوي بالقلعة، فقال له ابن الصباح: أخرج من هذه القلعة، فتبسم العلوي وظنّه يمزح، فأمر ابن الصباح

١. وليعلم أنّ نزار بن معد المذكور في المقام غير نزار بن معد العزيز بالله الإمام العاشر للإسماعيلية.

بعض أصحابه بإخراج العلوي، فأخرجوه إلى دامغان وأعطاه ماله وملك القلعة. ولما بلغ الخبر إلى نظام الملك بعث عسكرياً إلى قلعة ألموت، فحصره فيها، وأخذوا عليه الطرق، فضاقت ذرعه بالحصر، فأرسل من قتل نظام الملك، فلما قتل رجع العسكر عنها.^(١)

وقال الذهبي: الحسن بن الصباح الملقب بالكيا صاحب الدعوة النزارية وجد أصحاب قلعة ألموت.

كان من كبار الزنادقة ومن دهاة العالم، وله أخبار يطول شرحها، إلى أن قال: وأصله من مرو، وقد أكثر التطواف ما بين مصر إلى بلد كاشغر، يغوي الخلق ويضل الجهلة، إلى أن صار منه ما صار، وكان قوي المشاركة في الفلسفة والهندسة وكثير المكر والحيل، بعيد الغور.

قال أبو حامد الغزالي: شاهدت قصة الحسن بن الصباح لما تزهدت تحت حصون ألموت، فكان أهل الحصن يتمنون صعوده إليهم ويمتنع، ويقول: أما ترون المنكر كيف فشا وفسد الناس؟ فتبعه خلق، ثم خرج أمير الحصن يتصيد فهض أصحابه وملكوا الحصن، ثم كثرت قلاعهم.^(٢)

واستعرض حسن الأمين في «دائرة المعارف الشيعية» تاريخ الإسماعيلية، والانشقاق الذي طرأ على الخلافة الفاطمية بعد وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر، وانقسامها إلى فرقتين هي: المستعلية والنزارية وموقف الحسن بن الصباح منهما، حيث قال:

وكان الحسن بن الصباح من أشد الناس إنكاراً لخلافة أحمد المستعلي وأكثرهم تمسكاً لنزار. ويضيف قائلاً:

١. الكامل في التاريخ: ١٠/٣١٦-٣١٧.

٢. الذهبي: ميزان الاعتدال: ١/٥٠٠.

وثمة من يقول من النزاريين إن الحسن بن الصباح كان في مصر حين وقوع الخلاف على ولاية العهد، فلم يقر ما جرى، وكان ممن يرون أن المستنصر كان مكرهاً على تولية ولده أحمد، وأن الأمر هو لنزار لا لأحمد، ففر الحسن بن الصباح من مصر داعياً لنزار، ثم أرسل بعض فدائييه، فأحضروا ابناً لنزار إلى قلعة الموت.

وفي قول آخر: إنه لم يخرج من مصر حتى أخرج معه ابناً لنزار، واسمه في سلسلة الأئمة النزاريين علي ولقبه الهادي، فأخفاه الحسن وستره.

و مهما يكن من أمر فقد أصبح الحسن بن الصباح الرجل الأوّل والموجه الفعلي للدعوة النزارية.

وبعد ذلك استعرض حسن الأمين الانحراف الخطير الذي طرأ على الدعوة النزارية وتحليلها عن الإسلام كعقيدة وعمل، حيث قال:

توفي الحسن بن الصباح سنة ٥١٨هـ فخلفه من خلفه في قيادة الدعوة النزارية دون أن يعلن هو أو غيره ممن خلفه عن عقيدة جديدة، حتى انتهى الأمر إلى الحسن الثاني بن محمد بن بزرك أمير سنة ٥٥٨هـ فإذا به يعلن التخلي عن الإسلام كعقيدة وعمل والأخذ بمفهوم جديد للدين يتعارض كل التعارض مع مفهوم الإسلام له.

و يصف المؤرخ علاء الدين عطاء الملك الجويني (م ٦٥٨هـ) هذا الأمر وتفصيله ويوم حدوثه، ثم يقول:

فأعلن - أي الحسن الثاني - أن رسالة قد جاءت من الإمام المستر مع دليل جديد.

ثم قال: «إن إمام وقتنا قد بعث إليكم صلواته ورحمته ودعاكم عباده المختارين، ولقد أعفاكم من أعباء تكاليف الشريعة وآل بكم إلى البعث.

ثم يقول الجويني: وأكد حسن بالتصريح بأنه كما في عصر الشريعة إذا لم

يطع إنسان ولم يعبد بل تبع حكم القيامة بحجة أنّ الطاعة والعبادة هما أمران روحيان كان ينكل به ويرجم ويقتل، كذلك الآن في عصر القيامة إذا تقيد إنسان بحرفية الشريعة وواظب على العبادة الجسدية والشعائر فإنّ ذلك تعصب ينكل به ويرجم ويقتل من أجله.

ثمّ أكمل حسن كلامه قائلاً: لقد أعفي الناس من تكاليف الشريعة، لأنّ عليهم في فترة القيامة هذه أن يتوجهوا بكلّ جوارحهم نحو الله، ويهجروا كلّ الشعائر الدينية وجميع العبادات القائمة. فقد وضع في الشريعة بأنّ على الناس عبادة الله خمس مرات في اليوم وأن يكونوا معه. وهذا التكليف كان ظاهرياً فقط. ولكن الآن في أيام القيامة عليهم أن يكونوا دائماً مع الله في قلوبهم، وأن يبقوا نفوسهم متوجهة دائماً نحو الحضرة الإلهية، فإنّها الصلاة الحقيقية. انتهى.

وقد أثر كلامه في الجموع المحتشدة تحت منبره يقول المؤرخ الجويني:

وفي ذلك اليوم الذي اقترفت فيه هذه القبائح وأفشيت فيه تلك المساوئ في «مأمون آباد» عش الكفر، لعب الجميع على الجنك والرباب، وشربوا الخمر بشكل مكشوف على نفس درجات ذلك المنبر وفي مكان جلوس الخطيب.

نعم كان بين المؤمنين بالمذهب من أنكر عليهم ذلك، فترى أنّ يوم الأحد السادس من ربيع الأول سنة ٥٦١هـ قام شقيق زوجة الحسن بطعنه في قلعة (لمسر) فمضى المفتري من هذه الدنيا إلى نار الله الموقدة، ولكن الانحراف لم ينته باغتيال أصله، بل بقي مستمراً على عهد خليفته ابنه «علاء محمد» الذي تولى بعد أبيه وهو في التاسعة عشرة من عمره وتوفي سنة ٦٠٧هـ كما كانت المعارضة الشديدة مستمرة، وإذا كان قد تزعمها في عهد حسن، شقيق زوجته، فقد تزعمها الآن حفيد حسن وسميّه جلال الدين حسن، إذ كان على خلاف أبيه وجدّه في العقيدة متشدداً في خلافه لها كلّ التشدد.

وقام بإصلاحات كبيرة، فقد اتصل بحكام الأقطار الإسلامية يعلنهم

العودة إلى الإسلام ليوثق الصلوات بهم وبجمهور المسلمين بعد الذي شاع عن انحراف جدّه وما أعلنه من خروج على الشريعة، فراسل الخليفة في بغداد «الناصر لدين الله» وغيره من الملوك والأمراء، كما أرسل والدته وزوجته إلى الحجّ وأمر ببناء المساجد وقرب إليه الفقهاء والقراء.

و من البديهي أن لا يكون «جلال الدين حسن» قد استطاع استئصال جذور الانحراف، وأن يظل للانحراف أتباعه الآخذون به شأن جميع الدعوات في كلّ زمان ومكان.

على أنّ أمر دولة هؤلاء النزاريين لم يطل كثيراً بعد جلال الدين، فقد انتهى ملكهم على يد هولاء سنة ٦٥٤ هـ لكن من أخذوا بأقوال الحسن الثاني بن محمد وانحرافه لم ينتهوا، بل ظل للدعوة من يحملها من جيل إلى جيل حتى هذا الجيل وهم اليوم أتباع آغاخان وظلوا هم وحدهم منفردين باسم الإسماعيليين بعد أن تبرأ من هذا الاسم أصحابه الحقيقيين وتسمّوا باسم البهرة.^(١)

الإمام الثاني

علي الهادي بن الإمام نزار

(٤٧٠ - ٥٣٠ هـ)

ولد الإمام علي الهادي بن الإمام نزار سنة ٤٧٠ هـ وارتحل مع والده الإمام نزار إلى قلعة ألموت، ولما توفي أبوه عام ٤٩٠ هـ أصبح إماماً للإسماعيلية ولم يتجاوز عمره عن عشرين سنة.

وقد انتشر المذهب الإسماعيلي في عهده على يد داعيته الحسن بن الصباح، شيخ الجبل، المعروف بالمقدرة والبطش.

عمد الإمام إلى تأليف جيش قويّ من الإسماعيلية، قسّمه إلى فرقتين، الفرقة الأولى أسماها (الفدائية)، وهي المكلفة ببذل التضحيات السريعة المستعجلة، وتنفيذ الأوامر السرية الهامة، ولقد تدرّب أفراد تلك الفرقة أعظم تدريب على استعمال كافة أنواع الأسلحة، وعلى الفروسية، كما لقّنوا مختلف العلوم الفلسفية، وأتقنوا أغلب لغات أهالي تلك البلاد. أمّا الفرقة الثانية سميت بـ (الرفقاء) وهم المكلفون بنشر الدعوة الإسماعيلية بأسلوبهم الخاص في مختلف الأقطار والأقاليم، وهم المدافعون عن مذهبهم بالعلم والفلسفة، وعلى الغالب كانوا يتولون الوظائف الإدارية في البلاد التي يوفدون إليها لنشر الدعوة.

وفي سنة ٥٣٠ هجرية توفي الإمام علي الهادي، بعد أن مكث في الإمامة أربعين عاماً، ودفن في قلعة «لامستر» بعد أن نصّ على إمامة ولده محمد المهتدي.^(١)

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٥٧-٢٦٢.

الإمام الثالث

محمد المهدي بن الإمام علي

(٥٠٠-٥٥٢هـ)

ولد الإمام محمد بن علي بن الإمام نزار الملقب بالمهدي سنة ٥٠٠ هـ في قلعة «لامستر»، وأصبح إماماً للإسماعيلية بعد وفاة أبيه الإمام علي الهادي سنة ٥٣٠ هـ.

كان أول عمل قام به أن نقل مقره إلى قلعة ألموت، ووجه إهتمامه لبعث الجيش الإسماعيلي (الفدائية) من جديد، وتدريبه تدريباً كاملاً ليستطيع الدفاع عن القلاع والحصون الإسماعيلية.

وقد وجه عنايته أيضاً لتنظيم الدعاة، وتلقينهم أصول العقائد الإسماعيلية، وتدريبهم على المباحثة والمناقشة في الفلسفة، والفقہ الإسلامي والعقائد الإسلامية، كما أوجد بينهم نظام الشيفرة ليستعملوه في اتصالاتهم الداخلية والخارجية فاستعملوا الأعداد للدلالة على الأحرف الأبجدية، وتعرضت الإسماعيلية أيضاً لكثير من الهجمات الداخلية والغزوات الخارجية.

وفي سنة ٥٥٢ هـ توفي الإمام المهدي ودفن في قلعة ألموت بعد أن نصّ على إمامة ولده حسن. (١)

الإمام الرابع

القاهر بقوة الله

حسن بن محمد بن علي بن نزار

(٥٢٠-٥٥٧هـ)

ولد سنة ٥٢٠هـ في قلعة ألموت، وأصبح بعد وفاة أبيه ٥٥٢هـ إماماً بموجب النص، وكان عمره آنذاك ٢٨ سنة، وعين الداعي محمد كبا بزرك آميد نائباً عنه وكبيراً لدعائه.

عمل الداعي بكل إخلاص ووزع الدعاة الأكفاء على جميع المناطق، ووجه عناية خاصة للفرقة الفدائية، التي كانت تحتل المكان الأول في الجيش الإسماعيلي، وأنشأ مدرسة خاصة لتثقيف الفدائية وتدريبهم التدريب الكامل على استعمال الأسلحة، وتلقينهم أغلب اللغات المستعملة في ذلك الوقت.

توفي سنة ٥٥٧هـ ودفن في قلعة ألموت بعد أن نصّ على إمامة ولده الحسن علي. ^(١)

١. المصدر نفسه: ٢٧٢.

الإمام الخامس

الإمام الحسن علي بن الإمام حسن القاهر

(٥٣٩-٥٦١هـ)

ولد الإمام حسن علي بن الحسن بن محمد بن علي بن نزار سنة ٥٣٩هـ في قلعة ألموت، وتولّى الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٧هـ. وقام بتنظيم الدعوة الإسماعيلية فوزع الدعاة الأكفاء على الأقاليم الخاضعة للنفوذ الإسماعيلي.

توفي في السادس من ربيع الأول سنة ٥٦١هـ ودفن في قلعة ألموت. (١)

الإمام السادس

الإمام أعلى محمد بن الإمام الحسن علي

(٥٥٣-٦٠٧هـ)

ولد الإمام أعلى محمد سنة ٥٥٣هـ في قلعة ألموت، وتولّى الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ٥٦١هـ وهو في الثامنة من عمره.

ووجه عناية خاصّة (للمناظرات العلمية) فخصّص يوماً واحداً من كلّ أسبوع لإجراء المناظرات الفلسفية، والفقهية بين الدعاة، يحضرها بنفسه ليحكم بين المتناظرين فيعلّمهم ويرقيهم في مراتب الدعوة، حسب ما يظهره من كفاءة

١. المصدر نفسه: ٢٧٥.

علمية ، وهذا ما ساعد الدعاة على تفهم أصول المذهب الإسماعيلي .
توفي الإمام أعلى محمد سنة ٦٠٧ هـ ودفن في قلعة الموت بعد أن نصّ على ولاية ابنه جلال الدين، واستمرت إمامته ٤٦ سنة. ^(١)

الإمام السابع

الإمام جلال الدين حسن بن أعلى محمد

(٥٨٢-٦١٨ هـ)

ولد الإمام حسن بن أعلى، الملقب بجلال الدين سنة ٥٨٢ هـ في قلعة الموت، وأصبح إماماً بعد وفاة أبيه سنة ٦٠٧ هـ.

عمل على توثيق عُرى الصداقة بين الإسماعيلية والعالم الإسلامي، ولهذا لقبوه بـ«المسلم الجديد» كما أنّ علاقاته بالعباسيين زادت وثوقاً، وخاصةً مع الخليفة الناصر لدين الله.

تنقل كثيراً في سوريا والعراق وأذربيجان، وأدى فريضة الحج مع عائلته مرتين، تحالف مع جلال الدين خوارزمشاه، عندما غزا چنگيزخان إيران، وذلك انقاداً لمعاقله ولأتباعه. قتل بمؤامرة من النساء بالسُم سنة ٦١٨ هـ، وخلف ولداً هو محمد بن الحسن «علاء الدين». ^(٢)

١. المصدر نفسه: ٢٧٧.

٢. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٩٢؛ تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٨٤.

الإمام الثامن

علاء الدين محمد بن الحسن

(٦٠٨-٦٥٣هـ)

ولد الإمام علاء الدين محمد بن الإمام جلال الدين سنة ٦٠٨هـ في قلعة ألموت، وجلس على أريكة الإمامة الإسماعيلية سنة ٦١٨هـ وهو في العاشرة من عمره، ودامت إمامته ٣٥ عاماً.

و من العجب أنّ المؤرّخ المعاصر مصطفى غالب ذكر سقوط مدينة بغداد في عصر هذا الإمام مع أنّ سقوط بغداد تم بعد تدمير قلاع الإسماعيلية، لأنّ مسير التتر كان من قزوين ثمّ همدان ثمّ بغداد.

و توفي عام ٦٥٣هـ ودفن في ألموت. (١)

الإمام التاسع

ركن الدين خورشاه بن الإمام علاء الدين

(٦٢٩-٦٥٤هـ)

ولد الإمام ركن الدين خورشاه بن الإمام علاء الدين محمد سنة ٦٢٩هـ في قلعة ألموت، وأصبح إماماً بعد وفاة أبيه سنة ٦٥٣هـ وأرسل هولوكو التتري جيشاً بقيادة بوكيان التتري لأطراف كوهستان لمحاربة الأمير ناصر الدين أمير

١. تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٨٦.

تلك المقاطعة الذي كان يقيم في قلعة (سرخوست).

و أرسل جيشاً آخر لحصار بقية القلاع الإسماعيلية، ولقد استمر ذلك الحصار مدة ستة أشهر، نفذت بعدها مؤونة الإسماعيليين، ففتحوا أبواب قلاعهم واشتبكوا مع التتر في معارك قويّة طاحنة، قتل فيها اثنا عشر ألف إسماعيلي وثلاثون ألف تتر، واحتلت الجيوش الغازية جميع القلاع الإسماعيلية ودمرتها عن بكرة أبيها فجعلتها قاعاً صفصفاً، وألقي القبض على الإمام ركن الدين خورشاه مع ولده الأصغر مظفر الدين، وابن أخيه سيف الدين، وبعض دعائه، وأخذوهم إلى الخليفة في بغداد.

و في طريق العودة بينما كانت الجيوش التترية تعبر نهر (جيجون) توفي الإمام ركن الدين خورشاه وكانت وفاته سنة ٦٥٤ هـ ودفن على ضفة ذلك النهر اليميني.

أما بقية الأسرى فسلموا لهولاكو الذي أمر بإعدامهم جميعاً، والتمثيل بجثثهم، ولم تستمر إمامة ركن الدين سوى عاماً واحداً، قضاه في الحروب والحصار، وبانتهاء عهده ودّعت الأئمة الإسماعيلية بلاد الموت لتستقر في أذربيجان بعد أن دام حكمهم فيها ما يقارب ٢١٤ عام. (١)

إلى هنا وقفت على أئمة النزارية، من الإسماعيلية وأما غيرهم من الأئمة الباقية الذين تسلموا مسند الإمامة بعد تدمير قلاع الموت فيحتاج إلى تأليف مفرد.

إن الكتب الإسماعيلية التاريخية المخطوطة والمصادر الصوريّة القديمة، منذ عام ٧١٠ هـ حتى سنة ١٢١٠ هـ جاءت حافلة بذكر أسرة مؤمن شاه وحدها،

وبعد سنة ١٢١٠ هـ انظفأ وخبا كلُّ نشاطٍ علميٍّ من جانب هذه الفرقة (المؤمنية) وقامت الأسرة الثانية (القاسمية) تحتل مركزها وتبرز على مسرح الإسماعيلية النزارية وبما أنّ الأسرة الأعا خانبة تزعمت الإسماعيلية النزارية ما يربو عن القرنين، فلذلك خصصنا الفصل التالي لبيان حياة تلك الأسرة.

إنّ الفرقة الإسماعيلية النزارية المؤمنية تقطن في عهدنا الحاضر في بلدتي «القدموس» و«مصيف» السوريتين وفي بعض قرى سلمية وفي سلمية نفسها، وأمّا الفرقة القاسمية النزارية الأعاخانية فتقطن في سلمية، وما يتبعها من القرى، وفي نهر الخوابي قرب طرطوس، كما تقطن في إيران، والهند، وباكستان، وبورما، والصين، وإريقية الشرقية، و الكونغو ومدغشقر و زنجبار وغيرها. ^(١)

الفصل التاسع

في

الأسرة الآخانية

قد عرفت أن النزاريّة انقسمت إلى طائفتين: «مؤمنيّة» و«قاسميّة» ويطلق على «القاسميّة» في الآونة الأخيرة «الآغا خانية» واشتهروا في هذه الأعصار باللقب الأخير وأئمة هذه الأسرة هم:

١. حسن علي شاه.

٢. علي شاه.

٣. سلطان محمد شاه.

٤. كريم خان.

١. حسن علي شاه: (١٢١٩-١٢٩٨هـ)

ولد في بلدة محلات سنة ١٢١٩ هـ وهو أول من لقب بـ«آغا خان» كان معاصراً للشاه «محمد القاجاري» وفي عهده قُتل الشاه القاجاري وجلس مكانه فتح علي شاه، وقد عامل الإسماعيليين معاملة طيبة، وزوج حسن علي شاه من كريمته، ولكنَّ حياته لم تطل فمات، واستلم مكانه «علي محمد شاه».

فلاحظ أن مركز الإمام حسن علي شاه قد أصبح قوياً وخطيراً، فاعتبره خطراً على شؤون المملكة، وأمر بإبعاده عن إيران، فذهب إلى السند، واستقر بين أتباعه الكثيرين في كراتشي يُنظّم أمورهم ويصلح أحوالهم، ويقرب وجهات النظر بين ملوك السند والبريطانيين، وأخيراً انتقل إلى الهند.

وتوفي سنة ١٢٩٨ هـ ودفن في محلة «مجكاثون» أو «حسن آباد» عن أربعة أولاد، هم: آغا علي شاه، وآغا جهانگیر شاه، وآغا جنگي شاه، وآغا جلال شاه،

وكان عليّ هو وصيّهِ وورث الإمامة. (١)

يقول المؤرّخ المعاصر مصطفى غالب: دخل الإمام حسن علي شاه مدينة «بومباي» واستقبل من قبل حاكم تلك المدينة ورجال السلك السياسي وممثلي الدول ومختلف طبقات الشعب، و منحتة المملكة البريطانية لقب صاحب السمو، وأرفع وسام للسلام في المملكة. (٢)

ولعل مغادرته لإيران وإقامته في بومباي هيأت له أرضية الاتصال بالبلاط البريطاني، وتوثقت عُرى الصداقة بينهما عبر العصور، فلم تزل أئمة الطائفة بعده متهمين بالعمالة للبريطانيين.

٢. علي شاه: (١٢٤٦ - ١٣٠٢ هـ)

ولد عام ١٢٤٦ هـ في بلدة محلات، وجلس على مسند الإمامة بعد وفاة أبيه سنة ١٢٩٨ هـ، واشتهر بـ«آغا خان الثاني» والدته هي كريمة فتح علي شاه القاجاري.

يذكر أنّه كان مولعاً بصيد الأسود والرماية، وقوة الساعد والرجولة. تزوّج شمس الملوك ابنة ميرزا علي خان الإيرانية.

أنجب ثلاثة أولاد، هم: سلطان محمد شاه، وشهاب الدين شاه، ونور شاه، ووليّ عهده هو السلطان محمد شاه آغا خان الثالث.

وفي احتفال مهيب ضم آلاف الإسماعيليّة الذين قدموا لتقديم الزكاة والخمس للإمام، أعلن الإمام علي شاه بأنّ نجله الأكبر سلطان محمد شاه قد أصبح وليّاً للعهد، وسيكون إماماً من بعده.

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ٢٢٨.

٢. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٣٣٦.

قدم إليه وفد من إسماعيلية سوريا، وطلبوا من الإمام رفع مشاكلهم وأن يدفع إليهم السلطان العثماني مكاناً يقطنون فيه بعد أن ضاقت بهم معاكلهم، فقام الإمام بتنفيذ طلبهم واتصل بالسلطان العثماني إلى أن أصدر السلطان أمره إلى والي دمشق ليسمح للإسماعيلية بأن يختاروا مكاناً ليشيدوا فيه مساكن لهم، شريطة أن يعفوا من الضرائب والجنديّة، تجمّع الإسماعيليون بزعامة الأمير إسماعيل، وذهبوا باتجاه المنطقة الشرقية حتى وصلوا إلى سهول السلمية فقرروا أن يعيدوا تأسيس مدينة «السلمية» التاريخية، بعد أن دمرتها الحروب.

توفي الإمام علي شاه سنة ١٣٠٢ هـ ونقل جسده إلى مدينة كربلاء ودفن هناك.^(١)

٣. سلطان محمد شاه «آغا خان الثالث»: (١٢٩٤-١٣٨٠ هـ)

ولد «محمد سلطان الحسيني» المعروف بآغا خان الثالث عام ١٢٩٤ هـ في محلة «شهر العسل» بكراتشي، وفي الثامنة من عمره اجتمع به رجال الدعوة الإسماعيلية في الهند وسلّموه شؤون الإمامة باحتفال مهيب، وتزوّج في سن العشرين ابنة عمّه «شاه زاده» وزار الغرب لأوّل مرّة واصلاً إلى لندن، فمنح لقب «كوماندور» للامبراطورية الهندية. كما زار ألمانيا وفرنسا وإيران وتركيا ومناطق عديدة من العالم، وتزوّج عدّة مرّات، وساهم بإنشاء جامعة عليكرة، وإرسال بعثة إسلامية لتدريس الدين الإسلامي في اليابان.

وفي حياته نقاط جديدة بالمطالعة، منها:

١. يقول عارف تامر: ورأيت في القاهرة سنة ١٩٥٦ م يقول لأتباعه الذين جاءوا لزيارته: علّموا أولادكم العلوم العملية، وأبعدوهم عن العلوم النظرية،

١. الإمامة في الإسلام: ٢٢٨-٢٢٩؛ وتاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٣٣٩-٣٤١.

فالعالم قادم على انقلاب خطير وتطور سريع في ميدان الاستنباط والاختراع.^(١)
 أقول: ماذا يقصد من العلوم النظرية؟ وهل تختص بالعلوم الدينية، أعني:
 الكلام والتفسير والفقه، أو تشمل سائر العلوم الإنسانية الأخرى كمعرفة النفس
 وعلم الاجتماع والقانون؟ وعلى أية حال فإن إرشاداته لا اعتبار بها، وكان الأفضل أن
 يرشدهم بالقول: علموا أولادكم الصناعات الحديثة والعلوم العملية إلى جانب
 سائر العلوم، يقول سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾^(٢) فإن تزويد
 البشر بالصناعات الحديثة دون الإيمان كتزويد المجنون بالسلاح، والذي يكبح
 جماح البشر عن استخدامه لتلك الصناعات الحديثة من سبيل الشر، هو الإيمان
 بالله، والاعتقاد بالمبدأ والمعاد، التي تتكفل العلوم النظرية بيانه.

٢. يقول - للوفد الإسلامي الذي جاء يطالبه بالمساهمة ببناء كلية إسلامية
 في مدينة «منباسا» كينيا: إنني لا أساهم إلا بإنشاء مدرسة صناعية كبرى لتعليم
 الصناعات المختلفة، والمهن الحرة، فقد كفانا نوماً وركضاً وراء الخيالات
 والأحلام.^(٣)

أقول: ماذا يريد بقوله: كفانا نوماً وركضاً وراء الخيالات والأحلام؟! فهل
 مقصوده أن العلوم الدينية هي منبع للخيالات والأحلام؟! فحينئذ ستكون قيادته
 مبنية على الأوهام والخيالات، فما أشبه كلامه بفعل من تسلق الشجرة وأخذ يقطع
 ما تحته. بل إن كلامه هذا تفريغ واضح وصريح لحالة القداسة الدينية التي طالما
 حاول أن يظهر بها أمام المسلمين عامة وأتباعه بصورة خاصة.

٣. يقول المؤرخ المعاصر مصطفى غالب: سمو آغا خان يملك قصوراً
 كثيرة في جميع أنحاء العالم، وطائرات حديثة من أفخر طراز، وعدداً كبيراً من

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ٢٣١.

٢. الروم: ٥٦.

٣. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ٢٣٣.

أحدث اصطبلات الجياد في العالم، ويحتفظ بفصيلة جياد (هاراث) التي تملكها أسرته منذ زمن بعيد، ومنها ينتج أحسن خيول السباق المعروفة، وقد ربحت هذه الخيول أكبر الجوائز العالمية لسباق (دربي).

والإمام آغا خان يُعد من أغنى أغنياء العالم، إذ يُقدَّر إيراده السنوي بمبلغ يتراوح بين ٦٠٠ ألف و ١٠ ملايين دولار، وقد قُدِّرت مجموعة الجواهر التي يملكها بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار.^(١)

لا شك أنّ حياة البذخ التي عاشها الإمام آغا خان ليست نتيجة كد عمله ومحصول جهده إنّما هي أموال شرعية باسم الزكاة والخمس قدمتها إليه الطائفة الإسماعيلية المتشكلة من الفلاحين والعمال وأصحاب المكاسب الحرّة، لا أنّها أموال شخصيّة للإمام، بل ملك لمنصب الإمامة يصرّفها في المشاريع الخيرية، فأين حياة البذخ هذه تَمَّا كان عليه الإمام أمير المؤمنين ذلك الأسوة الحسنة لعامة البشر والمسلمين خاصة حيث يكتب إلى عامله بالبصرة عثمان بن حنيف: «ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به ويستضيئ بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمره، ومن طعمه بقرصيه، إلى أن يقول: ولعلّ بالحجاز واليماة من لا طمع له بالقرص، ولا عهد له بالشعب، أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثي، وأكباد حرّي، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داءً أن تبيت ببطنه وحولك أكباد تحن إلى القد

أ أقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش، فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات، كالبهيمة المربوطة همها علفها، أو المرسله شغلها تقمها». ^(٢)

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٣٦٦.

٢. نهج البلاغة: قسم الرسائل، رقم ٤٥، تعليق صبحي الصالح.

٤. يقول: ويجب أن لا يغرب عن بالكم، بأن هذه المشاريع لا يمكن أن تتحقق، ولا يكتب النجاح لهذه النهضة الإصلاحية إلا إذا دفعت ضريبة العشر، والعشر هذا تضحية جزئية واجبة على كل إسماعيلي يعتقد ولايتنا ويخلص لنا. ^(١) ويلاحظ عليه: بأن الفريضة مختلفة في الزكاة، وليست مبعوضة بالعشر كما هو واضح، لمن له أدنى إلمام بالفقه الإسلامي من سنة وشيعة، كما أن الواجب في المعادن، والركائز، وأرباح المكاسب، هو الخمس، لا العشر، فالتركيز على العشر، وحذف المعايير الأخر إبطال للشريعة.

٥. ومن نصائحه لأتباعه أنه أمرهم بالزهد، ويقول: لا تسرفوا شيئاً على طقوس الأموات والزواج، وازهدوا في لذائذ الحياة الدنيا، وادّخروا شيئاً من نفقاتكم الشهرية، وابتاعوا بها سندات شركات التأمين وأوراق الدولة المالية. ^(٢) إن هذه النصيحة ممزوجة بالحقّ والباطل، فهو يأمر أتباعه بالزهد، بينما يعيش هو حياة البذخ والإسراف، أتقولون مالا تفعلون؟!

٦. قال لزوجته الفرنسية في صباح اليوم الذي قرر أن تتم به حفلة زواجهما:

ابنتي العزيزة!! ...

أنت لا تجهلين ولا ريب بأنني أمير شرقي كبيرٌ وأعتقد بأنك تجهلين بأن آلفاً وآلفاً من البشر يعتقدون بأن الإله متجسم في تقريباً. ^(٣) أقول: يبدو بأنه إما يصحح عقيدة أتباعه في حقّه، أو يخطئهم، فعلى الوجه الأوّل هو إله متجسّم حسب عقيدته، وعلى الوجه الثاني مقصّر في إضفاء الشرعية على عقيدة قومه، وعدم تخطئتهم، وإرشادهم إلى الحقّ.

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٣٦٥.

٢. المصدر السابق: ٣٦٨.

٣. المصدر السابق: ٣٧٢.

الإمام يتعلّم على يد مأمومه

قال المؤرّخ الإسماعيلي المعاصر مصطفى غالب: وسموّه يجيد اللغات الشرقية والغربية من الهندية والفارسية والعربية والتركية، والانكليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية، وغيرها من اللغات العديدة، كلُّ هذا بدون أن يدخل أيّ مدرسة أو يتلقّى علومه في أيّ معهد، وقد تلقّى تعليمه الأوّل على أيدي والدته التي علّمته تعليماً صحيحاً، فجعلته يتقن اللغات الأوروبية والعربية والفارسية. (١)

وقال عارف تامر: وتوفي والده علي شاه، وهو في الثامنة من عمره، فاجتمع به رجال الدعوة الإسماعيلية في الهند، وسلّموه شؤون الإمامة باحتفال مهيب. وكان هذا من الأسباب التي حفّزت والدته على مضاعفة السهر على حياته، وإحضار المربّين الاختصاصيين، والأساتذة الماهرين، عملوا على تدريسه اللغات الأجنبية والفارسية والعربية. (٢)

وهنا نقطة جديرة بالإمعان وهي أنّ الثابت في عقيدتهم أنّ الإمام منصوب لا يتلقّى العلم إلّا عن الغيب فعلمه لدني.

فلا أدري ما هذا الإمام. الذي يتلقّى العلم عن مأمومه، وهل الإمام ذو العلم اللدني بحاجة إلى دخول المدارس البشرية، وتعلّم اللغات والعلوم وغير ذلك.

وفي يوم الخميس الساعة الثانية ظهراً الحادي عشر من تموز سنة ١٩٥٧م الموافق (١٣٧٧هـ) توفي الأغا خان في قصره بسويسرا، ونقل جثمانه جواً إلى أسوان بمصر. ودفن في المقبرة التي شرع بتشييدها على رأس ربوة الجبل الأصفر غرب مدينة أسوان في مصر. (٣)

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٣٥١.

٢. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ٢٣٤. ٣. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٣٩٢.

و لما توفي آغا خان الثالث في سويسرا توجه زعماء الإسماعيلية من مختلف أنحاء العالم إلى مقر الآغا خان في قصر بركان، حيث حضروا فتح وصية الإمام الراحل التي كانت مودعة في بنك (لويدز) في بريطانيا.

واستناداً إلى هذه الوصية فقد تم إعلان إمامة كريم بن علي شاه الحسيني، ولُقّب بآغا خان الرابع. ^(١)

و من الطريف بالذكر هو أنّ الإمام آغا خان الثالث قد عهد بالإمامة لابنه الأمير علي خان في حياته، يقول مصطفى غالب: أصبح الأمير علي خان ولياً لعهد الإمامة الإسماعيلية في التاسع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٢٧ ميلادية وجرّت احتفالات عظيمة بهذه المناسبة، عمّت جميع البلدان الإسماعيلية. ^(٢)

وقد خاب أمل الأمير علي خان لما فتحت وصية والده التي كانت مودعة في بنك (لويدز) في بريطانيا والتي تنصّ على إمامة حفيده كريم بن علي شاه الحسيني (آغا خان الرابع)، ولا أجد تفسيراً لها إلا بنشوب الخلافات بينهما. ومما جاء في وصيته التي أبطل بها إمامة ابنه:

و نظراً إلى الظروف التي تغيّرت تغييراً أساسياً في العالم في السنوات الأخيرة، ونظراً للتغيّرات الكبرى التي وقعت، ومن بينها اكتشاف العلوم الذرية، فإنّي على يقين أنّ مصلحة الطائفة الإسماعيلية تقتضي أن يخلفني شابٌ نشأ وترعرع في السنوات الأخيرة وسط هذا العصر الحديث، وأن تكون له نظرةٌ جديدة للحياة عند تولّي زعامة الطائفة الإسماعيلية، لذلك أختار حفيدي كريم خان، ليكون خليفة لي وزعيماً للطائفة من بعدي. ^(٣)

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٤٠٢-٤٠٣.

٢. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٣٩٣.

٣. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٤٠٢.

وقد توفي ولده علي خان المعزول في الخامس عشر من ذي القعدة سنة ١٣٨٠ هجرية، بحادث اصطدام سيارته التي كان يقودها بنفسه، ودفن جثمانه مؤقتاً في قصره الخاص في نويلي بفرنسا، ريثما يتم نقله إلى مقره الأخير في سلمية سوريا تنفيذاً لوصيته.

فالإمام الحاضر للإسماعيلية هو كريم حفيد (آغا خان الثالث) لا ولده.

كريم بن علي بن محمد

آغا خان الرابع

ولد سنة ١٩٣٨ م في مدينة جنيف بسويسرا، والده هو الأمير علي خان الذي أُقصي عن مركز الإمامة بموجب وصية والده سلطان محمد شاه (آغا خان الثالث)، وأمّه هي الأميرة البريطانية (جون بربارا يولد) ابنة اللورد تشارستون، تلقى علومه الأولية في مدارس سويسرا، فأتقن الانكليزية والفرنسية والإسبانية، كما درس اللغة العربية، وبعد أن أكمل تحصيله في سويسرا انتسب إلى جامعة (هارفرد الأميركية).

كان كثير التنقل والأسفار، يمارس الرياضة الصعبة، وقد نجا مرتين من حادثتي اصطدام مروعتين، ويولي الشؤون الاقتصادية والمالية اهتمامه، ويتجنب الخوض ببحر السياسة. كما ويقوم بزيارة لإفريقية وسوريا ولبنان وإيران في العام، لتفقد شؤون أتباعه ومعالجة قضاياهم. وهو لا يزال حياً يرزق. ^(١)

هؤلاء أئمة النزارية القاسمية الأغاخانية، وهم الفرقة المنحصرة باستمرار الإمامة في أولاد إسماعيل، وفق المذهب الإسماعيلي، فالله سبحانه يعلم هل تستمر الإمامة بعد رحيله أوتدخل في كهف الغيبة.

الفصل العاشر

في

الإسماعيلية والأصول الخمسة

الإسلام عقيدة وشرعية، والإسماعيلية غيرها من المذاهب الإسلامية لها أصول، وفروع، أما الفروع فلا يختلفون مع المسلمين في أمهاتها، وكفى في الوقوف عليها ما كتبه القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي باسم «دعائم الإسلام». نعم، انفردوا في الاعتقاد بأن لكل حكم فرعي ظاهراً وباطناً، ولهم مؤلفات خاصة في تأويل الظواهر الفرعية، وقد ألف القاضي المذكور كتاباً باسم «تأويل الدعائم» وسيمر عليك بعض تأويلاتهم في هذا المجال.

إنما الكلام في عقائدهم وأصولهم التي بنوا مذهبهم عليها، والعتور عليها أمر مشكل جداً وذلك لوجوه:

الأول: الظنة بكتبهم والتستر عليها وإخفائها وعدم جعلها تحت متناول أيدي الآخرين، وأن فرض عليهم الوضع الراهن كسرطوق التكتّم، وإزاحة الستار عن بعض الكتب، والفضل يعود إلى غيرهم، فلو كان الأمر بيد دعائهم وعلمائهم لما سمحوا بذلك، وكما وصلت بأيدينا تلك الكتب.

الثاني: اتخاذه الفلسفة اليونانية عماداً وسنداً للمذهب، فأدخلوا فيه أشياء كثيرة مما لا صلة لها بباب العقائد والأصول، ولا يضر الاعتقاد بها أو بعدمها، ولا يضره جهلها فالقول بالعقول العشرة، والأفلاك التسعة ونفوسها، وأن الصادر الأول هو العقل إلى أن ينتهي الصدور إلى العقل العاشر، فروض فلسفية طُرحت لحل مشكلة (امتناع صدور الكثير عن الواحد)، وهذه المباحث على فرض صحتها تختص بذوي المواهب الكبيرة في مجال الفكر، فإدخالها في المذهب والدعوة إليها، إلزام بلا ملزم.

الثالث: أنّ المذهب الإسماعيلي، لم يكن في بدء ظهوره مذهباً منسقاً، وإنّما تكامل حسب مرّ السنين، نتيجة احتكاك الدعاة مع أصحاب الفلسفة اليونانية، وحسب أذواقهم في مجال التأويل، وهذا أمر مسلمٌ بينهم، يقول الكاتب الإسماعيلي مصطفى غالب:

إنّ العقائد الإسماعيلية لا يمكن دراستها وبحثها على أنّها عقائد ثابتة لفرقة موحّدة، وذلك أنّها عقائد تطورت حسب البيئات والأزمان، واختلفت باختلافها، وتشعبت آراؤها ونظرياتها، حتى أصبح من الصعب أن تبلور هذه العقائد، أو أن تُصهر في بوتقة واحدة. ^(١)

وقد اعتمدنا من بين كتبهم العقائديّة على كتابين هما:

١. «راحة العقل»: تأليف الداعي في عهد الحاكم، أعني: حميد الدين أحمد ابن عبد الله الكرمانى، الملقّب بحجة العراقيين، وكبير دعاة الإسماعيلية في جزيرة العراق، وصاحب المؤلفات العديدة في المذهب الإسماعيلي، ألّفه عام (٤١١هـ)، وقد عاصر الفيلسوف الإسلامي الكبير ابن سينا (٣٧٣-٤٢٧هـ) ومن المعلوم أنّ هذا العصر وما قبله عصر إزدهار الفلسفة اليونانية، فقد قام المسلمون وغيرهم بترجمة تلك الفلسفة وشرحها وتحقيقها.

وقد وضع الداعي كتابه هذا على غرار ما أثار من الفلسفة، وأدخل فيه شيئاً ممّا لا يمت إلى المذهب بصلّة، فإنّ أكثر مباحثه مسائل فلسفية بحثة، أو طبيعية، لا ارتباط لها بصميم المذهب. ويتجلّى ذلك بوضوح حينما يقوم الداعي الكرمانى في ترسيم عوالم الخلق.

إنّ الكتاب لا ينقسم إلى أبواب أو مقالات، ولا تشتمل أبوابه أو مقالاته على فصول على نحو ماجرت به العادة في تقسيم الكتب، وإنّما ينقسم إلى أسوار،

ويندرج تحت كل سور عدّة مشاريع، هي من السور بمنزلة الأجزاء من البلد الذي يحيط به السور.

فكان مثل «راحة العقل» كمثل المدينة، و السور بمنزلة الأبواب، والمشارع بمنزلة الفصول، ولكن عدد الأسوار، التي يشتمل عليها الكتاب سبعة، يدخل في نطاق كل منها سبعة مشاريع، فتكون عدد المشاريع تسعة وأربعين مشروعاً.

ولكنّ تنمة لما ينطوي عليه منهجه في تقسيم الكتاب من معاني التأويل والمتقابلات قد زاد على هذه المشاريع (التسعة والأربعين) سبعة مشاريع أخرى.

وإنّما كانت الأسوار سبعة مقابلة بينها وبين السيارات السبع، وهي: زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر.

يقول الداعي: فجعلنا أسواره سبعة بإزاء السيارات منها المؤثرة في المواليد الجسمانية القائمة في الدين تأويلاً، حيال بيوت أنوار الله أصحاب الأدوار السبعة المؤثرين في المواليد النفسانية. وجعلنا مشاريع أسواره تسعة وأربعين مشروعاً، بإزاء محيط الأفلاك صغاراً وكباراً المحركة لما دونها من الأجسام.^(١)

وقد طبع لأول مرة بالقاهرة بتحقيق الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد مصطفى حلمي، ونشرته دار الفكر العربي بالقاهرة عام ١٣٧١ هـ وأعيد طبعه ثانياً بتحقيق مصطفى غالب الذي هو من كتاب الإسماعيلية نشره عام ١٩٦٧ م.

٢. «تاج العقائد ومعادن الفوائد»، تأليف الداعي الإسماعيلي اليمني المطلق، علي بن محمد الوليد (٥٢٢-٦١٢ هـ) حققه عارف تامر، ونشرته دار المشرق بيروت، وهذا الكتاب أسهل فهماً وأحسن تعبيراً في بيان عقائد الإسماعيلية.

١. راحة العقل، ٢٥، ولاحظ المقدمة: ١٠.

و نحن نعتمد على هذين الكتابين - مع البون الشاسع بينهما - في بيان الفوارق الموجودة بينهم وبين سائر الفرق، دون أن نذكر المشتركات، فإنّ دراسة الجميع تؤدي إلى أن يطول بنا الكلام، والهدف تسليط الضوء على عقائدهم عن كذب، وربّها نعتمد على غير هذين الكتابين عند اقتضاء الحال.

عقيدتهم في التوحيد

١ . عقيدتهم في توحيد سبانه، أنه واحد لا مثل له ولا ضد:

يقول الكرمانى فى المصرع الخامس: إنه تعالى لا ضد له ولا مثل^(١)، ثم يستدل عليه.

ويقول على بن محمد الوليد (الداعى الإسماعيلى اليمنى): إنه تعالى واحد لا من عدد، ولا يُعتقد فيه كثرة، أو إزدواج أشكال المخلوقات، واختلاف البسائط والمركبات^(٢) ثم يستدل عليه.

ويقول أحد الدعاة الإسماعيلية فى قصيدة له فى العقائد:

الحمد لله القديم الأزلى المبدع العالى معلّ العلل
بارى البرايا الدائم الفرد الصمد والجاعل الواحد أصلاً للعدد^(٣)

١ . راحة العقل: ٤٧.

٢ . على بن محمد الوليد: تاج العقائد ومعادن الفوائد: ٢١.

٣ . القصيدة الشافية: ١.

٢. أنه سبحانه ليس أيساً:

إنّ الأيس بمعنى الوجود، ولعلّ أوّل من استعمله هو الفيلسوف الكندي، وقد اشتهر في الفلسفة الإسلاميّة أنّ الممكن من ذاته أن يكون ليس، ومن علّته أن يكون أيس، وإن كانت هذه الكلمة في التعبير عن مكانة الممكن تعبيراً غير دقيق، لأنّ معناه، أنّ الممكن من ذاته يقتضي العدم، وهذه علامة الممتنع لا الممكن، فالممكن لا يقتضي من صميم ذاته أحد الشئيين، الأيس والليس.

وعلى كلّ تقدير فهؤلاء يستنكرون وصفه سبحانه بالأيس، المرادف للوجود. وقد استدل عليه الداعي الكرمانى بوجه مبسّط نأخذ منه ماله صلة بصميم الموضوع، وحاصل ما ذكره يرجع إلى أمرين:

الأوّل: لما كان الأيس - في كونه أيساً - محتاجاً إلى ما يستند إليه في الوجود، وكان هو - عزّ كبريائه - متعالياً عن الحاجة فيما هو هو إلى غير، به يتعلّق، مابه هو هو، كان من ذلك الحكم، بأنّه تعالى خارج عن أن يكون أيساً، لتعلّق كون الأيس أيساً بالذي يتأوّل عليه الذي جعله أيساً، واستحالة الأمر في أن يكون هو تعالى أيساً، ولا هو يحتاج فيما هو هو إلى غير به هو هو، فيستند إليه، تكبّر عن ذلك وتعزّز وتعالى علواً كبيراً.

فإذا كان هو عزّ وعلا غير محتاج فيما هو هو إلى غير، به يتعلّق، ما به هو هو، فمحال كونه أيساً.

وحاصل هذا الوجه مع تعقيده في التعبير، يرجع إلى أمر واضح، وهو أنّه لو كان موصوفاً بالوجود، فيما أنّ الصفة غير الموصوف، يحتاج في وصفه به إلى الغير، وهو تعالى غنيّ عمّا سواه.

ولو كان ما جاء به الكرمانى مذهباً للإسماعيلية فهو يُعرب عن عدم نضوج الفلسفة اليونانية في أوساطهم، فهؤلاء يتصوِّرون أنّ الوجود أمر عارض على

الواجب، فيبحثون عن مسبب العروض، مع أنه إذا كان ماهيته انيته، وكان تقدست أسماؤه عين الوجود، فالاستدلال ساقط من رأسه، والمسألة مطروحة في الفلسفة الإسلامية على وجه مبسط، وفي ذلك الصدد يقول الحكيم السبزواري:

والحق ماهيته إنَّيته إذ مقتضى العروض معلوليته

فمن أراد التفصيل فليرجع إلى المصدرين في الهامش. ^(١)

الثاني: أن الله تعالى إن كان أيساً، فلا يخلو أن يكون إما جوهرًا، وإما عرضاً.

فإن كان جوهرًا، فلا يخلو أن يكون إما جسمًا أو لا جسمًا (المجرد).

فإن كان جسمًا، فانقسام ذاته إلى ما به وجودها، يقتضي وجود ما يتقدم عليه بكون كل متكرر مسبقاً متأولاً عليه، وهو يتعالى بسبحانيتها عن أن يتأول عليه غيره.

وإن كان لا جسمًا، فلا يخلو أن يكون إما قائماً بالقوة مثل الأنفس، أو قائماً بالفعل مثل العقول.

فإن كان قائماً بالقوة، فحاجته إلى ما به يخرج إلى الفعل تقتضي ما يتقدم عليه، وهو يتعالى عن ذلك.

وإن كان قائماً بالفعل، فلا يخلو من أن يكون إما فاعلاً في ذاته من غير حاجة إلى غير به يتم فعله، أو فاعلاً في غير به يتم فعله.

فإن كان فاعلاً في غير به يتم فعله، فلنقصانه في فعله وحاجته إلى ما يتم به فعله، تقتضي ما يتأول عليه، وهو يتعالى عن ذلك.

وإن كان فاعلاً في ذاته، من غير حاجة إلى غير به يتم فعله، فلاستيعاب ذاته النسب المختلفة بكثرة المعاني المتغايرة، بكونه في ذاته فاعلاً ومفعولاً بذاته،

١. راجع الأسفار لصدر المتألهين: ١/٩٦، باب في أن الحق تعالى إنية صرفة؛ وشرح المنظومة للحكيم السبزواري: ٩٦/٢.

يقضي ما عنه وجوده الذي لا تكون فيه كثرة ولا قلة بهذه النسب، وهو يتعالى عن ذلك.

وإن كان عرضاً، وكان وجودُ العرض مستنداً إلى وجود ما يتقدم عليه من الجوهر، الذي به وجوده، وهو يتعالى ويتكبر عن أن تتعلق هويته بما يتأول عليه، بطل أن يكون عرضاً. ^(١)

وحاصل هذا الوجه أن كونه سبحانه موصوفاً بالأيس، لا يخلو من صور

أربع:

أ: أن يكون جوهرًا جسمانيًا.

ب: أن يكون عرضاً.

ج: أن يكون جوهرًا مجرداً، قائماً بالقوة، مثل الأنفس.

د: أن يكون جوهرًا مجرداً قائماً بالفعل، مثل العقول.

الصورة الأولى: تستلزم أن يكون مؤلفاً من أجزاء، والأجزاء متقدمة على

الكُل، فيكون محتاجاً إلى غيره.

ومثلها الصورة الثانية: لحاجة العرض إلى وجود موضوع متقدم عليه.

ومثلها الثالثة: لأنه إذا كان قائماً بالقوة، فيحتاج إلى من يخرج به إلى الفعل،

وأن يكون المخرج متقدماً عليه، وهو سبحانه غني.

وأما الصورة الرابعة: فقد فصل فيها الكلام ولها شقان:

الأول: أن يكون فاعلاً في ذاته، من غير حاجة إلى غير به يتم فعله، فهذا

يستلزم اجتماع النسب المختلفة في ذاته.

الثاني: أن يكون فاعلاً في غير به يتم فعله، فهو يستلزم حاجته إلى ما يتم به

فعله، وهو غني على الإطلاق.

والاستدلال مبني على أنه صوّر للواجب ماهية بين كونها جوهرًا أو عرضاً، والجوهر جسماني أو نفساني، أو عقلائي، والفروض كلّها باطلة، لأنّ القائل بكونه وجوداً، وأيساً، يقول: هو والوجود متساويان؛ الواجب = الوجود.

ولا يذهب عليك أنّ الفرض الرابع، وهو كونه موجوداً بالفعل مردداً بين كونه فاعلاً في ذاته، أو فاعلاً في غير، لا يخلو عن تعقيد وغموض.

ثمّ إنّ الداعي ذكرَ وجهاً ثالثاً لعدم كونه سبحانه أيساً، ليس له قيمة تذكر، فمن أراد فليرجع إليه. ^(١)

٣. في نفي التسمية عنه:

يقول الداعي الإسماعيلي علي بن محمد الوليد: إنّ وضع التسمية عليه محال، إذ كانت التسمية إنّما جعلت وسمّاً يوسم بها المخلوقات، ليكون الخلق بها فصولاً فصولاً، يتميز بها كلّ صورة عن الصورة الأخرى، حتى ينحفظ كلّ صنف منها، ويمكن للعقل الحكاية عنها إذا دعت الحاجة إليها، فيكون بذلك ظهور أشكال العالم في أيّ تسمية وسم بها، وهو متعال، ليس له صورة نفسانية، ولا عقلية، ولا طبيعية، ولا صناعية، بل يتعالى بعظيم شأنه، وقوّة سلطانه عن أن يوسم بما يوسم به أسباب خلخته، وفنون بريته، وقد اتفقت فحول العلماء على أنّه تعالى لم يزل ولا شيء معه، لا جوهرًا ولا عرضاً. ^(٢)

ولا يذهب عليك، أنّ عنوان البحث غير منطبق على ما جاء فيه، فلو كان العنوان من جانب المؤلّف، وإلّا فالعنوان يهدف إلى شيء، وما ورد فيه إلى شيء آخر، فإنّ تسمية الله سبحانه أمر اتفق عليه كافّة أهل التوحيد، ومراده هو نفي

١. راحة العقل: ٤٠.

٢. علي بن محمد الوليد: تاج العقائد ومعدن الفوائد: ٢٦.

الماهية، كالجوهرية والعرضية.

كما أنّ مراده في بحث آخر في الكتاب، تحت عنوان «في نفي الحدّ عنه» هو نفي كونه متناهيًا.

٤ . نفي الصفات عنه:

إنّ نفي الصفات عنه سبحانه، مما اشتهر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه، وعنه أخذت المعتزلة، قال عليه السلام : «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيدَه، وكمال توحيدَه الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، بشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال: «فيم» فقد ضمّنه، ومن قال: «علام؟» فقد أخلى منه». ^(١)

وقد ذهب الإمامية، وقسم من المعتزلة، تبعاً للأدلة العقلية، التي أشار إليها الإمام في كلامه، بأنّ المراد نفي الصفات الزائدة عليه، لا نفي الصفات على الإطلاق، فالله سبحانه علمٌ كلّّه، قدرة كلّّه، حياة كلّّه، وهكذا، لا أنّه شيء، وعلمه شيء آخر؛ خلافاً للأشاعرة، فقد ذهبوا إلى زيادة الصفات على الذات مع كونها قديمة، فأورد عليهم باستلزامه القول بالقدماء الثمانية.

ولكن الإسماعيلية ذهبت إلى نفي الصفات عنه على الإطلاق، واكتفت في مقام معرفته سبحانه بالقول بهويته وذاته دون وصفه بصفات، حتى الصفات الجمالية والكمالية، ولهذا نرى أنّ الداعي الكرمانى يعترض على المعتزلة الذين قالوا

١ . نهج البلاغة: الخطبة الأولى.

بنفي الصفات قائلاً:

إنّ المتأمل المنصف، إذا فحص عن ذلك بفكره، علم أنّ كلاً من المخالفين قد زين مذهبه، بأن عمد في توحيد معبوده ما عمدناه، وقصد ما قصدناه، في استعمال حرف (لا) في نفي^(١) ما يستحق الغير عن الله تعالى، خاصّة المعتزلة الذين صدّروا كتبهم، وزينوها بقولهم في أصول مذهبهم: بأنّ الله تعالى لا يوصف بصفات المخلوقين... وهذا من قولهم، هو أصل مذهبنا، وعليه قاعدة دعوتنا، بأننا لا نقول على الله تعالى، ما يقال على المخلوقين، وهو المعتمد في توحيد معبودنا، والمقصود في أنحاء كلامنا، لكن المعتزلة قالوا بأفواههم قول الموحدين، واعتقدوا بأفئدتهم اعتقاد الملحدين، بنقضهم قولهم أولاً بأنّ الله لا يوصف بصفات المخلوقين، بإطلاقهم على الله سبحانه وتعالى ما يستحقه غير الله تعالى، من الصفات من القول بأنّه حيٌّ قادرٌ عالمٌ، وسائر الصفات، نعوذ بالله.^(٢)

ويقول علي بن محمد الوليد: إنّ نفي الصفات عنه معتقد صحيح، لا يسوغ تركه، لأنّ الصفات تلحق الجوهر، إمّا في الأجسام وإمّا في النفوس، ويكون في الأجسام كيفيات من خارجها، كالأقدار، والألوان، وما يجري مجراها، وفي النفوس كيفيات من داخلها، كالعلم، والجهل، وما يجري هذا المجرى، وهو يتعالى عن أن يكون له داخل أو خارج.

ومّا تقرر عند كل ذي عقل أنّ الصفات تلحق الموصوف من غيره، لا من ذاته، ألا ترى أنّ صفات الأجسام التي هي لها، تأتي من خارجها كالأقدار والألوان، وما يجري مجراها، وفي النفوس كيفيات من داخلها، كالعلم، والجهل وما يجري هذا المجرى، وهو يتعالى أن يكون له داخل أو خارجاً، ومما تقرر عند كلّ ذي عقل أنّ الصفات تلحق الموصوف من غيره لا من ذاته.^(٣)

١. وفي المصدر (النفي)؛ راحة العقل: ٥٢.

٢. راحة العقل: ٥٢-٥٣. ٣. علي بن محمد الوليد: تاج العقائد ومعدن الفوائد: ٢٧.

٥ . الصادر الأوّل هو الموصوف بالصفات العليا:

لما ذهبت الإسماعيليّة إلى نفي الصفات عنه سبحانه، مع أنّ الكتاب والسنة مليئان بهما، لم يكن لهم بُد من إرجاع تلك الصفات إلى المبدع الأوّل، الذي هو الموجود الأوّل، وإليه تنتهي الموجودات، وهو الصادر عنه سبحانه بالإبداع، لا بالفيض والإشراق، كما عليه إخوان الصفا. ^(١)

قال الداعي علي بن محمد الوليد: إنّ الباري تعالى وتقدّس لما تعاضم عن أن يُنال بصفة توجد في الموجودات، لقصور الموجودات عن وصفه بما تستحقّه الإلهيّة، جعل موجوداً أولاً تتعلّق الصفات به، عطفاً ورحمةً ومنّة على عقول عباده أن تهلك وتضل، إذا لم تستند إلى ما تقف عنده، فتوقع الصفات عليه، فجعل للعالم مبدأ مبدعاً، وهو الأوّل في الوجود من مراتب الموجودات، وكان المبدع حق لوجوده عن المتعالى سبحانه، غاية تنتهي إليها الموجودات.

ثمّ إنّ أفاض الكلام في صفاته، وعرفه بكونه: موجوداً حقّاً واحداً، تامّاً، باقياً، عاقلاً، عالماً، قادراً، حيّاً، فاعلاً.

ثمّ قال: الحياة ذات جامعة لهذه الأمور وبها هي فاعلة. ^(٢)

وقال الداعي الكرمانى في هذا الصدد:

«فالإبداع هو الحقّ والحقيقة، وهو الوجود الأوّل، وهو الموجود الأوّل، وهو الوحدة، وهو الواحد، وهو الأزلى، وهو الأزلي، وهو العقل الأوّل، وهو المعقول الأوّل، وهو العلم، وهو العالم الأوّل، وهو القدرة، وهو القادر الأوّل، وهو الحياة، وهو الحيّ الأوّل، ذات واحدة، تلحقها هذه الصفات، يستحق بعضها لذاته، وبعضها بإضافةٍ إلى غيره، من غير أن تكون هناك كثرة بالذات.

١ . رسائل إخوان الصفا: ٣/ ١٨٩، طبعة بيروت.

٢ . علي بن محمد الوليد: تاج العقائد ومعدن الفوائد: ٤٠-٤١.

إلى أن قال: وهذه الأمور وجودها له ضروري، لكونه أولاً في الوجود الواجب، احتوائه على أشرف الكمالات وأشرف الموجودات.

إلى أن يقول: وجوهر هذا الإبداع جوهر الحياة، وعينه عين الحياة، والحياة متقدمة على سائر هذه الصفات، ولذلك قدّم الله تعالى عند وصفه سمة الحياة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^(١) فهو متوحد من جهة كونه إبداعاً وشيئاً واحداً، ومتكثراً من جهة الموجود فيه من الصفات، على ما بيّناه.^(٢)

أقول: إنّ المبدع الأول حسب ما يذكرونه هو الإله الثاني، غير أنّه يفارقه بأنّه المبدع بإبداعه سبحانه، وبذلك يفترق عن إله العالمين.

وأعجب منه أنّ الكرمانى يصفه بأنّه أزليّ، ولعلّ المراد أنّه قديم زماناً وحادثاً ذاتاً.

على أنّ هذا الكلام باطلٌ من أصله، وذلك: لإمكان وصفه سبحانه بالأوصاف الجمالية، والكمالية، من دون أن يطرأ على ذاته وصمة النقص، وذلك بحذف المبادئ، والأخذ بالغايات، فهو سبحانه علم، لا بما أنّه كيف، بل بما هو وجود بحت، وأنّ الوصف ربّما يكون له من الكمال على حدّ يكون قائماً بذاته لا طارئاً على الذات، وما يلاحظ من المباينة بين الوصف والموصوف، فإنّما هو من خصوصيات المورد أيّ الممكنات، ولا يجب أن يكون كلّ وصف كذلك.

١. البقرة: ٢٥٥.

٢. راحة العقل: ٨٣، طبعة القاهرة.

عقيدتهم في العدل

قد تعرّفت في البحث السابق على أنّهم لا يصفونه سبحانه بوصف، ويعتقدون أنّه فوق الوصف، وأنّ غاية التوحيد نفي الوصف، وإثبات الهوية، ولهذا لا تجد عنواناً لهذا الفصل في كتبهم حسب ما وصل بأيدينا، ولكن يمكن استكشاف عقيدتهم في عدله سبحانه من خلال دراستهم لفعل الإنسان، وهل هو إنسان مسيرٌ أو مخيرٌ؟

١ . الإنسان مخيرٌ لا مسيرٌ

يقول الداعي علي بن محمد الوليد: الإنسان مجبور في حال تركيبه، وورقه، ومدّته، وحركات طبائعه، والكيان بنشوته، وما يحدث عليه مقهور عليه مغيب عن إدراكه وعيانه، ليكون مفتقراً بالدعاء والتضرّع إلى خالقه، إذ لو كشف له لفسد حاله. و مخيرٌ غير مجبور فيها يعتقد لنفسه، من علومه، وصناعاته، ومذاهبه، و معتقداته.

إلى أن قال: ولولا ذلك لما كانت لها منفعة بإرسال الرسل، وقبول العلم، وتلقي الفوائد والانصياع لأوامر الله تعالى، إذ لو كانت مجبورة لاستغنت عن كلّ شيء تستفيده.

ثم استدلّ بآيات منها قوله تعالى: ﴿وَ أَنَّ لِّلْإِنْسَانِ إِالْمًا سَعَىٰ * وَ أَنَّ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾^(١) إلى غير ذلك من الآيات.^(٢)

٢. القضاء والقدر لا يسلبان الاختيار

إنّ القضاء والقدر من العقائد الإسلاميّة التي لا محيص لمسلم عن الاعتقاد بهما، غير أنّ البحث فيهما ينصبّ على نكتة مهمة وهي هل أتهما يسلبان الاختيار أو لا؟

فالظاهر من أهل السنّة، إلّا من شدّد، تفسيرهما على وجه يسلبان الاختيار، على خلاف ما ذهب إليه العدليّة.

والإسماعيليّة تُثبت القضاء والقدر حقيقةً لا مجازاً، ولكنها تُنفي كونها سالبين للاختيار.

يقول الداعي علي بن محمد الوليد: القضاء والقدر حقيقة لا مجاز، ولهما في الخلق أحوال على ما رتب الفاعل سبحانه، من غير جبر يلزم النفوس الآدمية الدخول إلى النار أو الجنة.

إلى أن قال: إذ لو كان كذلك لذهبت النبوات والأوامر المسطورات في الكتب المنزلة، في ذم قوم على ما اقترفوه، ومدح قوم على ما فعلوه.

ثمّ إنّه فسّر القضاء بمعنى الفراغ، والأمر، والخبر، والفعل، والوصيّة، وأرجع الجميع إلى معنى الفراغ.

وأما القدر: فقد فسّره بأنّه من المقدار، والتقدير، والترتيب، ثمّ جعل له تفاسير ثمانية، ومن أراد فليرجع إليه. ^(١)

وقد نقل في آخر الفصل رسالة الحسن البصري إلى الحسين بن علي عليه السلام يسأله عن القضاء والقدر، كما نقل جواب الإمام إليه، وقد جاءت هذه الرسالة أيضاً في كتاب «تحف العقول» للحلبي الحراني مع اختلاف يسير.

عقيدتهم في النبوة

١ . النبوة أعلى درجات البشر

النبوة: عبارة عن ارتقاء النفس إلى مرتبة تصلح لأن يتحمل الوحي .
يقول الداعي علي بن محمد الوليد: إنّ الرسول الحائز لرتبة الرسالة، لا ينبغي أن يكون كما لا يفوق كماله ولا علماً يخرج عن علمه، وأنّه الذي به تكون سعادة أهل الدور من أوله إلى آخره، وأنّ السعادة الفلكية، والأشخاص العالمة، والمؤثرات، خدم له في زمانه .

والوجود مكشوف له، وبين يديه، فنظره ثاقب، وإحاطته كلية، وحدود أوضاعه مبرأة من النقص، وجميع ما يأتي به محرر، لا يحتاج إلى زيادة، وأقواله لا تردّ، ولا يوجد فيما ينطق به خلل، وجوهره المقدّس نهاية في الشرف، وأنّ القوة الملكية عليه أغلب وحواسه خادمة لنفسه، وعقله لا ينظر إلّا إلى أوامر الله تعالى خالقه، وأنّه في نهاية من المنازل من مولودات العالم في حسنه. ^(١)

٢ . الرسالة الخاصة والعامة

إنّ الرسالة على ضربين: خاصّة، وعامة.

فالرسالة العامة شاملة طبعاً، وعقلاً، ولولا الرسالة الأولى العامة، لن تُقبل الرسالة الخاصة، وذلك لأنه تعالى خلق الصورة الآدمية، وأكمل منافعها، وسوّاها على أحسن هيئة، ووضع فيها العقل الغريزي، الذي إليه ترجع أحوال الصورة لنيل منافعها، فهو الرسول الأول المُعدُّ لقبول أمر الرسول الثاني، الخاص لمنافع النفس في الآخرة، مثلما كان الأول لمنافع الدنيا، وعلى الأول يعول في الاغتذاء، وطلب المصالح بغير ثواب ولا عقاب، إذ هو أمرٌ بديهي لمنافع الصورة، وعلى الثاني يكون الحساب والعقاب، إذ هو أمرٌ ربّانيّ، يدعو إلى دار غير دار الطبيعة.

إلى أن قال:

فإذا أظهر الرسول الرسالة، كانت الفضيلة على المستضيء المنتفع بها، وذلك القادح هو الرسول ﷺ إلى الخلق وحثّته على أهل زمانه، وهو لسانه فيهم، وترجمانه في العالم السفلي بأسره، والمتبحّر أبداً في الحكمة. ^(١)

أقول: إنّ تسمية العقل الإنسانيّ بالرسول لا يخلو من شيء، والأولى تسميته بالحُجّة الباطنة، في مقابل الحجة الظاهرة، الذي هو النبي.

٣. الوحي

إنّ الوحي: إلهام خاص بالأنبياء والمرسلين، إذا كانت لغاية التشريع، وتبيين الوظائف لمن بعثوا إليهم، وله طرق ثلاثة، جاء في الذكر الحكيم، قال سبحانه:

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ﴾. ^(٢)

١. تاج العقائد: ٤٨-٥٠.

٢. الشورى: ٥١.

وأما الوحي عند الإسماعيلية، فيقول الداعي علي بن محمد الوليد: إنّ الوحي: هو ما قبلته نفس الرسول من العقل، وقبله العقل من أمر باريه، ولم يخالفه علم تألفه النفس الناطقة، بقواها، ثمّ تتأمل منه النفس ما ليس لها استنباطاً بذاتها، ولا تستخرجه بفكرها، وتكون فيه غاية لسداد قصدها، ومصالحة لجميع أمرها.

إلى أن قال: والفرق بين الوحي وغيره من سائر العلوم، أنّ الوحي يرد على من يوحى إليه مفروغاً منه، قد استغنى عن الزيادة فيه والنقصان منه، كما يقع الصحيح للمستمع من المتكلم، وصفه ومعناه خارجين عن قدرة من جاء به، وليس كذلك العلوم، لأنّها تكون بالمقايسة، وكثرة الدوّب فيها، وإعمال الفكر والرؤية والتأليف والتحرير. (١)

ثمّ للداعي الكرمانى كلام مفصّل في الوحي لا يخلو من تعقيد. أعرضنا عن نقله. (٢)

٤ . في أنّ الأنبياء لا يولدون من سفاح

يقول علي بن محمد الوليد: إنّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام لا يلداهم الكفار، ولا يولدون من سفاح، ثمّ استدلل ببعض الآيات، وما جاء في التاريخ في حقّ عبد المطلب وأبي طالب. (٣)

٥ . في صفات الأنبياء

يقول الداعي الكرمانى: المؤيد المبعوث مجمع الفضائل الطبيعية، التي هي

١ . تاج العقائد: ٤٧-٤٨ .

٢ . راجع راحة العقل: ٤٠٩-٤١٠ .

٣ . تاج العقائد: ٥١ .

أسبابٌ في نيل السعادة الأبدية، وهو فيها على أمر يكون به على النهاية في جميعها، من جودة الفهم والتصور لما يشار إليه ويوماً، ومن جودة الحفظ لما يراه الخاطر والعين على تباينه، ويدركه السمع من الصوت على اختلافه، ومن جودة الفطنة والذكاء والتوقد فيهما، ومن جودة الذكر، ومن جودة الأعضاء وسلامتها، والقدرة على التأنّي بمعاونة أمور الحرب ومباشرتها والصبر عليها، ومن جودة الفطرة والطبع، ومن جودة النحيضة (الخير) في السلامة والانقياد لكل خير، فيكون خالياً من الرذائل، التي هي الشره والطمع والرغبة في المأكول والمشروب والمنكوح زيادة على الحاجة، واللعب واللهو، وعاطلاً في الجملة، من الأمور التي تعوق على النفس سعادتها.

ويكون عظيم النفس كريماً، محباً للعدل، مبغضاً للظلم والجور، مؤثراً لما يعود على النفس منفعتها من العبادة، مقداماً في الأمور، جسوراً عليها، لا يروعه أمر في جنب ما يراه صواباً بجوهره. ^(١)

٦ . الرسول الناطق

الرسول الناطق، هو الأصل الذي يصدر عنه الدين بما فيه من علم وعمل، وبمن فيه من أئمة يدعون إلى التحقق بكمال العلم عن طريق العبادة الظاهرة. ^(٢) وفي الحقيقة، الرسول الناطق عندهم، عبارة عن أولي العزم من الرسل، غير أنهم يعدون آدم منهم، والمشهور عند سائر المسلمين أنه ليس منهم، ويضيفون إليهم محمد بن إسماعيل باسم القائم؛ وإليك أسماءهم: آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، القائم.

١ . راحة العقل: ٤٢١-٤٢٢.

٢ . مصطفى غالب: في مقدمة كتاب الينابيع: ١٧.

وكل واحد منهم رسول ناطق، يتقدّمه إمام مقيم ويتلوّه الأئمة الأساس - المتم - المستقر - المستودع - وهم يتعاملون مع القائم الذي يبدأ به الدور، أعني: محمد بن إسماعيل، معاملة الرسول الناطق، ولا يشترط أن يكون في كل دور إمام مستودع، فإنه إنما يتسلّم شؤون الإمامة في الظروف الاستثنائية، وكأنّه ينوب عن الإمام المستقر كما سيتضح معنى ذلك.

ولا يخفى أنّ في صميم العقائد الإسماعيلية تناقضاً وتعارضاً، فمن جانب نراهم يصرّحون بخاتمة النبوة والرسالة، وأنّ القرآن حجة خالدة إلى يوم القيامة، وأنه لا ينسخ القرآن إلّا بالقرآن. (١)

ومع ذلك فمحمد بن إسماعيل، المعبر عنه بالقائم عندهم من النطقاء (٢)، ولأجل إيضاح ذلك سوف نبحث عن عقيدتهم في الإمامة إن شاء الله.

٧. في المعجزات التي يأتي بها الرسل

قال علي بن محمد الوليد: إنّ المعجزات التي ترد وقت إظهار الشرائع من الرسول حقيقية، وإنّها على ثلاثة أقسام:

الأول: خرق العادة في تكوين العالم بظهور ما يعجز العقل عن وجوده من الأمور الطبيعية، من ردّ ما في الطبيعة عن قانونه المعهود لقهر العقول، ودخولها تحت أمر المعقولات، ومن أجله يعلم أنّه متصل بالفاعل، الذي لا يتعدّر عليه متى أراد، إذ كلّما في العالم لا يتحرك إلّا بهادته وتدييره.

الثاني: ما يأتي به الشخص المبعوث من النطق المنسوب إلى من أظهر له المعجزات، وأعجز كافة أهل الدور عن الإتيان بمثله.

١. تاج العقائد: ٩٨.

٢. وقد مرّ كلامهم في ذلك ص ٩٢. وما علقنا عليه فلاحظ.

الثالث: جميع الفضائل الموجودة في أشخاص العالم فيه حتى لا يوجد فوق كماله كمال في وقته. ^(١)

أقول: إنّ القسم الثاني الذي يريد به القرآن الكريم داخل تحت القسم الأول، فلا وجه لعدّه قسماً ثانياً.
والقسم الثالث: كمالات النبي، ولا تعدّ معجزة.

٨. في أنّ الرسول الخاتم أفضل الرسل

يُفَضَّلُ رسول الله على سائر الرسل والأنبياء من وجوه، أفضلها الوجوه التالية:

أ: هو أنّه سبحانه جعل شريعته مؤيَّدة لا تُنسخ أبداً، وجعل الإمامة في ذريته إلى قيام الساعة، ولم يُقدَّر ذلك لغيره.

ب: أنّ الله عزّ وجلّ أعطاه الشفاعة في الخلق. ولم يعطها إلى نبي قبله.

ج: أنّ الأنبياء قبله بطلت معجزاتهم من بعدهم، ومعجزة محمد ﷺ وهي «القرآن» ثابتة مؤيَّدة لا تفنى أبداً إلى حين زوال أحكام الدنيا. ^(٢)

٩. في أنّ الشريعة موافقة للحكمة

إنّ الحكمة والفلسفة العقلية، هي والحكمة الشرعية سواء، لأنّ الله سبحانه خلق في عباده حكماء، وعقلاء، ومحال أن يشرع لهم شرعاً غير محكم وغير معقول، ولا يبعث برسالته وشرعه إلّا حكيماً عاقلاً مدركاً مبيّناً لما تحتاجه العقول، ويكلّف لها بما يسعدها ويقوي نورها ويعظم خطرها. ^(٣)

٢. تاج العقائد: ٥٩-٦٠.

١. تاج العقائد: ٩٧.

٣. المصدر نفسه: ١٠١.

١٠ . في أنّ الشريعة لها ظاهر وباطن

يقول علي بن محمد الوليد: إنّ الشارع قد وضع أحكام شريعته وعباداتها من الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحجّ وغير ذلك، مضمّنة للأُمور العقليّة والأحكام والمعاني الإلهيّة، وما يتخصّص منها من الأُمور الظاهرة المشاكلة لظاهر الجسم، والأُمور الباطنة المشاكلة للعقل، والنفس، وكلُّ من حقّق ذلك كانت معتقداته سالمة. ^(١)

أقول: هذا المقام هو المزلقة الكبرى للإسماعيلية المؤولة، إذ كلُّ إمام وداع، يسرح بخياله فيضع لكل ظاهر باطناً ولكلّ واجب حقيقةً، يسمي أحدهما بالشريعة الظاهرية والآخر بالباطنية من دون أن يدلّ عليه بدليل من عقل أو نقل، فكلُّ ما يذكرونه من البواطن للشريعة ذوقيات، أشبه بذوقيات العرفاء في تأويل الأسماء والصفات وغير ذلك، وكأنّ الجميع فروع من شجرة واحدة. وستوافيك نظرية المثل والمثول في فصل خاص، وتقف على تأويلاتهم.

عقيدتهم في الإمامة

تحتل الإمامة عند الإسماعيلية مركزاً مرموقاً حيث جعلوها على درجات ومقامات وزودوا الأئمة بصلاحيات واختصاصات، ولتسليط الضوء على عقيدتهم فيها نبحث في مقامين:

المقام الأوّل: الإمامة المطلقة

إنّ درجات الأئمة ورتبهم لا تتجاوز عن الخمسة من دون أن تختص بالشريعة الإسلامية، بل تعم الشرائع السماوية كلّها، وبما أنّ مذهب الإسماعيلية أحيط بهالة من الغموض عبر القرون لم يكن من الممكن أن يقف أحداً عليها إلاّ طبقة خاصة من علماءهم، وكانوا يخلون بأرائهم وكتبهم على الغير، غير أنّ الأحوال الحاضرة رفعت الستر عن كتبهم ومنشوراتهم، فقام المستشرقون وفي مقدّمتهم «ايفانوف» الروسي وتبعه عدد آخر من المحقّقين بنشر آثارهم، وعند ذلك تجلّت الحقيقة بوجهها الناصع، كما قام الكاتبان الإسماعيليان عارف تامر ومصطفى غالب ببذل الجهود الحثيثة في نشر آثار تلك الطائفة، فكشفا النقاب عن وجه العقيدة الإسماعيلية وبيّناها بوجه واضح خالياً من الغموض والتعقيد الموجودين في عامة كتب الإسماعيلية وإن كان بين الكاتبتين اختلاف في بعض

الموارد، ونحن نعتمد في تفسير درجات الإمامة على كتاب «الإمامة في الإسلام» للكاتب عارف تامر، وإليك بيانه:

درجات الإمامة خمس وهي:

١ . الإمام المقيم .

٢ . الإمام الأساس .

٣ . الإمام المتم .

٤ . الإمام المستقر .

٥ . الإمام المستودع .

و ربما يضاف إليها رتبتان الإمام القائم بالقوة، و الإمام القائم بالفعل .

فالمهم هو الوقوف على هذه الدرجات .

يعتقد عارف تامر في كتابه «الإمامة في الإسلام» انّ هذه الدرجات ظلّت حقة طويلة من الزمن مجهولة لدى الباحثين إلّا طبقة خاصة من العلماء، أو لا أقلّ في التقيّة والاستتار و الكتمان .

١ . الإمام المقيم

هو الذي يقيم الرسول الناطق ويعلمه ويربّيه ويدرجه في مراتب رسالة النطق، وينعم عليه بالإمدادات وأحياناً يطلقون عليه اسم «رب الوقت» و«صاحب العصر»، وتعتبر هذه الرتبة أعلى مراتب الإمامة وأرفعها وأكثرها دقة وسرية .

٢ . الإمام الأساس

هو الذي يرافق الناطق في كافة مراحل حياته، ويكون ساعده الأيمن،

وأمين سره، والقائم بأعمال الرسالة الكبرى، والمنفذ للأوامر العليا، فمنه تتسلسل الأئمة المستقرون في الأدوار الزمنية، وهو المسؤول عن شؤون الدعوة الباطنية القائمة على الطبقة الخاصة ممن عرفوا «التأويل» ووصلوا إلى العلوم الإلهية العليا.

٣. الإمام المتم

هو الذي يتم أداء الرسالة في نهاية الدور، والدور كما هو معروف أصلاً يقوم به سبعة من الأئمة، فالإمام المتم يكون سابعاً ومتماً لرسالة الدور، وإن قوته تكون معادلة لقوة الأئمة الستة الذين سبقوه في الدور نفسه بمجموعهم. ومن جهة ثانية يطلق عليه اسم ناطق الدور أيضاً، أي أنّ وجوده يشبه وجود الناطق بالنسبة للأدوار. أما الإمام الذي يأتي بعده فيكون قائماً بدور جديد، ومؤسساً لبنيان حديث.

٤. الإمام المستقر

هو الذي يملك صلاحية توريث الإمامة لولده، كما أنه صاحب النص على الإمام الذي يأتي بعده، ويسمونه أيضاً الإمام بجوهر والمتسلم شؤون الإمامة بعد الناطق مباشرة، والقائم بأعباء الإمامة أصالة.

٥. الإمام المستودع

هو الذي يتسلم شؤون الإمامة في الظروف والأدوار الاستثنائية، وهو الذي يقوم بمهامها نيابة عن الإمام المستقر بنفس الصلاحيات المستقرة للإمام المستقر، ومن الواضح أنه لا يستطيع أن يورث الإمامة لأحد من ولده، كما أنهم يطلقون عليه (نائب غيبة).^(١)

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٤٣-١٤٤.

والعجب انهم عندما بحثوا موضوع الإمامة لم يجعلوا تسلسلها من إسماعيل ابن جعفر الصادق فحسب، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وحجتهم أنّ الإمامة إذا كانت قد بدأت من هذا العهد المبكر فتكون محدثة ولا يقوم وجودها على أساس^(١)، فذهبوا إلى عهد بدء الخليقة المعروف بعهد آدم وسلسلة الإمامة من عصر آدم إلى يومنا هذا، ثمّ أضافوا إلى ذلك قولهم بالأدوار والأكوار، فقد جعلوا كل دور يتألف من إمام مقيم ورسول ناطق أو أساس له، ومن سبعة أئمة يكون سابعهم متم الدور، ويمكن أن يزيد عدد الأئمة عن سبعة في ظروف أخرى وفي فترات استثنائية، وهذه الزيادة تحصل في عداد الأئمة المستودعين دون الأئمة المستقرين، أمّا الدور فيكون عادة صغيراً وكبيراً، فالدور الصغير هو الفترة التي تقع بين كلّ ناطق وناطق يقوم فيها سبعة أئمة. أمّا الدور الكبير فيبتدئ من عهد آدم إلى القائم المنتظر الذي يسمّى دوره الدور السابع، ويكون بالوقت ذاته متماً لعدد النطقاء الستة.

فلأجل عرض صورة عن عقائدهم في مجال تسلسل الإمامة من عصر أئمة آدم إلى يومنا هذا سوف نأتي بالجداول التي استخرجها، عارف تامر في كتاب «الإمامة» ومصطفى غالب في كتاب «تاريخ الدعوة الإسماعيلية».

يقول عارف تامر: إنّ هذا الموضوع من أدق المواضيع وأصعبها، بل هو بالحقيقة من الدعائم المتينة في عقائد الإسماعيلية، وقد يبدو لكل باحث فيها أنّ دعائمه حافظوا على سرّيته التامة طيلة العصور الماضية وجعلوا معرفته مقتصرة على طبقة خاصة من العلماء والدعاة.^(٢)

و سوف توافيك تلك الجداول تحت عنوان «شجرة الإمامة الإسماعيلية» في الفصل الحادي عشر فانتظر.

١. ماذا يعنون من هذه الجملة، هل الإمامة أمر أزلي، أو الإمام موجود قديم مع تضايف البراهين على حدوث ما سوى الله سبحانه؟!

٢. الإمامة في الإسلام: ١٤١.

المقام الثاني: في الإمامة الخاصة

قد تعرفت على نظام الإمامة في مذهب الإسماعيلية ولكن المهم هو الوقوف على ملامح الإمامة عندهم بصورة عامة، وقد تصدّى لذكرها الداعي اليمني علي ابن محمد الوليد في كتابه «تاج العقائد» ونحن ننقل منه ما يبيّن عقيدتهم في ذلك:

١. صاحب الوصية أفضل العالم بعد النبي في الدور

إنّ صاحب الوصية هو الذي جوهره لاحق بجوهره، وكماله مشتق من كماله، وإنّ معاني أقواله ورموز شريعته وأسرار ملته وحقائق دينه توجد عنده، ولا تتعداه، ولا تؤخذ إلّا منه، وآته المبرهن عن أغراضه، والمفصح لأقواله، المبين لأفعاله، القائم بالهداية بعده لمن قصد المعرفة لما جاء به، والحافظ لشريعته من الآراء المختلفة، وبذلك كان وصياً، ولا يوجد في الأصحاب من يقوم مقامه، ولا يسد مسده في حفظ معاني تكليفه الذي أخذه عن باريه مع ما يوجد فيه من الطهارة، وصدق القول، وزكاة النفس، والاحتواء على العلوم، والقربة منه في الطبع، والجوهر، والسابقة، والصحبة، والأصل. ^(١)

٢. في أنّ الإمامة في آل بيت رسول الله ﷺ

يُعتقد أنّ الإمامة في آل بيت رسول الله ﷺ من نسل علي وفاطمة فرض من الله سبحانه أكمل به الدين فلا يتم الدين إلّا به، ولا يصحّ الإيمان بالله والرسول إلّا بالإيمان بالإمام والحجة، ويدل على فرض الإمامة إجماع الأمة على أنّ الدين والشريعة لا يقومان ولا يصابان إلّا بالإمام، وهذا حقّ لأنّه سبحانه لا يترك الخلق

سدى. ولا يمنعهم هذه الفريضة التي لا تسوغ الهداية إلا بها.

وإن الرسول نص على ذلك نصاً تشهد به الأمة كافة بقوله: «الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا، وأبوهما خير منهما»، ولم يحوج الأمة إلى اختيارها في تنصيب الإمام، بل نص عليها بهذا لأن بالإمامة كمال الدين.

فلو أن الرسول تركها حتى تكون الأمة هي التي تفعلها ويتم بما فعلوه (في) دين الله بقولهم أن الرسول لم ينص على الوصية ولا استخلف أحداً لخرجت الإمامة عن أن تكون فرضاً على الأمة، وكان سبيلها سبيل الولاية في كل زمان، القائمين بأمر الناس.

إلى أن قال: وقد اعترف المخالفون أن إمامة الثلاثة ليست بنص، لأنهم قد جحدوا النص والوصية وفيما جرى في السقيفة من الأصول ما يجب للعاقل أن يفكر فيه وغير معيوب على المتخلف عن بيعتهم والخلاف لهم فيها إذ كان الحال فيما تقرّر مشهوراً غير مستور، والعودة إلى الحقائق أولى لمن يعتمد عليها إذا كان طالباً للهداية مع ترك التعصب. (١)

٣. في أنّ الإمامة واردة النبوة والوصاية

الإمام يرث من النبوة الظواهر والأحكام وجري الأمور على ما علمه من النظام.

ويرث من صاحب الوصاية المعاني التي ورثها عن النبوة، ليكون الكمال موجوداً لقاصده، ومسلماً في شريعته التي جعلها عصمة لمن التجأ إليها، وطهارة لمن التزم قوانينها وسار على محجّتها، فتسلم له دنياه ويفوز في عقباه بالتجائه إلى من عنده علم النجاة وحقيقة الشريعة السالمة من كل تغيير وتمويه مع سلامة

توحيده لباريه. (١)

أقول: ولا يذهب عليك أن الإمام على هذا أفضل من النبي كما هو أفضل من الوصي، لأن الإمام جامع للمنقبتين ظاهر الشريعة وباطنها، إلا إذا كان النبي رسولاً فهو جامع أيضاً للمنقبتين، ولا أدري من أين لهم هذه الضوابط والقواعد، وما هو الدليل على هذا التقسيم؟!

٤ . في انقطاع الوصاية بعد ذهاب الوصي

يُعتقد أن الوصي إنَّما يوصيه الرسول على معالم شريعته، وأسرار ملّته، وعيون هدايته، وحقيقة أقواله، وحفظ أسراره، فإذا قام بها ومضى إلى دار كرامته استحال قيام وصي ثان بعده، لأنّ الشريعة لم تتغير، ولا ذهبت فتأتي أوامر جديدة تحتاج إلى من يوصى بحفظها والقيام بمعانيها وضبط أحوالها، فلهذا كان انقطاع الوصية بعد مضي الوصي الذي خلفه الرسول في العالم. (٢)

٥ . في استمرار الإمامة في العالم دون النبوة والوصاية

يُعتقد: أنّ الإمامة مستمرة الوجود في الأدوار جميعها، من أولها إلى آخرها، لأنّ الإمام هو السوارث لما جاء به النبي ﷺ من الشرع والوصي على البيان، لكونه حافظاً في الأمة على الهداية التي ورثها منها، ولما كان أمر الرسول والوصي جارياً على أهل الدور من أوله إلى آخره، كان من ذلك حفظ درجة الإمامة على الدور بالاستمرار، والتوالي، إذ لم يبق زيادة تستجد فتحتاج إلى منزلة مستجدة، فكانت هداية موروثية منسوبة إلى أصل الدور، ومعلم الشريعة والبيان، فلا تزال هذه

١ . تاج العقائد: ٦٦.

٢ . المصدر نفسه: ٦٨.

الحالة مستمرة إلى حين تأذن الحكمة الإلهية بتجديد شريعة ثانية، وأمر يحتاج العالم إليه لحفظ نظامه، ولما كانت هذه الشريعة، أي شريعة محمد، لا تنسخ، ولا يفقد حكمها حتى قيام الساعة، بقيت الإمامة فيها موجودة، ومحفوظة إلى حين قيام الأشهاد، ويوم التناد، فلهذا استمرت الإمامة في العالم دون النبوة، والوصاية.^(١)

وعلى هذا فكل إمام غائب أو حاضر بعد الإمام الصادق يساوي في الفضل والعلم والكمال الإمام المنصوص في يوم الدار ويوم الغدير، فالإمام الحاضر، أعني به: كريم آغا خان، تساوي كفته في معالي الأمور كفة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فيقوم بنفس ما يقوم به الإمام.

ياترى ما هذا الجور في القضاء والاعتساف في الحكم، فكيف يكون الإمام المذكور إماماً عالمياً محيطاً بالشريعة وواقفاً على أسرارها مع أنه تلقى علومه الأولية في مدارس سويسرا فأتقن الانكليزية والفرنسية والإسبانية كما درس اللغة العربية وبعد أن أكمل تحصيله في سويسرا انتسب إلى جامعة هارفرد الأمريكية؟!!!^(٢)

والإمام الذي يتلقى العلوم الظاهرية في المدارس والجامعات كيف يكون واسطة في الفيض، واقفاً على الأسرار، وإماماً يعادل في التقى والعصمة والعلم والفضل الأئمة المعصومين المنصوبين من قبل النبي صلى الله عليه وآله؟! وكأني بآب من المعرفة يقول:

فيا موت زر إن الحياة ذميمة ويا جد جدي ان سعيك هازل

١. تاج العقائد: ٦٩.

٢. راجع تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٤٠٣.

٦. في أنّ الإمام لا تجوز غيبته من الأرض

إنّ الإمام لا تجوز غيبته عن الأمة بوجه، ولا بسبب، وإن حدثت فترة فتكون خواص شيعته على اتصال به ويعرفون مقامه، ويدلّون من خلصت نيته إلى مقره.

والغيبة لا تخلو من ثلاث خصال:

١. أن تكون غيبته من قبل الله.

٢. أن تكون من قبل نفسه.

٣. أن تكون من قبل الناس وخيفة من أعدائه.

فباطل أن تكون الغيبة من قبل الله، لأنّ ذلك لا يليق بالحكيم العادل.

وإذا رجعنا إلى نفسه فلا نجد لها من قبلها، لأنّه معصوم من الخطايا وفرض

ولايته يوجب حضوره.

وإن كان من قبل الناس، فقد شكّ في دين الله، لأنّ الله نصبه وتكفل

إبصال الهداية إلى الأمة به، وعرفه أنّه لا يخرج من العالم حتى يورث مقامه هادياً مثله.

إذن فليس لخوفه من الناس وجه.

إلى أن قال: والإمام هو الحاكم بين عباد الله، الموهوب له الحكم من الحكيم

الخبير والنائب في خلافته على الخلق، الوارث الأرض، والمتصرف بأحكامها ولا

يجب زواله ولا عدمه بوجه من الوجوه.^(١)

أقول: إنّ المراد من الغيبة ليس هو الغيبة عن عالم الوجود كما تصوّره ذلك

الكاتب، بل المراد من الغيبة هو الغيبة عن أعين الناس، فهو يبعث بين الناس

فيعرفهم ولا يعرفونه، لا أنّه يخرج من الدنيا ويعيش في عالم آخر يباين ذلك العالم،

وهذا يعرب عن أن الداعي لم يرجع إلى كتب الإمامية الاثني عشرية، وهو مع ذلك يتصرف في الأمور حسب مصالح الناس وإن كان الناس لا يعرفونه، ويتشرف بحضوره ويتمتع بلقائه من هو أهل لذلك وإن كان يكتمه ولا يظهره إلا للخاصة من الناس.

هذا هو القرآن الكريم يعترف لنا ولياً من أوليائه سبحانه، كان يعيش بين الناس ويركب سفينتهم ويتصرف فيها أمام أعينهم وهم لا يعرفونه ويتصرف في أمور أشد من ذلك يقتل غلاماً معصوماً بإذن من الله ولا يلاحق، ويبنى جداراً في حال الانقضاض تحته كنز ليتيمين لغاية الستر عليه حتى يستخرجا كنزهما رحمة من ربه يقول سبحانه:

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً* وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا* فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رَحْمَةً* وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ*﴾ (١)

وقد غاب عن أعين الناس على وجهه لم يكن الرسول موسى ﷺ عارفاً به، وإنما عرفه بتعريف من الله سبحانه.

فلماذا لا تكون غيبة الإمام بهذه الصورة، أي يكون غائباً عن أعين الناس ولكن متصرفاً في مصالحهم ويلتقي مع خيار أمته؟

هذا وإن لأصحابنا كتباً ورسالات حول غيبة الإمام الثاني عشر كشفوا فيها علل الغيبة ومصالحها وفوائدها، فمن أراد فليرجع إليها. (٢)

١. الكهف: ٧٩-٨٢.

٢. لاحظ، كمال الدين للشيخ الصدوق، الغيبة للشيخ الطوسي، ومنتخب الأثر للعلامة الصافي.

٧. في الوصية بعد الرسول ﷺ إلى الوصي

يعتقد بوصية الرسول إلى علي بن أبي طالب عليه السلام من اثني عشر وجهاً، منها:

١. قول النبي صلى الله عليه وآله: «لا يحل لامرئ مسلم أن يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه».

٢. إجماعنا على أن الرسول استخلف علي في المدينة في غزوة تبوك مقتدياً باستخلاف موسى لأخيه هارون عند مضيه لميقات ربه، وفي هذا الاستخلاف قال له: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

٣. حديث الدار والإنذار وقد ذكره المفسرون في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ^(١). ^(٢)

أقول: والعجب أنه لم يذكر حديث الغدير الذي اتفقت الأمة على نقله!!

٨. في قعود علي عن الخلافة

ويعتقد أن قعود الوصي بعد الوصية لم يكن عن عجز، ولا تفريط، وذلك لأن الرسول صلى الله عليه وآله قد أعلمه عن دولة المتغلبين، وعقوبة الله عز وجل لهم في ذلك بقوله: «إن لك يا علي في أمّتي من بعدي أمر، فإن ولوك في عافية، وأجمعوا عليك في رضى، فقم بأمرهم، وإن اختلفوا واتبعوا غيرك، فدعهم وما هم فيه، فإن الله سيجعل لك مخرجاً».

فلما قام أمير المؤمنين في يوم الجمل وصفين والنهروان قام في الوصية أيضاً لقول الرسول صلى الله عليه وآله: «يا علي تقا تل بعدي الناكثين والمارقين والقاسطين».

١. الشعراء: ٢١٤.

٢. تاج العقائد: ٦٠-٦٤.

فليت شعري من هؤلاء الذين نكثوا ومرقوا وقسطوا حتى قاتلهم، هل هم غير أمة محمد الذين نكثوا بيعة وصيته ومرقوا عن أمره، وقسطوا وأظهروا الأحقاد الكامنة له ولأهل بيته بالرغم من أوامر الرسول إليهم. (١)

٩. في فساد إمامة المفضول

يعتقد فساد إمامة المفضول وإبطال إمامة المشرك الناقض لقوله عز وجل: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. (٢)

فجّل ثناؤه وتقدّست أسماؤه بين أنّ عهد الإمامة وخلافة الله تعالى لا تلحق من أشرك بالله طرفة عين، وإنما يكون ميراثها في الطاهرين المصطفين العلماء، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾. (٣)

وقوله: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. (٤)

وقد ثبت أنّ كلّ من دخل في الإسلام من الجاهلية فقد عبد الأصنام وتدنس بالشرك مع ما كانوا يفعلون برسول الله أيام حياته مما هو مشهور غير خفي. و توقف كلّ واحد منهم بعده وحاجتهم إلى علم علي مع طهارته واصطفائه عليهم في حالتي العلم والجسم، وكونه لم يسجد لصنم، ولا توقف عن أمر محمد ﷺ ولا كانت له سابقة في الجاهلية، ولا أشرك في الله طرفة عين، ولا

١. المصدر نفسه: ٧٢.

٢. البقرة: ١٢٤.

٣. فاطر: ٣٢.

٤. يونس: ٣٥.

تحمل، ولا كذب، ولا داهن، ولا مال إلى مفضل، بالرغم من ميل الغير عنه إلى كل مفضل، مع إقرار المفضل على نفسه بقوله: «وليت عليكم ولست بخيركم» وغير ذلك من قوله: «فإن غلظت فردوني، وإن اعوججت فقوموني، فإن لي شيطاناً يغريني».

فليت شعري على أي شيء اعتمدوا بتقديم من قدموه دون نص، أو وصية^(١).

١٠ . في إبطال اختيار الأمة للإمام

ويعتقد أنّ اختيار الأمة لنفسها الإمام غير جائز، لأنّ إقامة الحدود على الأمة هي للإمام، ففيها بعض رسوم الشريعة المبسوطة إلى الإمام، من دون الأمة، فإقامة الإمام الذي تتعلّق به كلّ أمور الشريعة، لأنّه صاحب المقام العظيم، والمستخلف أولى أن يكون بأمر الله، وإذا كان إقامة الإمام بأمر الله كان من ذلك الإيجاب بأنّ الاختيار من الأمة باطل.

وانّ صحّة العلم أنّ المختار للإمامة لا يكون إلاّ بعد الإحاطة بجميع ما يحتاج إليه في الإمامة من علم الشريعة والكتاب والأحكام، ثمّ العلم بأنّ ما عرف ممّا يحتاج إليه في الإمامة موجود فيمن يختاره هو كاف فيه.^(٢)

١١ . في أنّ كلّ متوثب على مرتبة الإمام فهو طاغوت

ويعتقد أنّ كلّ من دفع الإمام عن مقامه ومنزلته وعانده بعد وصية النبي له في كلّ عصر وزمان، إنّما هو المشار إليه باسم الطاغوت، وهو رئيس الجائرين

١. تاج العقائد: ٧٥-٧٦.

٢. تاج العقائد: ٧٦.

الحائدين عن أمر الرسول، المعني بالظالم، الذي توجهت إليه الإشارة وإلى أمثاله في كل دور: ﴿وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾. (١) إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾. (٢)

فالتطاغوت هو رئيس الجائرين المعتدي على المنصوص عليه، والشيطان معاضده على الباطل القائم في نصرته المنمق للأحاديث الكاذبة ليصرف وجوه الناس إليه، ويصدّهم عن أمر الله ورسوله بالكون معه، والطاعة له، وإذا نظروا إلى ما تضمنته الشريعة، يتبين لهم الأمر على جليلته، وتفتح لهم طرق الهداية ويقع الانتباه ويزول الهوى ويشملهم التوفيق في قصدهم. (٣)

١٢ . في أنّ الأرض لا تخلو من حجة الله فيها

يعتقد أنّ الأرض لا تخلو من حجة الله فيها: من نبي، أو وصي، أو إمام يقوم المسائل، وقيم الحدود، ويحفظ المراسيم، ويمنع الفساد في الشرع، ويقبل الأعمال، ويزكي الأفعال، وتقام به الحجة على الطالب، ويزيل المشكلات إذا حلت على المتعلمين، ويركز الأمة بعد غيبة نبيها، إذا كان شخصه غير مستقر البقاء في العالم، محفوظ النسب، معروف الولادة، متبع دين آبائه، لا يرجع عن أقوالهم، ولا يقدم غيرهم، ولا يكون مأمون خلاف غيره، ولا مشير في الفضيلة إلى سواه، متبوع لا تابع، مقصود لا قاصد، مرغوب في حكمه، وصحة أفعاله، وتعاليمه، وهدايته، لأنّ الرسول جعله دليلاً للمتعلم، ونجاة للحائر. (٤)

١. الفرقان: ٢٧.

٢. الفرقان: ٢٩.

٣. تاج العقائد: ٧٨-٧٩.

٤. تاج العقائد: ٧٠-٧١.

أقول: إنَّ ما ذكره من أنَّ الأرض لا تخلو من حجة لله حق، ولكن السبب ليس ما جاء في كلامه من إقامة الحدود، وحفظ المراسم، ومنع الفساد؛ فإنَّ ذلك يقوم به سائر الولاة أيضاً، وإنَّما الوجه أنَّه الإنسان الكامل وهو الغاية القصوى في الخلقة ويترتب على وجود ذلك الإنسان الكامل بقاء العالم بإذن الله سبحانه وآخره لحصول الغاية وإلى ذلك يشير الحديث النبوي:

«أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض». (١)

وقوله ﷺ لعلي عليه السلام: «إني وأحد عشر من ولدي وأنت يا علي رزَّ الأرض - أعني أوتادها وجبالها - بنا أوتد الله الأرض أن تُسيخ بأهلها فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا». (٢)

وقال ﷺ: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون». (٣)

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً». (٤)

١٣ . منع المبتي عن الكلام

ويعتقد أنّ منع المبتي عن الكلام في الدين، صفات، واقتداء بأفعال الله، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الطفل يتكلم عند خروجه وولادته، وإنَّما تأخر عن الكلام لحكمة أوجبها لتكون لأبويه عنده فضيلة التنطيق، والتلقين، والتعليم، وكذلك المبتي يمنع من المجادلة، والنطق بما يشق على غيره،

١. الشريف الحضرمي: رشفة الصادي: ٧٨، الصواعق المحرقة: ٢٣٣-٢٣٤.

٢. الغيبة: ٩٩، عنه البحار: ٣٦/٢٥٩ ح ٧٩.

٣. الصواعق المحرقة: ١٥٠.

٤. نهج البلاغة: ٤٩٧، قسم الحكم، الحكمة رقم ١٤٧.

ومتى تعلم من شيخه أو معلمه القائم له مقام الصورة، فيعلمه الأصول التي يجب الاحتياط بها نموذجاً يحتذى عليه في خطابه، وكلامه فيما يجب الاحتياط له.^(١)

١٤ . في أنّ القرآن لا ينسخه إلا قرآن مثله

ويعتقد أنّ القرآن لا ينسخه إلا قرآن مثله، والدلالة على ذلك موافقة السنة للكتاب، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.^(٢) وقال النبي ﷺ في خطبة الوداع: «لا يقولنّ عليّ أحد منكم ما لم أقله، فإنّي لم أحلل إلا ما أحله الله في كتابه، وكيف أخالف كتاب الله وبه هداني؟ وكيف أخالف كتاب الله وبه هداني وعليّ أنزل؟».^(٣)

١٥ . في تخنئة القياس والاستحسان

لا ترخص الشيعة قاطبة القضاء والافتاء بالقياس والاستحسان، والرأي غير المستنبط من الكتاب والسنة ويظهر من الداعي علي بن محمد الوليد، اتفاق الإسماعيلية على منع العمل به قال:

إنّ الخطأ، القول بالرأي، والقياس، والاجتهاد والاستحسان، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.^(٤)

وقال الله عزوجل: ﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ

١. تاج العقائد: ١٨١.

٢. النحل: ١٠١.

٣. تاج العقائد: ٩٨.

٤. النحل: ١١٦.

اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١﴾. فالقائل في الدين برأيه واجتهاده قائل عن الله ما لا يعلم.

قال النبي: «اتبعوا ولا تبعدوا، فإن البدعة رأس كل ضلالة، وكل ضلالة في النار».

وقال عبد الله بن جعفر بن محمد: «إياك وخصلتان فيهما هلك من هلك، إياك أن تكتفي برأيك، أو تدين به لا تعلم».

وقال عليه السلام: «إياك والقياس، فإن أول من قاس إبليس فأخطأ في قوله: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ (٢)».

فالدين لا يصح إلا بالافتداء والاتباع للكتاب والسنة، والرضا، والتسليم، إلى الهادي الذي عرفناه، ورضيناه من غير ابتداء، ولا قول برأي ولا قياس، ولا تقليد سلف.

قال رسول الله ﷺ: «الأمور ثلاثة: أمر قد بان لك رشده فاتبعه، وأمر بان لك غيّه فاجتنبه، وأمر أشكل عليك فرده إلى أهله».

وقال الإمام جعفر بن محمد لأبي حنيفة النعمان القائل بالرأي والقياس: «يا نعمان بلغني أنك تعمل بالقياس، فأخبرني إن كنت مصيباً: لم جعلت العين مالحة، والمنخران رطبان، والأذنان مرتّان، واللسان عذب؟» قال: لا أدري، فأخبرني جعلت فداك؟ فقال الصادق: «العين مالحة لأنها شحمة، ولا تصلحها إلا الملوحة؛ والأنف رطب لأنه مجرى الدماغ والنفس؛ والأذن مرة لقتل الدواب، متى دخلتها؛ وجعل اللسان عذب ليعرف به طعوم الأشياء. يا نعمان إذا لم تعرف

١. البقرة: ٨٠.

٢. الأعراف: ١٢.

ما جعله الله في بنيتك، وأحكمه في صورتك لتها منافعك، فكيف تقيس على دين الله عزّ وجلّ؟!» فقال: أخبرني جعلت فداك، لم تقضي الحائض الصيام دون الصلاة؟ فقال ﷺ: «لأنّ الصلاة تكرر» قال: أخبرني لم وجب الغسل من الجنابة، و الوضوء من الغائط؟ قال: «لأنّ الجنابة تخرج من جميع الجسد، بينما الغائط من مكان واحد» قال: أخبرني لم فضّل الرجل في الفرائض على المرأة مع ضعفها، وقوته؟ قال: «لأنّ الله تعالى جعل الرجال قوامين على النساء، ينفقون عليهن»، فقال أبو حنيفة: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾. (١)

فترك القياس سعادة للمكلّف، وضبط له عن الخوض في دين الله برأي النفس، والهوى الغالب، فإنّ أصل الشريعة ليس بقياس، لأنّه أخذ عن الله تعالى بتعليم الملك، وأخذ من الرسول بتعليم دون قياس، وأخذ من الوصي بتعليم النبي، وأخذ من الإمام بتعليم الوصي، وأخذ الرجال بتعليم الإمام دون رأي من يرى، وقياس من قاس، واجتهاد من اجتهد، بالظنون الكاذبة، والرأي، والآراء المتناقضة. (٢)

١. الأنعام: ١٢٤.

٢. تاج العقائد ومعدن الفوائد: ٨٢-٨٤.

عقيدتهم في المعاد وما يرتبط به

المعاد بمعنى عود الإنسان إلى الحياة الجديدة من أسس الشرائع السماوية وهي حقيقة لا تنفك عن الإيمان بالله، لذا نرى أنّ أصحاب الشرائع اتّفقوا على وجود المعاد بعد الموت: ﴿وَ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾^(١) . ولولا القول بالمعاد لما قام للدين عمود، ولا اخضرّ له عود.

نعم، اختلفوا في كونه جسمانياً أو روحانياً وعلى فرض كونه جسمانياً فهل الجسم المعاد جسم لطيف برزخي أو جسم عنصري؟
والإمعان في الآيات الواردة حول المعاد يثبت الأخير بلا شك، فهلمّ معي ندرس عقيدة الإسماعيلية في المعاد وكيفيته.

١ . في أنّ المعاد روحاني لا جسماني

قال الكرمانى - بعد بيان النشأة الأولى في الدنيا - : ثمّ الله ينشأ النشأة الآخرة، بقوله تعالى : ﴿ وَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ النّشْأَةَ الْأُولَى - التي هي خلق أجسامكم من قبيل جسمكم - فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(٢) فهلا تفكرون وتوازنون وتعلمون أنّ النظام في الخلق والبعث واحد، وإنّ النشأة الآخرة هي خلق الأرواح وإحيائها بروح القدس

١ . الحج: ٧.

٢ . الواقعة: ٦٢.

على مثال النشأة الأولى. ثم إنه أفاض في الكلام ومحصله: كما أنّ الإنسان في عالم الاحشاء يكتسب آلات ليحس بها الكمالات عند مصيره إلى عالم الدنيا، فهكذا هو في عالم الجسم والدنيا يكتسب آلات ليلتذ بها عند مسيره إلى عالم الآخرة، فكما أنّه يستغني عند مسيره من عالم الاحشاء إلى عالم الحس عمّا فيها، فهكذا عند مسيره من عالم الحس إلى عالم الآخرة وإليك عبارته:

ولما كان الأمر في وجود النفس وكماها كالأمر في جسمها كما نطق به الكتاب الكريم، فالإنسان ينتقل من رتبة النطفية إلى رتبة العلقية، ومن رتبة العلقية إلى رتبة المضغية ومن رتبة المضغية كذلك أن يحصل له الآلات من عين وأذن ويد ورجل وأنف ولسان وغير ذلك من الأمور ليقوم بالفعل بها عند مصيره إلى عالم الحس إذ كان وجودها له في تلك الظلمات وضيق الأحشاء لا لها، بل لفسحة الدنيا وما فيها فيكون ما يلتذ به أو يألم بحسب ما اكتسب في الأحشاء من الآلات، فهكذا وجودها في جسمها لا له بل لذاتها التي تليق بعالم آخر إليه مصيرها وعند مفارقة الجسم من جسمها مصيراً إلى الآخرة التي إليها إنهاؤها كمفارقة جسمها الأحشاء مصيراً إلى عالم الحس الذي إليه وروده وتكون ذاتها في آخرتها لذاتها آلة تجذبها الملاذ كالجسم الذي هو لها في دنياها آلة تجذبها الملاذ، وما يحصل لها من روح القدس في ذلك العالم كالروح الحسي الذي يحصل للجسم في هذا العالم.^(١)

ومن تأمل فيها أفاض يذعن بأنّ المعاد عندهم روحاني لا جسماني، وقد صرح بذلك أيضاً الداعي علي بن محمد الوليد، وقال: ويعتقد أنّ الله تعالى دعانا على السنة وسائطه بقبول أمره، إلى دار غير هذه الدار فهذه الدار صورية وتلك مادية وما بينهما صوري ومادي.^(٢)

١. راحة العقل: ٣٦١، المشرع ١٣.

٢. تاج العقائد: ١٦٥.

٢ . في التناسخ

وهو عود الروح بعد مفارقة البدن إلى الدنيا عن طريق تعلقها ببدن آخر كتعلقها بالجنين عند استعدادها لإفاضة الروح وله أقسام مذكورة في محلها. (١) وربما ينسب القول بالتناسخ إلى الإسماعيلية، ولكن النسبة في غير محلها.

يقول الداعي الكرمانى: وأمّا من يرى الجزاء، مثل محمد بن زكريا والغلاة وأهل التناسخ، وأنّه يكون في الدنيا، فمن اعتقادهم أنّ هذه الأنفس لها وجود قبل أشخاصها بخلاف اعتقاد الدهرية وأمثالها ممن ينحون نحوهم الذين يقولون أنّ وجودها بوجود أشخاصها، ويقولون: إنّها جوهر تتردد في الهياكل بحسب اكتسابها إلى أن تصفو وتعود، فقد (٢) أوردنا في كتابنا المعروف بـ«الرياض» و«ميزان العقل» وغيرهما من رسائلنا في فساد قولهم ما يغني سبباً ما يختص بذلك في كتابنا المعروف بـ«المقاييس» رداً على الغلاة وأشباههم. (٣)

يقول الكاتب الإسماعيلي مصطفى غالب: ويذهب أكثر الذين كتبوا عن عقائد الإسماعيلية من القدماء والمحدثين بأنّ الإسماعيلية يقولون بتناسخ الأرواح، أي أنّ الروح بعد الموت تنتقل إلى إنسان آخر أو إلى حيوان أو نبات على نحو ما نراه في العقيدة البوذية أو النصرانية مثلاً، ويمكننا بعد أن درسنا كتب الإسماعيلية السرية والعلنية دراسة دقيقة، أن نقول بأنّهم لا يدينون مطلقاً بالتناسخ، بل ذهبوا إلى أنّ الإنسان بعد موته يستحيل عنصره الترابي (جسمه) إلى ما يجانسه من التراب، وينتقل عنصره الروحي (الروح) إلى الملائ الأعلى، فإن كان الإنسان في حياته مؤمناً بالإمام فهي تحشر في زمرة الصالحين وتصبح ملكاً مدبراً، وإن كان

١ . لاحظ شرح المنظومة للحكيم السبزواري: ٣١٢.

٢ . جواب لقوله: أمّا.

٣ . راحة العقل: ٣٦٤.

شريراً عاصياً لإمامه حشرت مع الأبالسة والشياطين وهم أعداء الإمام. والإمام نفسه يجري على جسده مثلما يجري على سائر الأجساد بعد الموت، حيث يتحلل كل قسم إلى ما يناسبه، فالجسم الترابي يعود إلى التراب، والنفس الشريفة تعود إلى ما يجانسها ويناسبها، فتصبح نفس الإمام عقلاً من العقول المدبرة للعالم، فلا تتناسخ ولا تتلاشى أي تتقمص.^(١)

٣. في الحساب

والحساب تابع للبعث وهو فعل يحدث عنه من النفس للنفس الثواب الذي هو الملاذ والمسار، والعقاب الذي هو الألم والعذاب والغم، ويتقسم هذا الفعل إلى ما يكون وجوده في الدنيا، وإلى ما يكون وجوده في الآخرة. فأما ما يكون وجوده في الدنيا فينقسم قسمين. ثم أفاض الكلام في القسمين.^(٢)

٤. في الجنة

يقول الكرماني: إنها موصوفة بالسرد والأبد ووجود الملاذ فيها أجمع، وأنها لا تستحيل، ولا تتغير، ولا يطرأ عليها حال، ولا تبدل، والذي بهذه الصفة هو النهاية الأولى من الموجودات عن المتعالى سبحانه عن الموصوفات والصفات إبداعاً خارج الصفحة العليا من السماوات المعرب عنها بسدرة المنتهى الذي هو المبدع الأول.^(٣)

١. مصطفى غالب: في مقدمة كتاب الينابيع: ١٦.

٢. راحة العقل: ٣٦٩.

٣. راحة العقل: ٣٧٩.

٥ . في الملائكة

إنّ الملائكة على ضروب وكلّهم قد أهلوا لمنافع الخليقة، فلا يتعدى أحد منهم بغير ما وكل به، كما قال وأخبر عنهم: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(١) والجوهر فيهم واحد، وإنّما اختلفت أسماؤهم لأجل ما وكلوا به فمنهم من هو في العالم العقلي، ومنهم من هو في العالم الفلكي، ومنهم من هو في العالم الطبيعي لحفظ أرجائه، ثمّ استدلّ بالآيات القرآنية.

منها قوله: ﴿فَلَا أُنسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ*وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾^(٢) يعني الملائكة الذين قد أخفى سبحانه ذواتهم عن النظر، وجعل المخلوق عن الطبائع محجوباً عنهم لا يراهم حتى يصير إمّا في منزلة النبي أو يخلص القبول من النبي بقرب الدرجة منه.^(٣)

٦ . في الجن

ويعتقد أنّ في الجن ذوات أرواح نارية وهوائية ومائية وترابية، ويعتقد أنّ الجن صحيح لا ريب فيه وهم على ضروب في البقاع والمصالح والمنافع والفساد والضرر، إلى أن قال: فمنهم من هو في أرجاء العالم ممنوع عن مخالطة بني آدم، ومنهم من هو مخالط لبني آدم في أماكنهم.^(٤)

١. الصافات: ١٦٤.

٢. الحاقة: ٣٨-٣٩.

٣. تاج العقائد: ٤٥.

٤. تاج العقائد: ٤٦.

الفصل الحادي عشر

في

شجرة الإمامة الإسماعيلية

تدعي الإسماعيلية أنّ شجرة الإمامة تبدأ من حين هبوط آدم إلى يومنا هذا، ولم يجعلوا تسلسلها من إسماعيل بن جعفر الصادق، بل ذهبوا إلى عهد بدء الخليقة، فطبّقوا قواعدهم الإمامية، وسلسلوا الإمامة تسلسلاً مستمراً إلى العصر الحاضر.

ثمّ أضافوا إلى ذلك قولهم بالأدوار، والأكوار، وقد جعلو كلّ دور يتألف من إمام مقيم، ورسولٍ ناطق، أو أساس له ومن سبعة أئمة يكون سابعهم متمّ الدّور، ويمكن أن يزيد عدد الأئمة عن سبعة في ظروف أُخرى وفي فترات استثنائية، وهذه الزيادة تحصل في عداد الأئمة المستودعين، وليس في الأئمة المستقرين.

أمّا الدّور فيكون عبادة صغيراً أو كبيراً، فالدور الصغير هو الفترة التي تقع بين كلّ ناطق وناطق، ويقوم فيها سبعة أئمة، أمّا الدّور الكبير فيبتدأ من عهد آدم إلى القائم المنتظر، الذي يُسمى دوره، الدور السابع، ويكون في الوقت ذاته متمّاً لعدد النطقاء الستة.

وفي الصفحات التالية تظهر الشجرة الإسماعيلية، وتفرعاتها، وقد أخذناها من كتاب «الإمامة في الإسلام»، تأليف الكاتب الإسماعيليّ عارف تامر^(١) الذي يقول: إنّ شجرة الإمامة عند الإسماعيلية ظلّت حقبة طويلة مجهولة لدى الباحثين، ومقصورة على طبقة خاصّة من العلماء، أو قُل في التقيّة والاستتار والكتمان.

وقد أفرد الأستاذ أيضاً في كتاب خاص أسماه «فروع الشجرة الإسماعيلية الإمامية» نشرته المطبعة الكاثوليكية، في بيروت عام ١٩٥٧ م.

١. الإمامة في الإسلام: ١٤٥-١٦١.

شجرة الإمامة الإسماعيلية

منذ أقدم العصور

الدور الأول:

(و يبتدئ من وقت هبوط آدم حتى ابتداء الطوفان، ومدته ألفان وثمانون عاماً وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً).

| العدد | الإمام المقيم | الرسول الناطق | أساس الدور | الإمام المتم | الإمام المستقر |
|-------|---------------|---------------|------------|-----------------|-------------------------------------|
| ١ | هنيذ | آدم | هايل ١٣٠- | | أنوش بن ^(١) شيث ٤٣٥-١٣٨٥ |
| ٢ | | | ٢٢٥ | | قينان بن أنوش ٦٢٥-١٥٣٥ |
| ٣ | | | شيث | | مهليل بن قينان ٧٩٥-١٦٩٠ |
| ٤ | | | ١١٤٤-٢٣٠ | | يارد بن مهليل ٩٦٠-١٩٢٢ |
| ٥ | | | | | أخنوخ بن يارد ١١٢٢-١٤٨٧ |
| ٦ | | | | | متوشالح بن اخنوخ ١٢٨٧-٢٢٤٢. |
| ٧ | | | | لامك بن متوشالح | لامك بن متوشالح ١٤٥٤-٢٣٤٦ |

١. وفي المصدر بنت، وما أثبتناه هو الصحيح.

التعليقات:

في هذا الدور يظهر لنا أنّ هُنَيْد^(١) هو الإمام المقيم، الذي ربّى وتعهّد، وأقام الرسول الناطق آدم، وفي هذا الدور أيضاً يظهر لآدم أساسان هما: هابيل وشيث، الأوّل قتل بيد أخيه «قابيل» فاستلم منصبه بعد وفاته «شيث». ويظهر أنّ متمّ الدّور هو الإمام السابع لامك بن متوشالح.

المعروف تاريخياً أنّ هبوط آدم كان في عدن، وأنّ وفاته كانت في موقع غار أبي قبيس في أرض الكعبة، ويُقال: أنّ نوحاً بعد الطوفان استخرج جثته، ودفنها في النجف الأشرف، إنّ الأرقام التاريخية المذكورة أعلاه اعتبرناها في بدء ظهور آدم صفراًحتى طوفان نوح. ولهذا يكون آدم قد عمّر ٩٣٠ عاماً، وشيث تسعمائة واثنى عشر ٩١٢، وأنوش هو أوّل من غرس النخل ٩٥٠ عاماً، وقينان ٩١٠ أعوام، ومهليل ٨٩٥ عاماً، ويارد ٩٦٢ عاماً واخنوخ ٣٦٥ عاماً، ومتوشالح ٩٥٥ عاماً، ولامك ٨٩١ عاماً.

في المصادر التاريخية أنّ الإمام الخامس أخنوخ هو إدريس أو هرمس المثلث، وهو أوّل من خط بالقلم، وكان مسكنه في الكوفة، وقد ولد قبل الطوفان بمدة يسيرة، أمّا ابتداء الطوفان فكان سنة ٢٢٤٢. إنّ الكتاب السماويّ المتداول في الدّور الأوّل هو «الصحف» وتنسب إلى آدم.

١. قال العلامة الروحاني: ولم يعلم أنّ هُنَيْد مربي آدم وهو الإمام المقيم هل هو من جنس آدم أو ملك أو جنّ أو غيرها.

أقول: من العجب أنّه لم يأت اسمه في الذكر الحكيم، ولو كان له ذلك المقام الشامخ، فأولى أن يكون معلّم الملائكة، لا آدم ثمّ إنّ المذهب المبنيّ على هذه الحدسيات التي لا تقوم على أساس قطعي لا يكتسب صبغة علمية قطعية.

الدور الثاني:

«و يبتدئ من وقت الطوفان سنة ٢٢٤٢، حتى ولادة إبراهيم الخليل، ومدته تسعمائة واثنان وسبعون سنة وستة أشهر وخمسة عشر يوماً.»

| العدد | الإمام المقيم | الرسول الناطق | اساس الدور | الإمام المتم | الإمام المستقر |
|-------|---------------|---------------|------------|---------------|--|
| ١ | هود | نوح | سام | | أرفكشاد بن سام ٢٥٠ بعد الطوفان - ٤٦٧ |
| ٢ | | -١٦٤٢ | -٢١٤٢ | | شالغ بن قينان بن أرفكشاد (١) ٢٧٦ - ٥٦٧ |
| ٣ | | ٣٥٠ | ٥٠٠٠ | | عابر بن شالغ ٤٦٦ - ٩٣٠ |
| ٤ | | | | | فالج بن عابر ٥٤٠ - ٨٧٩ |
| ٥ | | | | | رعوا بن فالج ٦٧٠ - ١٠٠٩ |
| ٦ | | | | | سروج بن رعوا ٨٠٢ - ١١٣٢ |
| ٧ | | | | ناحور بن سروج | ناحور بن سروج ٩٣٢ - ١١٤٠ |

التعليقات:

في هذا الدور يظهر أنّ هوداً^(٢) هو الإمام الذي أقام وأنعم وربى الرسول

١. كذا في المصدر .

٢. قال العلامة الروحاني: إنّ ظاهر الكتاب العزيز، أنّ نوحاً عليه السلام أقدم من هود عليه السلام، قال سبحانه: ﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ أَنْهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمُ وَأَطْفَى﴾ (النجم/ ٥٢) فكيف يمكن للمتأخر زماناً أن يربي المتقدم؟!

الناطق نوح، وأنّ نوحاً هو صاحب رسالة النطق، وأنّ ساماً هو أساس الدّور، ويظهر أنّه سقط من الشجرة اسم «قينان بن أرفكشاد» والد شالخب. وقينان هذا أبعد عن الإمامة وأسقط اسمه من الشجرة الإمامية لأنّه كان يتعاطى السحر، فوصية أرفكشاد تجاوزته إلى ولده شالخب. ويلاحظ أنّ هناك أكثر من مصدر تاريخي يؤكّد أنّ عابر بن شالخب هو «هود»، وبعض المصادر تؤكّد أنّ فالج هو ذو القرنين، أو هود، على اختلاف الروايات. ويلاحظ أنّ ناحور هو الإمام المتمّ للدّور الثاني.

إنّ نوحاً ولد سنة ١٦٤٢ من ولادة آدم، و عندما بلغ من العمر ٦٠٠ عاماً جرى الطوفان الذي ابتداءً في العاشر من شهر رجب سنة ٢٢٤٢ من هبوط آدم، وقد دام الطوفان ستة أشهر، و انتهى في العاشر من شهر محرم سنة ٢٢٤٣. توفي نوح سنة ٣٥٠ بعد الطوفان و عاش ٩٥٠ عاماً، ودفن على جبل الجودي، من أعمال الموصل. وقد استوطن في مدّة حياته الكوفة.

أما أساس الدّور سام، فقد عاش ٦٠٠ عاماً. من الواضح أنّ أرفكشاد عاش ٤٦٥ عاماً، و شالخب ٤٦٤ عاماً، و عابر ٤٦٠ عاماً، و فالج ٣٣٩ عاماً، و سروج ٣٣٠ عاماً، و ناحور ٢٠٥ أعوام.

الدور الثالث:

«و يبتدئ من وقت ولادة إبراهيم حتى ظهور موسى، و مدّته ألف و مائة و خمسون عاماً و سبعة أشهر و ثمانية أيام».

| العدد | الإمام القم | الرسول الناطق | اساس الدور المستقر | اساس الدور المستودع | الإمام الثم | الإمام المستودع | الإمام المستقر |
|-------|-------------|---------------|-----------------------|------------------------|-------------|---|------------------------------------|
| ١ | ١٣١٦-١٠١١ | إبراهيم | إسحاق ٢٢٧-٨٦ | إسحاق ٢٨٠-١٠٠ | شعيب | يعقوب بن إسحاق ٣٠٧-١٦٠ يوسف بن يعقوب ٣٦١-٢٥٠ | قيزار بن إساعيل سلامان بن قيزار |
| ٢ | ١٣١٦-١٠١١ | إبراهيم | إسحاق ٢٢٧-٨٦ | إسحاق ٢٨٠-١٠٠ | شعيب | يوسف بن يعقوب ٣٦١-٢٥٠ إفرايم بن يوسف ٢٨٠ | سلامان بن قيزار بنت بن سلامان |
| ٣ | ١٣١٦-١٠١١ | إبراهيم | إسحاق ٢٢٧-٨٦ | إسحاق ٢٨٠-١٠٠ | شعيب | يوسف بن يعقوب ٣٦١-٢٥٠ إفرايم بن يوسف ٢٨٠ رازح بن عيص | سلامان بن قيزار بنت بن سلامان |
| ٤ | ١٣١٦-١٠١١ | إبراهيم | إسحاق ٢٢٧-٨٦ | إسحاق ٢٨٠-١٠٠ | شعيب | يوسف بن يعقوب ٣٦١-٢٥٠ إفرايم بن يوسف ٢٨٠ رازح بن عيص أيوب بن موص | سلامان بن قيزار بنت بن سلامان |
| ٥ | ١٣١٦-١٠١١ | إبراهيم | إسحاق ٢٢٧-٨٦ | إسحاق ٢٨٠-١٠٠ | شعيب | يوسف بن يعقوب ٣٦١-٢٥٠ إفرايم بن يوسف ٢٨٠ رازح بن عيص أيوب بن موص يونان بن أيوب | سلامان بن قيزار بنت بن سلامان |
| ٦ | ١٣١٦-١٠١١ | إبراهيم | إسحاق ٢٢٧-٨٦ | إسحاق ٢٨٠-١٠٠ | شعيب | يوسف بن يعقوب ٣٦١-٢٥٠ إفرايم بن يوسف ٢٨٠ رازح بن عيص أيوب بن موص يونان بن أيوب شعيب بن صيفون | سلامان بن قيزار بنت بن سلامان |
| ٧ | ١٣١٦-١٠١١ | إبراهيم | إسحاق ٢٢٧-٨٦ | إسحاق ٢٨٠-١٠٠ | شعيب | يوسف بن يعقوب ٣٦١-٢٥٠ إفرايم بن يوسف ٢٨٠ رازح بن عيص أيوب بن موص يونان بن أيوب شعيب بن صيفون | سلامان بن قيزار بنت بن سلامان |

التعليقات:

في هذا الدور يبدو أنه ظهر تطور جديد على قصة الإمامة، فالأئمة المستقرّون من ولد إسماعيل بن إبراهيم، يدخلون كهف التقيّة والاستتار ويحلّ محلّهم الأئمة المستودعون، الذين هم من ولد إسحاق بن إبراهيم، وقد ظلّ هذا الوضع قائماً حتى ظهور الناطق السادس محمد، الذي ينحدر من أسرة الإمام المستقرّ إسماعيل، بينما الرسولان الناطقان، موسى وعيسى، ينحدران من أسرة إسحاق بن إبراهيم الخليل، ومن الواضح أنه في عهد محمد ينتهي دور الاستيداع، وتعود الإمامة إلى الأئمة المستقرّين.

مما يجدر ذكره أنّ الرسول الناطق إبراهيم، ولد في الأهواز، ومنها جاء إلى حوران، حيث اتخذها دار هجرة، ودفن في بيت المقدس، وقد عاش ١١٣ عاماً، أما ولده الأكبر إسماعيل، فوالدته هاجر وقد عاش ١٣٧ عاماً، ودفن في بيت الله الحرام، وأما إسحاق الابن الثاني، فوالدته سارة، وكان يقيم بين الشام والقدس، وقد عاش ٢٨٠ عاماً ودفن في بيت المقدس، ويأتي بعده ولده الذي عاش ٣٠٧ أعوام، وقد دفن في القدس. وبعده يأتي أيضاً يوسف فقد عاش ١١٠ أعوام، ودفن في مصر. أما أيّوب، وهو الإمام الخامس فقد توفي في (مسكنه) وعاش ٩٣ عاماً، ويأتي بعده ابنه يونان، وهو يونس أو ذو النون، كما هو معروف، ومقامه في نينوى، قرب الموصل، على هذه الصفحة نلاحظ أنّ شعيب هو الإمام المستودع المتمّ للدور الثالث، وكان يقيم في مدّين.

الدور الرابع:

| المدد | الإمام المقدم | الرسول الناطق | أساس الدور المستقر | أساس الدور المستوع | الإمام المقدم | الإمام المستوع | الإمام المستقر |
|-------|---------------|-----------------|-------------------------|--------------------|---------------|----------------------------------|----------------|
| ١ | أد | موسى ٥٤٥-٤٢٥ | هارون ٤٤٢ | | | أبيليا بن بسباس أليسع بن أخطف | عدنان بن أد |
| ٢ | | | يوشع بن النون ٢٨-٤٣٦ | | | صموئيل الرازي داود بن يحيى | معد بن عدنان |
| ٣ | | | | | | داود بن يحيى سليمان بن داود | نزار بن معد |
| ٤ | | | | | | سليمان بن داود عمران بن ماثان | مضر بن نزار |
| ٥ | | | | | | عمران بن ماثان | الياس بن مضر |
| ٦ | | | | | | عمران بن ماثان | مدركة بن الياس |
| ٧ | | | | | زكريا | زكريا بن برخيا | خزيمة بن مدركة |

التعليقات:

يلاحظ أنه في هذا الدور لا يوجد أساس مستودع، وأنّ الأساس المستقر هو هارون أخو موسى. و يبدو أنه بعد وفاته تسلّم يوشع بن نون رتبته الأساسيّة. من الواضح أنّ إيليا بن سبباس هو «إيليا النبي»، و أنّ عمران بن ماثان هو «روبييل» وأنّ زكريا هو الإمام السابع المستودع المتمّ للدور الرابع. في المصادر التاريخيّة أنّ موسى عاش ١٢٠ عاماً و نقل جثمانه من صحراء سيناء إلى القدس، وولادته كانت في السابع من آذار سنة ٤٢٥، وأنّ صموئيل الرائي عاش ٥٣ عاماً، وأنّ داؤد بن سبي عاش ١١٦ عاماً، وأنّ سليمان بن داؤد عاش ٥٢ عاماً، وأنّ زكرياء عاش ١٠٠ عام.

الدور الخامس:

«ويتبدئ من وقت ولادة عيسى حتى ظهور محمد، ومدته ستائة و سبعون سنة و ستة عشر يوماً».

| العدد | الإمام المقيم | الرسول الناطق | أساس الدور المستقر | أساس الدور المتغير | الإمام المتم | الإمام المستوع | الإمام المستقر |
|-------|---------------|---------------|-----------------------------------|--------------------|--------------|--------------------|-----------------------------------|
| ١ | خزيمية | عيسى | ٣٠-١٧١٥ شمعون الصفا ٢٣-١٧١٦ | | | مرفص أو عبد المسيح | كثانة بن خزيمية النضر بن كثانة |
| ٢ | | | | | | | مالك بن النضر |
| ٣ | | | | | | فيلبس | فهر بن مالك |
| ٤ | | | | | | هرقل | غالب بن فهر |
| ٥ | | | | | | أرميا | لؤي بن غالب |
| ٦ | | | | | | جرجس - بحيرا | كعب بن لؤي |
| ٧ | | | | | | جرجس بحيرا | مروة بن كعب |
| ٨ | | | | | | | كلاب بن مرة |
| ٩ | | | | | | | قهي بن كلاب |
| ١٠ | | | | | | | عبد مناف بن قهي |
| ١١ | | | | | | | هاشم بن عبد مناف |
| ١٢ | | | | | | | عبد المطلب بن هاشم |
| ١٣ | | | | | | | عبد الله بن عبد الله |
| ١٤ | | | | | | | |

التعليقات:

في هذا الدور يظهر على المسرح أربعة عشر إماماً مستقراً، يقابلهم سبعة أئمة مستودعين، أي أنّ كلَّ إمام مستودع كان معاصراً لإمامين مستقرين، ولم يمر مثل هذا في الأدوار السابقة. ويلاحظ أنّ ولادة عيسى كانت سنة ١٧١٦ موسوية، أي بعد وفاة موسى، وقد قتل صلباً^(١) سنة ١٧٤٩، و عمّر ثلاثة وثلاثين عاماً، أمّا أساس الدور المستقر فكان يحيى، وهو الذي ولد قبل ولادة عيسى بستة أشهر، وهو يوحنا العمندان نفسه، و من المعروف أنّ هيرودس الروماني قتله سنة ١٧٤٦، وأنّ الأساس الثاني المستقر للدور الخامس الذي سلم إليه هو «شمعون الصفا» أو سمعان بن يونان، أو بطرس الراهب، و يعتبر مربي عيسى وحجّة عمران بن ماتان الذي ورد ترتيبه، الإمام السادس المستودع في الدور الرابع.

ويلاحظ أنّ جرجس أو بحيرا الراهب هو الإمام السابع المستودع المتم للدور الخامس، وكان دعائه في الجزيرة العربية هم: عمرو بن نفيل، و ورقة بن نوفل، و زيد بن عمران، و هو الذي سلّم وراثته الأنبياء المستودعين، للإمام المستقر المقيم أبو طالب، يوم جاء إليه من الجزيرة العربية إلى دير بصرى الشام مع النبي محمد. ويلاحظ أنّ الإمام المستقر النضر بن كنانة، وكان يسمّى قيس، ولُقّب النضر لنضارته، وأنّ الإمام المستقر هو فهر بن مالك، كان لقبه مجمع قريش، وأنّ كلاب بن مرة كان يلقب بالحكيم، أو عروة، وأنّ قصي بن كلاب هو زيد، و سمّي قصي لأنّه أقصي عن عشيرته، وأنّ عبد مناف بن قصي اسمه المغيرة، وأنّ هاشم بن عبد المناف اسمه عمران، وأنّ عبد المطلب بن هاشم اسمه «شيبه الحمد».

١. هذا الكلام تفنده الآية الشريفة: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...﴾ (النساء/ ١٥٧).

الدور السادس:

« يتبدئ من تاريخ الهجرة المحمدية و ينتهي بظهور القائم المنتظر، ولا يمكن تحديد مدته. إن الدور الكبير قد أصبح مقسماً إلى أدوار صغيرة».

| العدد | الإمام المقيم | الرسول الناطق | أساس الدور | الإمام المتم | الإمام المستقر |
|-------|---------------|----------------|-----------------|-----------------|------------------------------|
| ١ | عمران | محمد | علي بن أبي طالب | | علي بن أبي طالب |
| ٢ | أبو طالب | م ٥٧١ - ٦٣٤ | | | الحسين بن علي |
| ٣ | | | | | علي بن الحسين «زين العابدين» |
| ٤ | | | | | محمد بن علي «الباقر» |
| ٥ | | | | | جعفر بن محمد «الصادق» |
| ٦ | | | | | إسماعيل بن جعفر |
| ٧ | | | | محمد بن إسماعيل | محمد بن إسماعيل |

التعليقات:

في هذا الدور يظهر أن عمران أبا طالب، هو الإمام المقيم في عهد الرسول الناطق محمد، و أن الإمام محمد بن إسماعيل هو الإمام السابع المتم. و يلاحظ أن الإمام الحسن بن علي لم يذكر في شجرة النسب لأنه يعتبر إماماً مستودعاً لدى الإسماعيليين، وهكذا محمد بن الحنفية، و موسى بن جعفر (الكاظم).

تتمة الدور السادس:

«ويبتدئ من عهد معد بن إسماعيل «المعز لدين الله»، ولا يمكن بعد الآن الحكم على الأئمة المتمين بعد أن ظهر الاختلاف و تشعبت الشجرات».

| العدد | العدد المتسلسل | الإمام المتم | الإمام المستقر |
|-------|----------------|--------------|--|
| ١ | ١٥ | | نزار بن معد «العزير بالله» |
| ٢ | ١٦ | | الحسين بن نزار «الحاكم بأمر الله» |
| ٣ | ١٧ | | علي بن الحسن «الظاهر لإعزاز دين الله» |
| ٤ | ١٨ | | معد بن علي «المستنصر بالله» الإسماعيلية، الإسماعيلية، الإسماعيلية المستعلية المؤمنية القاسمية - الأغاخانية |
| ٥ | ١٩ | | أحمد المستعلي نزار بن معد نزار بن معد |
| ٦ | ٢٠ | | الأمر بأحكام الله حسن بن نزار هادي |
| ٧ | ٢١ | | الطيب بن الأمر محمد بن الحسن مهتدي |

التعليقات:

من الملاحظ هنا أنّ الإسماعيليين قد اختلفوا بعد الإمام الثامن عشر المستنصر بالله، إلى ثلاث فرق هي: النزاريّة «القاسميّة» الأغاخانية، و النزاريّة الإسماعيلية المؤمنية، و الإسماعيلية المستعلية، و يلاحظ أنّ الفرقة المستعلية قد توقفت عند الطيب بن الأمر الإمام الحادي و العشرين، الذي دخل كهف التقيّة و الاستتار، كما يلاحظ أنّ الفرقة الدرزية قد توقفت عند الإمام السادس عشر الحاكم بأمر الله، و من الواضح أنّ النزاريّة نفسها قد انقسمت إلى فرقتين هما: المؤمنية، و القاسمية (الأغاخانية)، كما سيظهر في الصفحات التالية.

تتمة الدور السادس

«و يبتدئ من الإمام النزاري المؤمني حسن بن محمد، و ينتهي برضي الدين ابن محمد، وبقاهر النزاري القاسمي، و ينتهي بشمس الدين محمد و هو الإمام المتم السابع».

| أئمة النزارية القاسمية - الأغا خانية | أئمة النزارية المؤمنية | العدد المتسلسل | العدد |
|--------------------------------------|--------------------------------|----------------|-------|
| قاهر | حسن بن محمد «جلال الدين» | ٢٢ | ١ |
| حسن على ذكره السلام | محمد بن الحسن «علاء الدين» | ٢٣ | ٢ |
| أعلى محمد | محمود بن محمد «ركن الدين» | ٢٤ | ٣ |
| جلال الدين حسن | محمد بن محمود «شمس الدين» | ٢٥ | ٤ |
| علاء الدين محمد | مؤمن شاه بن محمد «علاء الدين» | ٢٦ | ٥ |
| ركن الدين خير شاه | محمد بن مؤمن «خداوند» | ٢٧ | ٦ |
| شمس الدين محمد | رضي الدين بن محمد «ضياء الدين» | ٢٨ | ٧ |

التعليقات:

يظهر أنّ الاختلاف لدى النزاريّة قد بدأ منذ عهد نزار بن المستنصر بالله الفاطمي، ثمّ يظهر أنّ الفرقتين عادتا إلى الالتقاء مع أربعة أئمة هم: حسن بن محمد و «جلال الدين» و محمد بن الحسن و «علاء الدين» و محمود بن محمد «ركن الدين» و محمد بن محمود «شمس الدين» و هؤلاء يشكّلون الأرقام: ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥. أمّا لدى النزارية القاسمية الأغاخانية فيشكّلون الأرقام ٢٧ و ٢٦ و ٢٥ و ٢٨. و بعد الإمام محمد شمس الدين انقسمت النزارية انقساماً فعلياً إلى فرقتين: فالمؤمنية ساقّت الإمامة بمؤمن «الابن الأكبر»، و القاسمية ساقّتها بقاسم «الابن الأصغر»، و كلّ هذا جاء مفصّلاً في الصفحات التالية:

تتمة الدور السادس

«و يبتدئ من طاهر بن رضي الدين ، و ينتهي بعطية الله، و هو الخامس والثلاثون في شجرة المؤمنية، أما لدى القاسمية فيبتدئ بقاسم شاه و رقمه ٢٩، و ينتهي بالإمام أبي الذر علي، و هو الإمام الخامس والثلاثون من شجرة قاسم».

| أئمة النزارية القاسمية - الأغا خانية | أئمة النزارية المؤمنية | العدد المتسلسل | العدد |
|--------------------------------------|---|----------------|-------|
| قاسم شاه | طاهر بن رضي الدين «العزير» | ٢٩ | ١ |
| إسلام شاه | رضي الدين الثاني بن طاهر «شمس الدين» | ٣٠ | ٢ |
| محمد بن إسلام | طاهر شاه بن رضي الدين الثاني «حجة الله» | ٣١ | ٣ |
| المستنصر بالله الثاني | حيدر بن طاهر «خداوند» | ٣٢ | ٤ |
| عبد السلام | صدر الدين بن حيدر «معز الدين» | ٣٣ | ٥ |
| غريب ميرزا | معين الدين بن صدر الدين «قاهر» | ٣٤ | ٦ |
| أبو الذر علي | عطية الله بن معين الدين «خداي بخش» | ٣٥ | ٧ |

التعليقات:

ما تزال الشجرتان النزاريتان قائمتين هنا، و هما الوحيدتان بين فرق الشيعة الإمامية اللتان ظلتا سائرتين على النهج الإمامي.

تتمة الدور السادس:

«و يبتدئ من عزيز بن عطية الله ورقمه ٣٦، و ينتهي بالإمام محمد بن حيدر «الأمير الباقر» و هو الإمام الخامس لدى الفرقة المؤمنية، و بعهدة انقطعت الفرقة المؤمنية عن الاتصال، أما لدى القاسمية فيبتدئ من الإمام مراد ميرزا، و ينتهي بحسن علي و هو متمم و سابع.

| أئمة النزارية القاسمية - الآغا خانية | أئمة النزارية المؤمنية | العدد المتسلسل | العدد |
|---|---------------------------------------|----------------|-------|
| مراد ميرزا | عزيز بن عطية الله «الشاه» | ٣٦ | ١ |
| ذو الفقار علي | معين الدين الثاني بن عزيز «خليل الله» | ٣٧ | ٢ |
| نور الدين علي | محمد بن معين الدين «الأمير المشرف» | ٣٨ | ٣ |
| خليل الله علي | حيدر بن محمد «المطهر» | ٣٩ | ٤ |
| نزار علي | محمد بن حيدر «الأمير محمد الباقر» | ٤٠ | ٥ |
| السيد علي | ؟ | ٤١ | ٦ |
| حسن علي | ؟ | ٤٢ | ٧ |

التعليقات:

يظهر أنّ الفرقة المؤمنية النزارية توقفت عن السير الإمامي في عهد الإمام محمد بن حيدر الأمير الباقر، رقم ٤٠، وذلك سنة ١٢١٠ هـ. أما شقيقتها القاسمية. فظلت سائرة على المنهج الإمامي حتى عهدنا الحاضر.

تتمة الدور السادس:

و يتبدئ من الإمام قاسم علي، وينتهي بالإمام «كريم علي خان»، و ترتيبه التاسع والأربعون، و هو متمم للدور و سابع.

| العدد | العدد المتسلسل | ائمة النزارية القاسمية - الأغا خانية |
|-------|----------------|--------------------------------------|
| ١ | ٤٣ | قاسم علي |
| ٢ | ٤٤ | أبو الحسن علي |
| ٣ | ٤٥ | خليل الله علي |
| ٤ | ٤٦ | حسن علي «آغا خان الأول» |
| ٥ | ٤٧ | علي شاه « » » » » |
| ٦ | ٤٨ | سلطان محمد شاه « » » » » |
| ٧ | ٤٩ | كريم علي خان « » » » » |

التعليقات:

يظهر أن الفرقة المؤمنية النزارية، قد اختفت عن المسرح الإمامي، وأن النزارية القاسمية الأغاخانية ظلت وحدها سائرة دون انقطاع عن الركب الإمامي حتى يومنا هذا، وهي الوحيدة بين الفرق الإمامية التي لم تتوقف.

ويلاحظ أن الإمام الأخير التاسع والأربعين «كريم خان» ليس هو ابن سلطان محمد شاه، بل حفيده، و يظهر أن اسم علي خان و هو النجل الأكبر لسلطان محمد شاه، قد أسقط من الشجرة بموجب وصية عامة من والده. إن الأمير علي خان توفي في باريس بحادث سيارة بتاريخ ١٢ أيار سنة ١٩٦٠، وكان يمثل باكستان في الأمم المتحدة.

تتمة الدور السادس:

«هذا الدور الصغير يتدئ من الإمام محمد إسماعيل حتى عهد الإمام معد ابن إسماعيل «المعز لدين الله» و يعتبر جزءاً من الدور الكبير الذي يتدئ من عهد محمد حتى القائم المنتظر».

| العدد | العدد المتسلسل | الإمام المتم | الإمام المستقر |
|-------|----------------|--------------------------------|----------------------------------|
| ١ | ٨ | | عبد الله بن محمد «الرضي» |
| ٢ | ٩ | | أحمد بن عبد الله «الوفاي» |
| ٣ | ١٠ | | الحسين بن أحمد «التقي» |
| ٤ | ١١ | | عبيد الله المهدي |
| ٥ | ١٢ | | محمد بن علي «القائم» |
| ٦ | ١٣ | | إسماعيل بن محمد «المنصور بالله» |
| ٧ | ١٤ | معد بن إسماعيل المعز لدين الله | معد بن إسماعيل «المعز لدين الله» |

التعليقات:

يلاحظ هنا أنه لم يعد هناك أي وجود للناطق أو للأساس، وأصبح الإمام هو الذي يحمل مهمات الناطقية، كما أنّ مهمات الأساسيّة يحملها الحجّة أو الباب. في شجرات الدرور و المستعلية لا يرد اسم «عبيد الله المهدي» بين أسماء الأئمة المستقرين و يرد مكانه اسم «علي بن الحسين» و هذا لم تحقّقه المصادر ولا الوقائع حتى الآن. ومهما يكن من أمر فنحن ما نزال نعتبر «عبيد الله المهدي» إماماً مستقراً منتظرين المزيد من المعلومات والمصادر والاكتشافات التاريخية.^(١)

١. عارف تامر، الإمامة في الإسلام: ١٤٥ - ١٦١، و التعليقات كلها له.

تأملات في أدوار الإمامة

إنّ ما ذكره الكاتب الإسماعيلي، لا يخلو من تأملات، وإشكالات، نشير إليها:

الأول: أنّ ما ذكره من الأدوار الستة للإمامة وإنّ كلّ رسول ناطق تتلوه أئمة سبعة، على النحو السابق، أمر مبنيّ على الظن والتخمين، لا على القطع واليقين، فإنّ التحدّث عن الأئمة الذين قاموا بالأمر، بعد الرسول الناطق، آدم، فنوح، إبراهيم، موسى، فاعيسى، فمحمد - صلى الله عليه وآله وعليهم السّلام - بيتني على أساطير، لا يمكن الإذعان بها، ولا أدري أنّ الكاتب إلى أيّ كتاب، و سند قطعيّ اعتمد عليه في استخراج هذه القوائم، مع أنّه - حسب اعتراف الكاتب - يعترف بأنّ هذه الدرجات بالتفصيل ظلّت مجهولة لدى الباحثين، ومقصورة على طبقة خاصة من العلماء.^(١)

الثاني: أنّ تفسير الإمام المقيم، بأنّه هو الذي يقيم الرسول الناطق، ويعلمه ويربيه، ويدرجه في مراتب رسالة النطق، وينعم عليه بالإمدادات، وأحياناً يطلقون عليه اسم «ربّ الوقت» و «صاحب العصر» وتعتبر هذه الرتبة أعلى مراتب الإمامة وأرفعها، وأكثرها دقّة وسريّة^(٢)، وعلى ما ذكره فـ«هنيّد» إمام مقيم لآدم، وهود لنوح، وتارح لإبراهيم، و «أد» لموسى وخزيمة لعيسى، وأبو طالب لمحمد ﷺ. ومعنى ذلك أنّ هؤلاء أفضل من النطقاء الستة، الذين هم أولو العزم من الرسل.

وهل «هنيّد» أفضل من آدم الذي اختاره الله سبحانه بتعليم الأسماء؟! أو أنّ هود أفضل من شيخ الأنبياء نوح، وهو الذي بُدئت به الشرائع؟! وهل تارح

١. عارف تامر: الإمامة في الإسلام: ١٤٢.

٢. المصدر السابق: ١٤٣.

أفضل من إبراهيم، الذي وصفه الله سبحانه بصفات عظيمة في القرآن الكريم ولم يصف بها غيره؟! وبالتالي يلزم أن يكون أبوطالب عليه السلام أفضل من محمد عليه السلام!!

الثالث: أنّ الإمام المتمّم هو الإمام السابع، المتمّ لرسالة الدور، وأنّ قوته تكون معادلة لقوة الأئمة الستة الذين سبقوه في الدور نفسه بمجموعهم، ومن جهة ثالثة يطلق عليه اسم ناطق الدور أي أنّ وجوده يشبه وجود الناطق بالنسبة للأدوار.

ومعنى ذلك أن يكون إسماعيل بن جعفر عليه السلام أو محمد بن إسماعيل - على القول بأنّه متمّ الدّور - أفضل من خاتم النبيين الذي هو أفضل الخليفة باعتراف الفريقين.

الرابع: أنّ الكاتب أخرج الحسن بن علي عليه السلام عن قائمة الإمامة، بحجّة أنّه لم يكن إماماً مستقراً، بل إماماً مستودعاً، ومعنى ذلك أنّ كلّ الأئمة الذين جاءوا بعد كلّ رسول ناطق من زمان آدم إلى زمان الخاتم، كانوا أئمة مستقرين، وليس للكاتب دليل على ذلك، مع أنّ إخراجهم ينافي قول الرسول الذي نقلته الإسماعيلية في كتبهم من قوله عليه السلام: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»، ومعنى كلامه أنّهما صنوان لا يتفاوتان.

الخامس: أنّ الكاتب بإخراجه الحسن بن علي عليه السلام عن قائمة الإمامة، جعل محمداً بن إسماعيل هو الإمام السابع الذي به يتمّ الدّور مع أنّ الإسماعيلية يعتبرونه رسولاً ناطقاً، و المتمّ في الأدوار السابقة من زمان آدم إلى زمان نبي الإسلام، لم يكن رسولاً ناطقاً.

والكاتب في الوقت نفسه جعله بادئاً للدور حيث قال في ص ١٥٦: هذا الدّور الصغير يبتدئ من الإمام محمد بن إسماعيل، حتى عهد الإمام معد بن إسماعيل «المعز لدين الله»، ولو كان الميزان هو الأدوار السابقة، لا يكون متمّ الدّور، بادئ الدّور باسم الرسول الناطق.

وبالجملة أن جعل محمد بن إسماعيل متمماً للدور من جانب، وناطقاً سابغاً، ناسخاً للشريعة، التي سبقته من جانب آخر، أمران متناقضان، إذا كان الميزان هو الأدوار السابقة.

لكن الظاهر من كلام مصطفى غالب، في كتابه «تاريخ الدعوة الإسماعيلية» غير ذلك، وأن متمّ الدّور في الأدوار السابقة أيضاً، هو الرسول الناطق، وأنّ نوحاً كان متمّ الدّور، وفي الوقت نفسه رسولاً ناطقاً، وأنّ محمداً ﷺ كان متمّ الدّور و في الوقت نفسه رسولاً ناطقاً. وقد استشهد على ما ذكره بكلام الداعي إدريس في كتابه «زهر المعاني» و إليك نصهما:

ويعتبر الإمام محمد بن إسماعيل أول الأئمة المستورين، والناطق السابع، ومتمّ الدّور، فقام بنسخ الشريعة التي سبقته، وبذلك جمع بين النطق والإمامة، ورفع التكاليف الظاهرة للشريعة، ونادى بالتأويل، واهتمّ بالباطن.

ولذلك قال فيه الداعي إدريس في كتابه «زهر المعاني» ص ٥٦: «إنما خُصَّ محمد بن إسماعيل بذلك لانتظامه في سلك مقامات دور السرّ، لأنك إذا عدت آدم و وصيّيه وأئمة دوره، كان خاتمهم الناطق وهو نوح ﷺ ... و إذا عدت عيسى و وصيّيه وأئمة دوره، كان محمد ﷺ متسلماً لمراتبهم، وهو الناطق خاتم للنطقاء، وكان وصيّيه ﷺ بالفضل منفرداً به، و إذا عدت الأئمة في دوره كان محمد بن إسماعيل سابغهم، و للسابع قوّة على من تقدّمه، فلذلك صار ناطقاً و خاتماً لالاسبوع، و قائماً، وهو ناسخ شريعة صاحب الدّور السادس، ببيان معانيها، وإظهار باطنها المبطّن فيها.^(١)

فهذان الكاتبان اللذان قاما في عصرنا هذا بنشر آثار الإسماعيلية، وتبيين عقائدها، قد صوروا الأدوار السابقة بصورتين متناقضتين.

فعارف تامر يصوّر الأئمة سبعة سابغهم متمّمهم، ويتلوه الرسول الناطق

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٤٨.

بادئ الدّور الجديد؛ و مصطفى غالب يصوّره سبعة، سابعهم متممهم، وفي الوقت نفسه الرسول الناطق.

وهناك وجه آخر، وهو أن يختلف حكم الأدوار الستة، مع الدّور السابع، فيكون الإمام المتمّم في الدّور الأخير متمّاً ورسولاً ناطقاً على خلاف الأدوار الستة، ووجه ذلك أنّ هذا الدّور ليس دوراً مستقلاً، بل تتمّة للدور السادس، ولذلك يقول عارف تامر في التعريف بهذا الدور بالشكل التالي:

تتمّة الدور السادس

وهذا الدور الصغير يبتدئ من الإمام محمد بن إسماعيل حتى عهد الإمام «معد بن إسماعيل» المعز لدين الله، ويعتبر جزءاً من الدّور الكبير الذي يبتدئ من عهد «محمد» حتى القائم المنتظر.^(١)

وما ذكرنا من الوجه هو الظاهر من الحامدي في كتابه «كنز الولد» وسيوافيك نصّه في الفصل الخاص بترجمة أعلام الإسماعيلية.

السادس: أنّ المعروف بين الإسماعيلية في العصور الأولى، أنّ محمد بن إسماعيل هو الرسول الناطق، وهو ناسخ للشريعة، وقد نسبه النوبختي إلى طائفة من الإسماعيلية باسم القرامطة وقال: وزعموا أنّ محمد بن إسماعيل حيٌّ لم يمّت وأنه في بلاد الروم، وأتته القائم المهدي؛ ومعنى القائم عندهم أنّه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة، ينسخ بها شريعة محمد ﷺ وأنّ محمد بن إسماعيل من أولو العزم، وأولو العزم عندهم سبعة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وعلي، ومحمد بن إسماعيل.^(٢)

ولما كان القول بذلك يصادم إ اتفاق جمهور المسلمين على أنّ شريعة الإسلام هي الشريعة الخاتمة، و نبيّها هو النبي الخاتم، و كتابه خاتم الكتب، تجد أنّ

١. الإمامة في الإسلام: ١٥٦.

٢. النوبختي: الفرق بين الفرق: ٧٣.

مصطفى غالب، ينقل عن الداعي إدريس «عماد الدين» في كتابه «زهر المعاني» أن المراد أنه يبيّن معاني الشريعة، ويظهر باطنها المبطن فيها. (١)

ولكنّه تصرّف في العقيدة، فإنّ الظاهر من عطف محمد بن إسماعيل على سائر النطقاء، كنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، أنّه ناسخ بالحقيقة، وإلا يلزم الاختلاف في معنى النسخ.

السابع: قد عرفت أنّ لازم القاعدة التي استنبطها الكاتب من بطون التاريخ، في أدوار الإمامة أن تكون شريعة كلّ رسول منتهية بظهور الإمام السابع، ويكون الإمام اللاحق بادئاً للدور الجديد، مع أنّه يُرى انتقاص القاعدة في ظهور محمد بن إسماعيل، حيث جعل الكاتب عارف تامر دوره متمّاً للدور السادس لا بادئاً للدور الجديد، وأضاف بأنّه ينتهي بظهور الإمام القائم المنتظر، ولا يمكن تحديده مدته.

يلاحظ عليه: أنّ إدراج القائم المنتظر، الذي هو من صميم عقائد الإمامية الاثني عشرية في عقائد الإسماعيلية غريب جداً من وجهين:

١. إخراج محمد بن إسماعيل عن مقامه العظيم في العقيدة الإسماعيلية، وجعل الأدوار التالية حتى دور محمد بن إسماعيل من توابع دور محمد ﷺ.
 ٢. إنتظار الإسماعيلية للقائم المنتظر، فإنّ القائم المنتظر في عقيدة الشيعة الإمامية أقل بكثير من صاحب الدور عند الإسماعيلية.
- وأظن أن جعل الدور الذي بدأ به محمد بن إسماعيل جزءاً من الدور السادس، لا دوراً مستقلاً لأجل استقطاب نظر جمهور المسلمين إلى أنفسهم حتى ينسلخوا في عداد المسلمين. (٢)
- كلّ ذلك يُعرب عن عدم وجود نظام عقائدي منسق عندهم.

١. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٤٨، نقلاً عن زهر المعاني: ٥٦.

٢. الإشكال السابع من إفادات العلامة الروحاني - دام ظلّه -.

الفصل الثاني عشر

في

نظرية المثل والمثول

أو

تأويلات الإسماعيلية

إنَّ نظرية المثل والمثول تُعدُّ الحجر الأساس لعامة عقائد الإسماعيلية، التي جعلت لكلِّ ظاهر باطناً، وسمّوا الأوَّل مثلاً، والثاني ممشولاً. وعليه تبتني نظرية التأويل الدينيّة الفلسفية، فتذهب إلى أنّ الله تعالى جعل كلَّ معاني الدّين في الموجودات، لذا يجب أن يُستدل بها في الطبيعة على إدراك حقيقة الدين، فما ظهر من أمور الدين من العبادة العمليّة، التي بيّنها القرآن معاني يفهمها العامّة، ولكن لكلِّ فريضة من فرائض الدين تأويلاً باطناً، لا يعلمه إلاّ الأئمّة، وكبار حججهم وأبوابهم ودعاتهم. ^(١)

يقول الداعي المؤيد في الدين الشيرازي: خلق الله أمثالاً ومثولات، فجسم الإنسان مثل، ونفسه ممشول، والدنيا مثل والآخرة ممشول، وإنّ هذه الأعلام التي خلقها الله تعالى، وجعل قوام الحياة بها، من الشمس والقمر، والنجوم، لها ذوات قائمة، يحل منها محل المثل وإنّ قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات، هي ممشول تلك الأمثال.

وقال صاحب المجالس المستنصرية: معشر المؤمنين أنّ الله تعالى ضرب لكم الأمثال جملاً وتفصيلاً، ولم يستح من صغر المثل إذا بيّن به ممشولاً، وجعل ظاهر القرآن على باطنه دليلاً، ومن قصيدة المؤيد للدين يقول فيها:

أقصد حمى ممشوله دون المثل ذا أبر النحل ^(٢) وهذا كالعسل

١. مصطفى غالب: في مقدمة الينابيع: ١٣.

٢. ابر النحل: لذعته.

واستناداً إلى نظرية المثل والممثل يجب أن يكون في العالم الأرضي عالم جسماني ظاهر يماثل العالم الروحاني الباطن. (١)

١ . العقول العشرة

إنّ الإسماعيلية استخدمت في تطبيق تلك النظرية، على ما تتبناه من تطبيق الدعوة الدينية على عالم التكوين نظرية الفلسفة اليونانية في كيفية حصول الكثرة في العالم، ولم يكن الهدف في استخدام نظريتهم، في بيان صدور الكثرات من الواحد البسيط، إلّا تطبيقها على الدعوة الدينية، حتى يكون لكلّ ظاهر باطن.

توضيحه: أثبتت البراهين الفلسفية أنّه سبحانه واحد، بسيط من جميع الجهات، لا كثرة فيه، لا خارجاً ولا عقلاً، ولا وهماً

ثمّ إنهم بعد البرهنة على تلك القاعدة، وقعوا في مأزق وهو أنّه كيف صدرت من الواحد البسيط - الذي لا يصدر عنه إلّا الواحد - هذه الكثرات في عالم العقول، والأفلاك، والأجسام؟

ذهب أرسطو وتلاميذه، ومن تبعهم من المسلمين كالفارابي والشيخ الرئيس، إلى أنّ الصادر منه سبحانه واحد، وهو: العقل الأوّل، وهو مشتمل على جهتين:

جهة لعقله لمبدئه، وجهة إضافته إلى ماهيته.

فبالنظر إلى الجهة الأولى صدر العقل الثاني، وبالنظر إلى الجهة الثانية صدر الفلك الأوّل ونفسه، الذي هو الفلك الأقصى.

وصدر من العقل الثاني لهاتين الجهتين، العقل الثالث، والفلك الثاني مع نفسه، الذي هو فلك الثوابت.

ثم صدر من العقل الثالث لهاتين الجهتين، العقل الرابع، والفلك الثالث مع نفسه، الذي هو فلك زحل.

وبهذا الترتيب، صدر العقل الخامس والفلك الرابع، الذي هو فلك المشتري، إلى أن وصل عدد العقول إلى عشرة، وعدد الأفلاك مع نفوسها تسعة. وتبنى المذهب الإسماعيلي، الذي هو مذهب ذو صبغة فلسفية يونانية هذه النظرية مع اختلاف يسير في التعبير لا غير، والفكرة الرئيسية عندهم واحدة. فمثلاً يعبر الداعي الكرمانى عن العقل الأول بالمدع، كما يعبر عن العقل الثاني بالمنبعث الأول، وكلا المسلكين يشتركان في أنه يتدنى الصدور بالعقل الأول، الذي تسميه فلسفة المشاء بالعقل الأول، والمذهب الإسماعيلي بالمدع الأول، وتنتهي بالعقل الفعّال، ويتوسط بين العقل الأول والعقل الفعّال سلسلة العقول، والأفلاك الأخرى.

يقول الداعي الكرمانى:

والعقل الأول مركز لعالم العقول إلى العقل الفعّال، والعقل الفعّال عاقل للكل، وهو مركز لعالم الجسم، من الأجسام العالية الثابتة (الأفلاك) إلى الأجسام المستحيلة المسماة عالم الكون والفساد (العناصر الأربعة).^(١)

يقول الحكيم السبزواري في بيان تلك النظرية:

| | |
|--------------------------|-------------------------------------|
| فالعقل الأول لدى المشاء | وجوبه مبدأ ثان جاء |
| وعقله لذاته للفلك | دان لدان سامك لسامك |
| وهكذا حتى لعاشر وصل | والفيض منه في العناصر حصل |
| بالفقر معط لهيولى العنصر | وبالوجوب لنفوس صور |
| فللهيولى كثرة استعداد | بحركات السبعة الشداد ^(٢) |

١. راحة العقل: ١٢٧-١٢٩.

٢. السبزواري: شرح المنظومة: ١٨٥.

ثم إنَّ المهم تطبيق هذه الدرجات الكونية على درجات الدعوة الدينية عند الإسماعيلية، فقد جعلوا لكل ظاهر باطناً، ولكل درجة كونية درجة دينية، وإليك جدولاً يوضح ذلك:

١. العقل الأول = الناطق.
٢. العقل الثاني = الفلك الأقصى = الأساس.
٣. العقل الثالث = فلك الثوابت = الإمام.
٤. العقل الرابع = فلك زحل = الباب.
٥. العقل الخامس = فلك المشتري = الحجّة.
٦. العقل السادس = فلك المريخ = داعي البلاغ.
٧. العقل السابع = فلك الشمس = الداعي المطلق.
٨. العقل الثامن = فلك زهرة = الداعي المحدود.
٩. العقل التاسع = فلك عطارد = المأذون المطلق.
١٠. العقل العاشر = فلك القمر = المأذون المحدود، وربّما يُطلق عليه المكاسر والمكالب.^(١)

هذا عرض موجز عن الدرجات الدينية للدعوة، وأما تفسيرها فإليك بيانها

إجمالاً:

١. الناطق: وله رتبة التنزيل.
٢. الأساس: وله رتبة التأويل.
٣. الإمام: وله رتبة الأمر.
٤. الباب: وله رتبة فصل الخطاب.

١. إنَّ محققي كتاب راحة العقل لم يذكروا فلك الثوابت، ولهذا صار العقل ممثولاً لما دون القمر، وجعلوا فلك الأفلاك والمحيط. فلكن مستقلين، مع أنّها في هيئة بطليموس، فلك واحد، إلا أن يختلف ترتيب العوالم العلوية عند الإسماعيلية مع ما هو الثابت في علم الهيئة (لاحظ راحة العقل، ص ٢٥).

٥. الحجّة: وله رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً.
٦. داعي البلاغ: وله رتبة الاحتجاج، وتعريف المعاد.
٧. الداعي المطلق: وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنية.
٨. الداعي المحصور، أو المحدود: وله رتبة تعريف الحدود السفليّة والعبادة الظاهرة.
٩. المأذون المطلق: وله رتبة أخذ العهد والميثاق.
١٠. المأذون المحدود: وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة، وهو المكاسر.^(١)

٢. النطقاء السبعة وأمثالها:

وربّما يعتبرون عنها بالحروف السبعة (آ، ن، إ، م، ع، م، ق) وهي الحروف الأولى من أسماء النطقاء السبعة، وهم: آدم، نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، قائم^(٢) مع أسسهم ممثلين للأفلاك السبعة بالشكل التالي:

| المثل | الممثول | أساسه |
|------------|---------|---------------------|
| ١. زحل | آدم | شيث |
| ٢. المشتري | نوح | سام |
| ٣. المريخ | إبراهيم | إسماعيل |
| ٤. الشمس | موسى | يوشع |
| ٥. الزهرة | عيسى | شمعون |
| ٦. عطارد | محمد | علي |
| ٧. القمر | القائم | مهدي ^(٣) |

١. مصطفى غالب: في مقدمة كتاب الينابيع ٢٣.

٢. يريدون به محمد بن إسماعيل، لأنّ والده توفي في حياة أبيه، فانقلت الإمامة إليه، وهو القائم والإمام المستقر، وأمّا الإمام الكاظم عليه السلام فقد كان إماماً مستودعاً.

٣. القصيدة الشافية: ٣٨، قسم التعليقة.

٣. الأنوار الخمسة وأمثالها:

الأنوار الخمسة، عبارة عن أولى الموجودات في العالم، وهي: السابق، والتالي، والجد، والفتح، والخيال، وكلُّها مَثُولات، ولها أمثلة في الحدود العلوية، وفي عالم الدين، وعالم المادة بالشكل التالي:

| المثول | المثل في العالم العلوي | المثول في عالم الدين | المثل في عالم الجسم |
|-----------|------------------------|----------------------|---------------------|
| ١. السابق | العقل الكلّي | النبي | السماء |
| ٢. التالي | النفس الكلّي | الإمام | الأرض |
| ٣. الجد | إسرافيل | الوصي | المعدن |
| ٤. الفتح | ميكائيل | الحجّة | النبات |
| ٥. الخيال | جبرائيل | الداعي | الحيوان |

وكلُّ يأخذ الفيض من السابق، ويفيضة إلى التالي. (١)

وإلى هذه الأنوار الخمسة يشير الداعي في قصيدته الشافية عند ذكر توبة آدم وتوسله بها قائلاً:

| | |
|--------------------------|-----------------------------|
| وعاد الله بحسن التوبة | آدم كي يغفر تلك الحوبة |
| وقال يا ربي إنّي أسأل | وإنني عن زلّتي منفصل |
| مُبتهلاً بالخمسة الأنوار | أول ما أبدعته في الدّار |
| من سابق كان بلا مثال | ولاحق يتلوّه بالكمال |
| والجد ثم الفتح والخيال | وبالحروف السبعة الأشكال (٢) |

١. القصيدة الشافية: ٣٧، قسم التعليقة؛ ناصر خسرو: خوان الإخوان: ١٩٩.

٢. القصيدة الشافية: ٣٧.

نماذج من تأويلاتهم الفقهية

لما كان القول بالمثل والممثل أساساً للتأويل، نذكر في المقام بعض تأويلاتهم في الشريعة.

قالت الإسماعيلية: إن لكل ظاهر في الشريعة، كالوضوء، والصلاة، والزكاة، والجهاد، والحج، والولاية، وغيرها باطناً، يجب الإيمان به.

وقد كتب كثير من الفاطميين كتباً في التأويل، غير أن قاضي القضاة، النعمان بن محمد، قام بأمرين:

الأول: ألّف كتاباً باسم «دعائم الإسلام» وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، وطبع الكتاب في جزئين وهو يشتمل على الكتب التالية:

- | | | |
|--------------------------|-------------------|------------------------------|
| ١. كتاب الولاية. | ١٣. كتاب اللباس | ٢٣. كتاب الذّيّات. |
| ٢. كتاب الطهارة. | والطيب. | ٢٤. كتاب الحدود. |
| ٣. كتاب الصلاة. | ١٤. كتاب الصيد. | ٢٥. كتاب الشّراق والمحاربين. |
| ٤. كتاب الزكاة. | ١٥. كتاب الذبائح. | ٢٦. كتاب الرّدة والبدعة |
| ٥. كتاب الصوم والاعتكاف. | ١٦. كتاب الضحايا | ٢٧. كتاب الغصب والتعدّي. |
| ٦. كتاب الحج. | والعقائق. | ٢٨. كتاب العارية والوديعة. |
| ٧. كتاب الجهاد. | ١٧. كتاب النكاح. | ٢٩. كتاب اللفظة واللقطة |
| ٨. كتاب البيوع والأحكام. | ١٨. كتاب الطلاق. | والأبق. |
| ٩. كتاب الأيمان والندور. | ١٩. كتاب العتق. | ٣٠. كتاب القسمة والبنیان. |
| ١٠. كتاب الأشربة. | ٢٠. كتاب العطايا. | ٣١. كتاب الشهادات. |
| ١١. كتاب الأطعمة | ٢١. كتاب الوصايا. | ٣٢. كتاب الدعوى والبنیان. |
| ١٢. كتاب الطب. | ٢٢. كتاب الفرائض. | ٣٣. كتاب آداب القضاة. |

وهو في الحقيقة يحتوي على ظواهر الشريعة.

الثاني: أُلّف كتاباً، حاولَ فيه أن يبيّن التأويل الباطني لجميع الأحكام، أسماه بـ«تأويل الدعائم» واستطاع أن يُنهي تأليف الجزء الأوّل منه، والذي يشتمل على كتاب الولاية، والطهارة، والصلاة، ولكنّ المنية حالت دون إتمامه لتأويل بقية الأبواب الفقهية.

ولذا نقتصر في المقام على ما جاء في هذا الكتاب، بوجه مُوجز، وهدفنا ذكر نماذج، منها فقط، لأننا لا نروم التفصيل والاستقصاء في هذا البحث. وليعلم أنّ للفاطميين كتباً كثيرةً في التأويل، وقد وَعَدَ محقق كتاب «تأويل الدعائم» محمد حسن الأعظمي أن ينشر بعضها في المستقبل.^(١) لما كان التأويل أمراً شخصياً، يختلف باختلاف الداعي، واختلاف ذوقه، اختلفت كلمة الدعاة أشدَّ الاختلاف، في مسائل كثيرة، يقول محقق كتاب راحة العقل، ما هذا لفظه:

الداعي النخشي وضع كتابه المحصول في فلسفة المذهب. وجاء بعده أبو حاتم الرازي، فوضع كتابه الإصلاح، وخالف فيه أقوال من سبقه، ثم جاء أبو يعقوب السجستاني، أستاذ الكرمانى، فانتصر للنخشي، وخالف أبا حاتم، ثم جاء الكرمانى الذي استطاع أن يوفق بين آراء شيخه وآراء أبي حاتم.^(٢)

إنّ المواضع المقتطفة من كتاب «تأويل الدعائم» يعرب عن أمرين: الأوّل: أنّ جميع التأويلات مبنية على: أسس فلسفية ذوقية، لا تتمتع بالبرهان كأكثر تأويلات الصوفية.

الثاني: أنّ غالب التأويلات مبنية على ثبوت مقامات غيبية لأئمتهم. ومن أجل أن يقف القارئ بنفسه، ويتيقن من صحة الدعوى التي ذكرناها هنا، سوف نستعرض مجموعة من النماذج لأرائهم، وهي:

١. تأويل الدعائم: ٣٥، قسم المقدمة.

٢. راحة العقل: ١٧، مقدمة المحققين.

كتاب الولاية (الدعاة الأولي)

جاء في كتاب تأويل الدعائم: عن الباقر عليه السلام: «بني الإسلام على سبع دعائم: ^(١) الولاية: وهي أفضل وبها وبالولي يُنتهى إلى معرفتها، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج والجهاد»، فهذه كما قال عليه السلام: دعائم الإسلام قواعده، وأصوله التي افترضها الله على عباده.

ولها في التأويل الباطني أمثال، فالولاية مثلها مثل آدم (ص) لأنه أول من افترض الله عز وجل ولايته، وأمر الملائكة بالسجود له، والسجود: الطاعة، وهي الولاية، ولم يكلفهم غير ذلك فسجدوا إلا إبليس، كما أخبر تعالى، فكانت المحنة بآدم (ص) الولاية، وكان آدم مثلها، ولا بد لجميع الخلق من اعتقاد ولايته، ومن لم يتولّه، لم تنفعه ولاية من تولاه من بعده، إذا لم يذُن بولايته ويعترف بحقه، وبأنه أصل مَنْ أوجب الله ولايته من رسله وأنبيائه وأئمة دينه، وهو أَوْهَم وأبوهم.

والطهارة: مثلها مثل نوح عليه السلام، وهو أول مبعوث ومرسل من قبل الله، لتطهير العباد من المعاصي والذنوب التي اقترفوها، ووقعوا فيها من بعد آدم (ص)، وهو أول ناطق من بعده، وأول أولي العزم من الرسل، أصحاب الشرائع، وجعل الله آيته التي جاء بها، الماء، الذي جعله للطهارة وسمّاه طهوراً.

والصلاة: مثلها مثل إبراهيم (ص) وهو الذي بنى البيت الحرام، ونصب المقام، فجعل الله البيت قبلة، والمقام مصلى.

والزكاة: مثلها مثل موسى، وهو أول من دعا إليها، وأرسل بها، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾. ^(٢)

١. المروي عن طرقتنا: بني الإسلام على خمس.

٢. النازعات: ١٥-١٨.

والصوم: مثله مثل عيسى عليه السلام وهو ^(١) أول ما خاطب به أمه، أن تقول لمن رآته من البشر، وهو قوله الذي حكاه تعالى عنه لها: ﴿فَأَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾. ^(٢) وكان هو كذلك يصوم دهره، ولم يكن يأتي النساء، كما لا يجوز للصائم أن يأتيهن في حال صومه.

والحج: مثله مثل محمد عليه السلام، وهو أول من أقام مناسك الحج، وسن سنته، وكانت العرب وغيرها من الأمم، تحج البيت في الجاهلية ولا تقيم شيئاً من مناسكه، كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾. ^(٣)

وكانوا يطوفون به عراً، فكان أول شيء نهاهم عنه ذلك فقال، في العمرة التي اعتمرها، قبل فتح مكة، بعد أن وادع أهلها، وهم مشركون: «لا يطوفن بعد هذا بالبيت عريان، ولا عريانة»، وكانوا قد نصبوا حول البيت أصناماً لهم يعبدونها، فلما فتح الله مكة كسرها، وأزالتها، وسن لهم سنن الحج، ومناسكه، وأقام لهم بأمر الله معاملة. وافترض فرائضه. وكان الحج خاتمة الأعمال المفروضة، وكان هو عليه السلام خاتم النبيين، فلم يبق بعد الحج من دعائم الإسلام غير الجهاد، وهو مثل سابع الأئمة، الذي يكون سابع اسبوعهم الأخير، الذي هو صاحب القيامة. ^(٤)

١. الظاهر أن ضمير الفاعل يرجع إلى روح الأمين.

٢. مريم: ٢٦.

٣. الأنفال: ٣٥.

٤. النعمان: تأويل الدعائم: ١/٥١-٥٢.

كتاب الطهارة (الدعامة الثانية)

قال صاحب تأويل الدعائم: لا يجزي في الظاهر صلاة بغير طهارة، ومن صلى بغير طهارة لم تجزه صلاته، وعليه أن يتطهر، وكذلك (في الباطن) لا تجزي ولا تنفع دعوة مستجيب يدعى، ويؤخذ عليه عهد أولياء الله حتى يتطهر من الذنوب، ويتبرأ من الباطل كله، ومن جميع أهله، وإن تبرأ من الباطل بلسانه، مقيم على ذلك، لم تنفعه الدعوة، ولم يكن من أهلها، حتى يتوب ويتبرأ مما تجب البراءة منه، فيكون طاهراً من ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ (١). (٢)

ويقول: إن الأحداث التي توجب الطهارة لها في الباطن أمثال، يجب التطهر منه بالعلم، كما وجب التطهر في الظاهر من هذه بالماء، فمثل الغائط مثل الكفر، والذي يطهر منه من العلم الإيثار بالله، ومثل البول مثل الشرك وهو درجات ومنازل، والذي يطهر منه من العلم توحيد الله، ونفي الأضداد والأشباه، والشركاء عنه، ومثل الريح تخرج من الدبر، مثل النفاق، والذي يطهر منه من العلم التوبة والإقلاع عنه، واليقين والإخلاص والتصديق بالله، وأنبيائه وأوليائه، وأئمة دينه. (٣)

أما غسل الوجه فيه سبعة منافذ: العينان، والأذنان، والمنخران، والفم. وأن أمثالهم في الباطن، أمثال السبعة النطقاء الذين هم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليه السلام و محمد عليه السلام وخاتم الأئمة من ذريته صاحب القيامة (ص)، ولابد للمستجيب بعد البراءة، من الكفر والشرك والنفاق، من

١. الأنعام: ١٢٠.

٢. تأويل الدعائم: ١/٧٦.

٣. تأويل الدعائم: ١/٧٩.

العلم والإيمان والتصديق بمحمد ﷺ ووصيه علي ومن الإيمان والتصديق بالنطقاء الستة، وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، وبخاتم الأئمة صاحب القيامة (ص) وهو اليوم الآخر الذي ذكره الله في غير موضع من كتابه، وجعل الأيام السبعة أمثالاً لهم، فالأحد مثل آدم ﷺ، والإثنين مثل نوح ﷺ، والثلاثاء مثل إبراهيم، والأربعاء مثل موسى ﷺ، والخميس مثل عيسى ﷺ، والجمعة مثل محمد ﷺ جمع الله له علم النبيين، وفضلهم وأكملهم به، وجعله خاتمهم، وفضله بأن جعل السابع من ذريته، ومن أهل دعوته. فكان غسل الوجه مثلاً على الإقرار بهذه الأسابيع وطاعتهم. ^(١)

في التيمم:

يقول: التيمم وضوء الضرورة، هذا من ظاهر الدين، وأما باطن التيمم لمن عدم الماء وأنه في التأويل طهارة من أحدث حدثاً في الدين من المستضعفين، من المؤمنين الذين لا يجدون مفيداً للعلم، مما يحدثونه عند ذوي العدالة من المؤمنين من ظاهر علم الأئمة الصادقين إلى أن يجد مفيداً من المطلقين.

إلى أن قال: ولا ينبغي أن يتيمم من لم يجد الماء إلا في آخر الوقت، بعد أن يطلب الماء.

وذلك في الباطن من اقترف ما يوجب عليه الطهارة بالعلم الحقيقي، فعليه أن يطلبه، ولا يُعجّل بالقصد إلى غير مطلق، فيأخذ عنه ما يطهره من العلم الظاهر، حتى يجتهد في طلب مفيد مطلق، فإذا بلغ في الطلب استطاعته وانتهى إلى آخر وقت، يعلم أنه لا يجد ذلك، فحينئذ يقصد إلى من يفيد من المؤمنين، أهل الطهارة من ظاهر علم أولياء الله، ما يزيل عنه شك ما اقترفه وباطله.

إلى أن قال: قال الصادق (ص) في ذلك: إنه إن وجد الماء وقد تيمم وصلّى

بتيّمه ذلك، أجزأه وعليه أن يتطهّر بالماء أو يتيمّم، إن لم يجد الماء، لما يستقبله من الصلاة.

باطن ذلك أنّه إن فعل ما ذكرناه في دعوة إمام أو حدّ من حدوده، ثمّ دخلت على تلك الدعوة دعوة أُخرى، ولم يجد مفيداً، فهو على ما كان عليه، وإن وجده كان على ما وصفنا، وليس عليه شيء لما مضى. ^(١)

في ذكر التنظّف

يقول: الحيض علّة تُصيب النساء في الظاهر، وأمثال النساء - كما ذكرنا في الباطن - أمثال المستجيبين.

فتأويل جملة القول في الحيض في الباطن، أنّه علّة وفساد، يدخل على المستجيب في دينه، يجرم عليه من أجلها سماع الحكمة، والكون في جماعة أهل الدعوة، كما لا يحلّ في الظاهر للمرأة إذا حاضت أن تصلي، ولا تدخل المسجد، وكذلك لا يحلّ لمفيد ذلك المستجيب، أن يفيد شيئاً من العلم إذا أحدث ذلك الحدث، حتى يتطهّر منه، بالتوبة والنزوع عنه، والإقلاع، وينقطع عنه ما عرض من ذلك الفساد في دينه. ^(٢)

ويقول أيضاً: قال الصادق عليه السلام: إذا طهرت المرأة من حيضها في وقت صلاة، فضيّعت الغسل، كان عليها قضاء تلك الصلاة.

تأويله: أنّ المقرّف إذا تاب وانتصل ممّا اقترفه، ولم يتطهّر في ذلك بالعلم، كما وصفنا، كان عليه أن يتطهّر، وأن يسعى في إفادة ما فاته من الحكمة، بعد إقلاعه عمّا اقترفه.

فافهموا معشر المؤمنين ما تعبدكم الله به ظاهراً وباطناً، فإنّ ذلك مرتبط

٢. تأويل الدعائم: ١/١٦١.

١. تأويل الدعائم: ١/١٢٣ - ١٢٤.

بعضه ببعض، يشهد كل شيء منه لصاحبه، ويطابقه ويوافقه فما وجب في الظاهر، وجب كذلك مثله ونظيره في الباطن، لا يجزي إقامة أحدهما دون الآخر، ولا يحلُّ في الظاهر ما حُرِّم في الباطن، ولا في الباطن ما حُرِّم في الظاهر، وإياكم أن يستميلكم عن ذلك، تحريف المحرِّفين، ولا شبهات الشياطين، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَذُرُوا ظَاهِرَ الْأَيْمِ وَبَاطِنَهُ﴾^(١) وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾^(٢) وقال: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(٣).^(٤)

كتاب الصلاة (الدعاة الثالثة)

يقول: الصلاة في الظاهر ما تعبَّد الله عباده المؤمنين به، لئيبهم عليه، وذلك ممَّا أنعم الله عزَّ وجلَّ به عليهم، وقد أخبر تعالى أنه ﴿أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ فظاهر النعمة في الصلاة إقامتها في الظاهر، بتمام ركوعها وسجودها وفروضها ومسنونها، وباطن النعمة كذلك في إقامة دعوة الحق في كلِّ عصرٍ كما هو في ظاهر الصلاة.^(٥)

ويقول أيضاً: افترض الله خمس صلوات في الليل والنهار سبَّأها في كتابه. وتأويل ذلك أنَّ الخمس الصلوات في الليل والنهار في كلِّ يوم وليلة مثلها في الباطن مثل الخمس الدعوات لأولي العزم من الرسل الذين صبروا على ما أمروا به، ودعوا إليه.

فصلاة الظهر وهي الصلاة الأولى مثلُّ لدعوة نوح (ص)، وهي الدعوة

١. الأنعام: ١٢٠.

٢. الأعراف: ٣٣.

٣. لقمان: ٢٠.

٤. تأويل الدعائم: ١/١٦٧.

٥. تأويل الدعائم: ١/١٧٧.

الأولى، وهو أولُ أولي العزم من الرسل.

والعصر مَثَلٌ لدعوة إبراهيم (ص) وهو ثانيُ أولي العزم، وهي الصلاة الثانية.

والمغرب وهي الصلاة الثالثة مَثَلٌ لدعوة موسى (ص) وهي الدعوة الثالثة، وهو ثالثُ أولي العزم.

والعشاء الآخرة مَثَلٌ لدعوة عيسى (ص) وهي الدّعوة الرابعة، وهو الرابع من أولي العزم، وهي الصلاة الرابعة.

والفجر وهي الصلاة الخامسة مَثَلٌ لدعوة محمد ﷺ، وهي الدعوة الخامسة، وهو خامسُ أولي العزم، فأمره الله بأن يُقيم الصلاة ظاهراً وباطناً... وأن يدعو فيها إلى مَثَلٍ ما دعا أولوا العزم من قبله. ^(١)

في عدد الصلّاة

يقول: ويتلو ذلك ذكر عددٍ ما في كلّ صلاةٍ، من الركوع، وما يُجهر فيه منها بالقراءة، وما يُخافت فيه منها.

تأويل ذلك: أنّ جملة عدد الركعات للخمس الصلوات في اليوم واللييلة، الفرض من ذلك سبع عشرة ركعة والسنة مثلاً الفريضة (أربع وثلاثون ركعة) والصلوة على سبعة أضرب، هذا ضرب منها.

والثاني: صلاة الكسوف، على خلاف صفة هذه، لأنّها ركعتان، في كلّ ركعة خمس ركوع.

والثالث: صلاة العليل، والعريان، يصلّيان جالسين، وإذا لم يستطع العليل الصلاة، جالساً، صلّى مستلقياً أو مضطجعاً، وإذا لم يستطع الركوع والسجود،

١. تأويل الدعائم: ١/١٧٨-١٨٠.

يومي أي إيباء برأسه أو ببصره، إذا لم يستطع أن يومي برأسه.

والرابع: صلاة الخوف، تصلى على معنى غير معنى الصلاة في الأمن، وتجزى على ركعة منها تكبيرة عند الموافقة والمسائفة.

والخامس: صلاة الاستسقاء، والأعياد، والجُمع، لها حدّ غير حدّ الصلاة في غير ذلك.

والسادس: صلاة الجنائز، ليس فيها ركوع ولا سجود.

والسابع: الصلاة على النبي ﷺ، وهي لفظ باللسان بلا عمل بالأركان.

فأمثال الستة الأضرَب من الصلاة أمثال الدعوة الستة النطقاء، وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ... والصلاة السابعة التي هي الصلاة على النبي ﷺ وهي قول بلا عمل، مثل لدعوة آخر الأئمة وخاتمهم، وهو صاحب عصر القيامة، لأنّه إذا قام رفع العمل، وقامت القيامة. (١)

في وقت الصلاة

يقول: أوّل وقت الظهر زوال الشمس.

وتأويل ذلك: أنّ الشمس في الباطن مثُلها مثل وليّ الزمان من كان نبيّ أو إمام، ومثل طلوعها مثل قيام ذلك الوليّ و ظهوره، ومثل غروبها مثل نقلته وانقضاء أمره، وكان رسول الله ﷺ في وقته مثله مثل الشمس، من وقت بعثه الله تعالى فيه إلى أن أكمل دينه الذي ابتعثه لإقامته، وإكمالها بإقامة وصيّته، وذلك قول الله تعالى الذي أنزل عليه في اليوم الذي قام فيه بولاية علي (ص) بغدير خم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا^(١) فلما فعل ذلك (ص) مال إلى النقلة عن دار الدنيا إلى معاده، فكان بين ذلك وبين وفاته سبعون ليلة.

وكان ذلك في التأويل مثل الزوال على رأس سبع ساعات، كما ذكرنا من النهار، التي جاء أن مثل عددها مثل عدد حروف اسمه واسم وصيه (ص)، وذلك سبعة أحرف، محمدٌ أربعة أحرف، وعليٌّ ثلاثة أحرف، فذلك سبعة، مثل لل سبع ساعات، التي تزول الشمس عندها التي مثلها مثله (ص)، ومثل زوالها زواله، وانتقاله إلى معاده، الذي أعد الله له فيه الكرامة لديه.^(٢)

في الأذان والإقامة

يقول: إن الأذان مثله مثل الدعاء إلى ولاية الناطق، وهو النبي ﷺ في وقته، والإمام في عصره.

والإقامة مثلها مثل الدعاء إلى حجته، وهو وليّ أمر الأمة من بعده، الذي يُقيمه لذلك في حياته، ويصير مقامه له بعد وفاته، فالأذان ثمان عشرة كلمة... ومثل الأذان، مثل الدعاء إلى دعوة الحق، وذلك مثل الدعاء إلى الستة النطقاء، وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ﷺ، ومحمد ﷺ، والدعاء إلى دعوة الحجج الاثني عشر وهم أكابر الدعاة أصحاب الجزائر، التي هي جزائر الأرض الاثني عشرة جزيرة، بكل جزيرة منها داع، يدعو إلى دعوة الحق، فدعوة الحق تشتمل على هذه الدعوات، وتؤكد أمرها، وتوجب الإقرار بأصحابها، وكان ذلك مثل عدد كلمات الأذان لكل دعوة منها كلمة؛ والإقامة تسع عشرة كلمة... والإقامة - كما ذكرنا - مثل النداء إلى الحجّة فمثل الكلمة الزائدة فيها، مثل الدعوة إلى الحجّة، الذي هو أساس الناطق، فأما الدعاء إلى الأئمة وحججهم، فيدخل ذلك في دعوة أصحاب الجزائر، لأن دعوتهم إلى كل إمام في وقته وحجته.^(٣)

٢. تأويل الدعائم: ١/ ١٩٩.

١. المائة: ٣.

٣. تأويل الدعائم: ١/ ٢١٤.

في ذكر المساجد

يقول: فالمساجد في الظاهر البيوت التي يجتمع الناس إليها، للصلاة فيها، وهي على طبقات، ودرجات فأعلاها المسجد الحرام.

ومثله مثل صاحب الزمان مَنْ كان من نبي أو إمام.

ومثل الأمر بالحج والسعي إليه من أقطار الأرض، مثل واجب ذلك على الناس، لولي زمانهم أن يأتوه من كل أفق من الآفاق.

ومثل مسجد الرسول ﷺ مثل الحجة وكذلك، على الناس أن يأتوه كما يأتون المسجد الحرام.

ومثل مسجد بيت المقدس مثل بابه، أكبر الدعاة وبابهم، ويسمى باب الأبواب.

وجوامع الأمصار أمثالها أمثال النقباء وهم أكابر الدعاة أصحاب الجزائر. ومساجد القبائل أمثالها أمثال دعاة القبائل على مقاديرهم، كمثل المساجد في فضلها، وفضل بعضها على بعض، وسعتها، وضيقها، كذلك الدعاة منهم مشهورون بالفضل، وبعضهم أفضل من بعض وأوسع علماً.^(١)

في تكبيرة الإفتتاح

يقول: إذا افتتحت الصلاة فارفع يديك، ولا تجاوز بهما أذنيك، وأبسطهما بسطاً، ثم كبر، فهذه التكبيرة التي تكون في أول الصلاة، هي تكبيرة الإفتتاح، ورفع اليدين فيهما واجب عند أكثر الناس، إلا أنهم يختلفون في منتهى حد ذلك، والثابت عن أهل البيت ﷺ ما جاء في هذه الرواية عن الصادق ﷺ أنه لا يجاوز

١. تأويل الدعائم: ١/ ٢٢٥.

بهما الأذنين، والذي يؤمر به في ذلك أن يحاذي بأطراف الأصابع من اليدين أعلى الأذنين، ويحاذي بأسفل الكفين أسفل الذقن، فتكونُ اليدان قد حاذتا ما في الوجه من المنافذ السبعة، وهي: الفم، والمنخران، والعينان، والأذنان.

وتأويل ذلك أنّ مثل اليدين مثل الإمام والحجّة، ومثل هذه المنافذ السبعة، مثل النطقاء السبعة، فمثل رفع اليدين إلى أن يحاذيهما، مثل الإقرار في أول دعوة الحقّ بالإمام والحجّة والنطقاء السبعة أعني: إمام الزمان وحجّته، وأن لا يفرق بين أحدٍ منهم، ومثل قوله: «الله أكبر» أنّه شهادة وإقرار واعتقاد بأنّ الله أكبر وأجل وأعظم من كلّ شيء وأنّ النطقاء والأئمّة والحجج - وإن قرن الله طاعتهم بطاعته - عباد من عباده مربوبون. ^(١)

في القراءة

يقول: يقرأ في الصلاة في كلّ ركعة بعد بسم الله الرحمن الرحيم، بفاتحة الكتاب، وفي الركعتين الأوليين، بعد فاتحة الكتاب بسورة، ونُهي عن أن يُقال «آمين» بعد فراغ فاتحة الكتاب، كما تقول ذلك العامّة.

وتأويل ذلك أنّ بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفاً، بسم الله سبعة أحرف، وهي مثل النطقاء السبعة، والسبعة الأئمّة الذين يتعاقبون الإمامة بين كل ناطقين، الرحمن الرحيم اثني عشر حرفاً مثل النقباء الاثني عشر.

وتأويل قراءته في كلّ ركعة بفاتحة الكتاب، من أنّها سبع آيات وأنّه جاء في التفسير أنّها السبع المثاني، لأنّها تتنّى في كلّ ركعة، وإنّ مثلها ومثل قراءتها في الصلاة مثل الإقرار بالسبعة الأئمّة الذين يتعاقبون الإمامة بين كلّ ناطقين، وإنّ ذلك هو قول الله تعالى لمحمد نبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ ^(٢)

وتأويله أنه جعل في ذريته سبعة أئمة يثنى منهم اسبوع بعد اسبوع، كما يثنى أيام الجمعة إلى أن تقوم الساعة وأنه جمع له علم النطقاء والأئمة من قبله والقرآن العظيم، ومثله في التأويل مثل أساس دعوته وأئمته وهو وصيه علي (ص).

وأما قراءة فاتحة الكتاب وسورة في كل ركعة تقرنان فيها فممثل ذلك في التأويل، مثل الإقرار في دعوة الحق بإمام الزمان وحقته وقول العامة بعد فراغ سورة الحمد آمين زيادة فيها فنهى عن ذلك كما يُنهى عن إدخال غير أولياء الله في جملتهم، وعن زيادة غيرهم فيهم. ^(١)

في صلاة العيدين

يقول: ليس في العيدين أذان ولا إقامة، ولا نافلة، ويبدأ فيها بالصلاة قبل الخطبة، خلاف الجمعة؛ وصلاة العيدين ركعتان يُجهر فيها بالقراءة. تأويل ذلك: أن مثل الخروج إلى العيدين مثل الخروج إلى جهاد الأعداء، وأن مثل الأذان مثل الدعوة والخروج إلى العدو، وليست تقام له دعوة، إذ تقدم في دعوة الحق الأمر به، وإنما يلزم الناس أن ينفروا ويخرجوا إليه، كما أوجب الله ذلك عليهم في كتابه.

ومعنى البدء في الصلاة يوم العيدين قبل الخطبة، خلاف الجمعة، أن الخروج إلى العيدين مثل الخروج إلى جهاد العدو، واستقبال القبلة في الصلاة مثل استقبال الإمام بالطاعة والسمع له وذكرنا أن مثل الخطبة من الخطيب مثل التوقيف من الداعي من يدعو على ما يأمره به، فكان مثل الإبداء بالصلاة في العيدين مثل إقبال الخارجين إلى جهاد الأعداء في حين خروجهم على إمامهم، والسمع منهم والطاعة لما به يأمرهم، وما عليه يرتبهم وقيمهم وفي مقاماتهم، فذلك مثل الصلاة وبه يتدئ، ومثل الخطبة بعد ذلك مثل تحريض الإمام

المؤمنين على الجهاد، وأمره ونهيه إياهم في ذلك، بما يأمرهم به، وينهاهم عنه، ولذلك كان في خطبة العيدين الأمر بالجهاد وبطاعة الإمام، والتوبيخ على التقصير في العمل.^(١)

هذه نماذج من تأويلات الإسماعيلية، في مجال الأحكام الشرعية، ومن أراد الاستقصاء فعليه الرجوع - مضافاً إلى كتاب تأويل الدعائم - إلى كتاب «وجه دين» للرحالة ناصر خسرو (٣٩٤-٤٧١ أو ٤٨١هـ)، فقد قام بتأويل ما جاء من الأحكام في غير واحد من الأبواب، حتى الحدود والديّات، والنكاح، والسفاح، ولكنه ألفه بلغة فارسية قديمة، فعلى من يريد المزيد من الاطلاع فليرجع إلى ذلك الكتاب، وقد طبع عام ١٣٩٧هـ طبعة أنيقة.

الفصل الثالث عشر

في

أعلام الفكر الإسماعيلي

ظهر المذهب الإسماعيلي على الساحة الإسلامية بطابع ديني بحت، مدّعياً استمرار الإمامة، المتجسّدة في إسماعيل بن جعفر، ومحمد بن إسماعيل، ولما اشتد سلطانهم بقيام دولة لهم في شمال إفريقية، في بلاد المغرب، ومصر، ظهرت بينهم شخصيات بارزة في حقول السياسة والفلسفة والفقّه والحديث والأدب وغيرها، وبما أنّ دراسة سيرتهم وما قدموه من تراث للمجتمع الإسلامي خارج عن موضوع كتابنا، لأنّه رهن دراسة تاريخ الدولة الفاطميّة؛ فلنقتصر على ترجمة لفيف من أعلامهم ومفكرهم، ممّن كان لهم دور في نضج المذهب وتكامله وانتشاره.

١

أحمد بن حمدان بن أحمد الورثنياني

(أبوحاتم الرازي)

(٢٦٠-٣٢٢هـ)

أحمد بن حمدان بن أحمد الورثنياني اللبني (أبوحاتم الرازي) من زعماء الإسماعيلية وكتّابهم، أول من ترجمه هو الصدوق في «تاريخ الري» حسب ما نقله ابن حجر في «لسان الميزان»، قال:

ذكره أبو الحسن ابن بابويه في «تاريخ الري»، وقال: كان من أهل الفضل والأدب، والمعرفة باللغة، وسمع الحديث كثيراً، وله تصانيف؛ ثم أظهر القول بالإلحاد وصار من دعاة الإسماعيلية، وأضلّ جماعة من الأكابر ومات في سنة

٣٢٢هـ. (١)

و نقل صاحب الأعيان عن الرياض ما هذا لفظه: كان من القدماء المعاصرين للصدوق، له كتاب الرد على محمد بن زكريا الطيب الرازي في الإلحاد وإنكار النبوة. (٢)

وقال مصطفى غالب: كان داعياً كبيراً لبلاد الري وطبرستان وأذربيجان، وقد استطاع أن يدخل أمير الري في المذهب الإسماعيلي وكان من كبار دعاة القائم بأمر الله، ونؤكد أنه لعب دوراً عظيماً في شؤون طهران والديلم والري، السياسية، فاستجاب لدعوته أعظم رجالات تلك البلاد، وله مؤلفات عظيمة منها:

١. كتاب «الزينة»: كتاب في الفقه والفلسفة الإسماعيلية.

٢. «أعلام النبوة»: كتاب يبحث في الفلسفة الإسماعيلية.

٣. «الإصلاح»: كتاب يبحث في التأويل.

٤. «الجامع» كتاب في الفقه الإسماعيلي. (٣)

والحقيقة فإنّ أبا حاتم الرازي كان عالماً من أعلام النهضة العلمية عند الإسماعيلية، وقد ساهم بنشر التعاليم الفلسفية في كافة الأقطار الشرقية، وخاصة في محيط الثقافة الإسلامية العامة، وبالرغم من كل هذا فإنه لم يسلم من اضطهاد الأعداء في الديلم، وقد اضطر إلى الاختفاء في أواخر سني حياته، ومات سنة ٣٢٢هـ بعد تولية القائم الفاطمي شؤون الإمامة الإسماعيلية، في بلاد المغرب، وقد عمّر اثنين وستين عاماً، كما قال بعض المؤرخين.

كان معاصراً لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي الطيب المشهور، وصاحب

١. لسان الميزان: ١/ ١٦٤.

٢. الأمين العاملي: أعيان الشيعة: ٢/ ٥٨٣، ولم نثر على النص في رياض العلماء المطبوع.

٣. مصطفى غالب: تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٨٦.

الآراء الفلسفية المعروفة، التي خرج فيها على كثير من نظريات أرسطو الطبيعية والميتافيزيائية، منكرًا التوفيق بين الفلسفة والدين، معتقداً بأن الفلسفة هي الطريق الوحيد لإصلاح الفرد والمجتمع.

وقد دارت بينهما (أي بين الرازيين) مناقشات عنيفة ومتعددة، حضرها بعض العلماء والرؤساء السياسيين، وقد دوّن أبو حاتم هذه المناقشات في كتابه «أعلام النبوة».^(١)

وإليك كلاماً حول كتابه «أعلام النبوة»، فالكتاب يصوّر لنا معركة فكرية عقائدية بين رازيين، هما: أبو حاتم الداعي المتكلم الإسماعيلي، ومحمد بن زكريا الطبيب المتفلسف حيث تعددت اللقاءات بينهما، ودار النقاش حول مواضيع شتى في جوانب الثقافة الإسلامية، من عقائد فلسفية وكلام وطب وصيدلة وهيئة، وما إلى ذلك.

إنّ اختلاف الرأي بين الرجلين في هذه الجوانب لم يكن إلّا مظاهر متعددة لاختلاف أساسي واحد بينهما في الرأي حول العقل الإنساني، وتكليفه وحدود إمكانه من جانب، والنبوة والضرورة إليها من جانب آخر.^(٢)

والكتاب جدير بالمطالعة وقد بدأ المؤلف كتابه بقوله:

ناظرني «الملحد» في أمر النبوة وأورد كلاماً نحو ما رسمه في كتابه الذي قد ذكرناه فقال:

«من أين أوجبتم أنّ الله اختصّ قوماً بالنبوة دون قوم، وفضلهم على الناس، وجعلهم أدلة لهم، وأحوج الناس إليهم؟ ومن أين أجزتم في حكمة الحكيم أن يختار لهم ذلك ويشلي بعضهم على بعض، ويؤكد بينهم العداوات

١. كتاب الرياض: ٨-٩ المقدمة بقلم عارف تامر.

٢. أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة: ٤، المقدمة بقلم صلاح الصاوي.

ويكسر المحاربات ويهلك بذلك الناس؟!». (١)
ثم ذكر المناظرة.

وترجمه ابن النديم في «الفهرست»، وقال: وله من الكتب «كتاب الزينة» نحو ٤٠٠ ورقة وكتاب «الجامع» وفيه فقه. (٢)

٢

محمد بن أحمد النسفي البردغي (النخشي)

(.... - ٣٣١هـ)

كان كبير دُعاة خراسان وتركستان، استطاع أن يدخل في المذهب الإسماعيلي الكثيرين، من أهل تلك البلاد، اشتهر في تعمّقه بدراسة فلسفة المذهب الإسماعيلي؛ ومن أشهر مؤلفاته:

١. كتاب «المحصول» يتألف من ٤٠٠ صفحة جلّها في الفلسفة الإسماعيلية.

٢. «كون العالم».

٣. كتاب «الدعوة الناجية».

٤. كتاب «أصول الشرع» يبحث في الفقه الإسماعيلي، وفلسفة ما وراء الطبيعة.

توفي هذا الداعي سنة ٣٣١هـ. (٣)

١. أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة: ١، وطبع الكتاب في طهران عام ١٣٩٧هـ وترجمه خير الدين الزركلي ولم يأتي بشيء يذكر لاحظ الأعلام: ١/١١٩.

٢. ابن النديم: الفهرست: ٢٨٢.

٣. تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ١٨٦-١٨٧، وقد ذكره باسم عبد الله بن أحمد النسفي البردغي، وجاء في مقدمة كتاب الرياض، للكرماني، باسم محمد بن أحمد النسفي، والمقدمة لعارف تامر.

يقول عارف تامر: إنَّ أوَّلَ جَدَلٍ فَتَحَ للإسماعيلية الآفاق الجديدة، ظهورُ كتاب «المحصول»، وهذا الكتاب وضع موضع التداول في بداية القرن الرابع الهجري، وينسب إلى الداعي السوري الأكبر «محمد بن أحمد النسفي» الذي كان له الفضل بتحويل مذهب الدولة السامانية في آذربيجان إلى الإسماعيلية، وقد أُعدِم سنة ٣٣١ هـ كما جاء في كتاب «الفرق بين الفرق» لمؤلفه عبد القاهر البغدادي. (١)

وقد ذكر ابن النديم في الفهرست أنَّ النسفي خلف، الحسين بن علي المروزي في خراسان، الذي مات في حبس نصر بن أحمد، واستغوى نصر بن أحمد وأدخله في الدعوة الإسماعيلية، وأغرمه دية المروزي، وزعم أنَّه ينفذها إلى صاحب المغرب القيّم بالأمر. فلحق نصر سقم طرحة على فراشه، وندم على إجابته للنسفي، فأظهر ذلك ومات.

فجمع ابنه نوح بن نصر الفقهاء وأحضر النسفي، فناظروه وهتكوه وفضحوه، فقتل النسفي، ورؤساء الدعاة ووجوهها من قواد نصر، ممن دخل في الدعوة ومزقهم كل ممزق. (٢)

٣

أبو يعقوب السجستاني

(٢٧١- وكان حيّاً عام ٣٦٠ هـ)

أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجزي أو السجستاني، ولد عام ٢٧١ هـ في سجستان، وهي مقاطعة في جنوب خراسان يمتُّ بصِلَة النسب إلى أسرة فارسية،

١. عارف تامر: كتاب الرياض: ٦، قسم المقدمة.

٢. ابن النديم: الفهرست: ٢٣٩.

وقيل أنه من أصل عربي، جاء جذه من الكوفة، وقطن في سجستان.

نشأ السجستاني في مدارس الدعوة الإسماعيلية في اليمن، وأسهم مساهمة فعالة في المناظرات العلمية التي كانت تجري في ذلك العصر.^(١)

يقول عنه الكاتب الإسماعيلي عارف تامر: يعتبر أبو يعقوب إسحاق السجستاني (السجزي) في طليعة العلماء الذين كرسوا أنفسهم لوضع قواعد فلسفية كونية قائمة على دعائم فكرية عقائدية إسماعيلية، ونشرها وتعميمها في الأقطار الأخرى، حتى اتهم في أواخر حياته، بالكفر والإلحاد، من الجمهور، ثم قتل أخيراً.

وقد لعب السجستاني دوراً هاماً في مجال الفلسفة في القرن الثالث للهجرة، وقد ظهر أثره الفكري في تلميذه حميد الدين الكرمانى (حجة العراقيين) الذي سار على منهاجه، ودعا إلى تعاليمه.

عاصر الدعوة الإسماعيلية الباطنية في عصر الظهور أي ابان ازدهار الدولة الفاطمية وظهورها كدولة إسلامية ذات كيان حضاري، وعلمي، واجتماعي، وسياسي.^(٢)

كتب كتاب «النصرة» الذي عارض فيه كتاب «الإصلاح» الذي وضعه أبو حاتم الرازي في الرد على آراء النسفي التي وردت في كتابه «المحصول» وبذلك انتصر للنسفي على الرازي.

وقام الكرمانى إلى تأليف كتابه «الرياض» بتقريب وجهات النظر بين الدعاة المتجادلين (النسفي، الرازي، السجستاني).

ترك السجستاني بعده مؤلفات علمية فلسفية عددها ينوف على الثلاثين

١. مصطفى غالب: مقدمة الينايع: ٤٦.

٢. عارف تامر: مقدمة كتاب الرياض: ١٠، نقل بتصرف.

ولعل أشهر كتبه:

١. كتاب النصر، ٢. كتاب الافتخار، ٣. كتاب المقاليد، ٤. كتاب مسيلة الأحران، ٥. كتاب سلم النجاة، ٦. كتاب سرائر المعاد والمعاش، ٧. كتاب كشف المحجوب، ٨. كتاب الوعظ، ٩. كتاب أسس البقاء، ١٠، كتاب خزانة الأدلة، ١١. كتاب تآلف الأرواح، ١٢. كتاب تأويل الشريعة، ١٣. كتاب أساس الدعوة، ١٤. رسالة تحفة المستجيبين، ١٥. كتاب الينابيع^(١).

وقد وقفنا من كتبه على كتاب ورسالة فالكتاب تحت عنوان «الينابيع» بتقديم وتحقيق مصطفى غالب، نشره المكتب التجاري للطباعة في لبنان - بيروت عام ١٩٦٥ م.

وقد قسم السجستاني يناييعه إلى أربعين يُنبوعاً، جعل كلَّ ينبوعٍ مشابهاً لحدِّ من الحدود الدينيّة، المعروفة بالنظام الإسماعيلي. ويظهر أنّه قد وضعه لطبقة خاصّة من الدعاة، وأصحاب المراتب العليا في الدعوة، وإلى الذين وصلوا في دراساتهم الفلسفيّة إلى الذروة.

وأما الرسالة فهي رسالة «تحفة المستجيبين» طبعت ضمن خمس رسائل إسماعيلية بتحقيق وتقديم عارف تامر عام ١٣٧٥ هـ. كتبها لطبقة المستجيبين والطلاب الذين يرغبون في الاطلاع على الفلسفة الإسماعيليّة، أو الدخول في الدعوة الهادية.

وقد ترجم له مصطفى غالب أيضاً في تاريخ الدعوة الإسماعيلية ص ١٨٧.

ولادته ووفاته

ذكر مصطفى غالب أنّه ولد سنة ٢٧١ هـ في سجستان، ثمّ قال: وبعد اضطهاد مريد، قُتل في تركستان عام ٣٣١ هـ.

١. مقدمة الينابيع: ٤٧.

غير أنّ الكاتب الإسماعيلي عارف تامر يذكر خلاف ذلك ويقول: يذهب «ماسينيون» و«و.ايفانوف» إلى القول أنّه مات سنة ٣٣١هـ ولكنّي أخالفهما في ذلك فالمعروف عن السجستاني أنّه كان أستاذاً للكرماني، والكرماني ظلّ عائشاً حتى سنة ٤١١هـ إذن متى أخذ الكرماني عنه علوم الدعوة؟ وهناك نص صريح في كتاب «الافتخار» للسجستاني يذكر فيه أنّه وضعه سنة ٣٦٠هـ وقد ورد ذكر كتاب «الافتخار» في كتاب «الرياض» للسجستاني نفسه، أي أنّ السجستاني وضع كتاب «الرياض» بعد كتاب «الافتخار» أي سنة ٣٦٠هـ.

وهذا يجعلنا نقول بل نؤكد: إنّ السجستاني كان داعياً في منطقة بخارى أيام إمامة المعز لدين الله الفاطمي، أي أنّه كان معاصراً لجعفر بن منصور اليميني، وللقاضي النعمان وغيرهما، من كبار المؤلفين وعلماء الدعوة في ذلك العصر العلمي الزاهر.^(١)

وقال البغدادي عند البحث عن الباطنيّة: وظهر بنيسابور داعية لهم يعرف بالشعراني، وقتل بها في ولاية أبي بكر بن الحجاج عليها، وكان الشعراني قد دعا الحسين بن علي المروزي، وقام بدعوته بعده محمد بن أحمد النسفي داعية أهل ماوراء النهر، وأبو يعقوب السجزي المعروف بـ«بندانه» وصنف النسفي لهم كتاب «المحصول» وصنف لهم أبو يعقوب كتاب «أساس الدعوة» وكتاب «تأويل الشرائع» و«كشف الأسرار» وقتل النسفي والمعروف بـ«بندانه» على ضلالتها.^(٢)

وقال خير الدين الزركلي: إسحاق بن أحمد السجزي أو السجستاني أبو يعقوب، من علماء الإسماعيليّة ودعاتهم يمان، اشتهر في سجستان، وقتل في تركستان، له تصانيف منها «الينابيع» قالوا: إنّهم كتبهم.^(٣)

١. عارف تامر: مقدمة خمس رسائل إسماعيلية: ١٥-١٦.

٢. البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٨٣.

٣. خير الدين الزركلي: الأعلام: ١/٢٩٣.

٤

أبوخليفة النعمان

(....٣٦٣هـ)

قاضي القضاة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد التميمي، واختلف في تاريخ ولادته، فقال بعضهم: إنها سنة ٢٥٩هـ وقال آخرون: إنه ولد في العشر الأخيرة من القرن الثالث.

إتصل في أول عهده بمؤسس الدولة الفاطمية عبيد الله المهدي، ورافق الدولة الجديدة خطوةً فخطوة، وبعد وفاة المهدي ولآه «القائم بأمر الله» قضاء طرابلس الغرب، وفي عهد المنصور تولى قضاء المنصورية، وكان قضاؤه يشمل سائر المدن الإفريقية، مرجعاً لجميع القضاة حتى عهد المعز لدين الله الذي قرّبه إليه، وأدناه من مجلسه، فوضع فيه كتاب «المجالس والمسامرات».

ولما دخل المعز مصر، كان معه «النعمان» وكان قاضياً للجيش، فأصبح في مصر قاضياً للقضاة. (١)

وكان محط ثقة المعز لدين الله، جعله مستشاراً قضائياً له، وساعد المعز في المسائل الخاصة بالدعوة، فقد وضع أسس القانون الفاطمي، وينظر إليه على أنه المشرع الأكبر للفاطميين. يقول رواة الفاطميين: إنه لم يؤلف شيئاً دون الرجوع إلى المعز لدين الله، ويعتبر أقوم كتبه كتاب «دعائم الإسلام» أنه من عمل المعز نفسه، وليس من عمل قاضيه الأكبر، ولهذا كان هذا الكتاب هو القانون الرسمي منذ عهد المعز حتى نهاية الدولة الفاطمية، كما يتضح ذلك من رسالة كتبها الحاكم بأمر الله

إلى داعيه باليمن، بل لا يزال هذا الكتاب هو الوحيد الذي يسيطر على حياة طائفة البهرة في الهند، وعليه المعول في أحوالهم الشخصية^(١).

توفي النعمان أول رجب سنة ٣٦٣هـ فخرج المعز بين الحزن عليه، وصلى عليه، وأضجعه في التابوت، ودفن في داره بالقاهرة^(٢) وذكر أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغاني في «سيرة القائد جوهر» أنه توفي في ليلة الجمعة سلخ جمادى الآخرة من السنة^(٣).

بلغت مؤلفاته نحواً من سبعة وأربعين كتاباً، جمعت ألواناً شتى من العلوم في فقهه، وتأويل وتفسير، وأخبار، وفيها نقل ابن خلكان عن ابن زولاق: «أنه ألف لأهل البيت من الكتب آلاف أوراق بأحسن تأليف».

وهذه المؤلفات بعضها محفوظ، وبعضها لا يوجد إلا بعض أجزاءه وبعضها فقد فلا يعرف إلا اسمه، وإليك أسماء بعض تلك المؤلفات:

١. جزء من كتاب شرح الأخبار، في مكتبة برلين.
٢. دعائم الإسلام، وهذا الكتاب من أهم كتبه، مطبوع.
٣. تأويل دعائم الإسلام، مطبوع.
٤. أساس التأويل، مطبوع.
٥. جزء من كتاب المجالس والمسافرات.
٦. كتاب الهمة في اتباع الأئمة.
٧. إفتتاح الدعوة، مطبوع.
٨. الارجوزة المختارة، مطبوع.
٩. الطهارة.

١. دعائم الإسلام: ١/١٢، قسم المقدمة.

٢. اتعاظ الخفاء: ١/١٤٩.

٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥/٤١٦.

١٠. التوحيد والإمامة. (١)
 ١١. كتاب «الاقتصار» في الفقه، مطبوع.
 ١٢. كتاب «الأخبار» في الفقه أيضاً.
 ١٣. ابتداء الدعوة للعبّيين، مطبوع في جزء.
- وقال عنه ابن زولاق في كتاب «أخبار قضاة مصر»: إنه كان عالماً بوجوه الفقه، وعلم اختلاف الفقهاء، واللغة والشعر، والمعرفة بأيام الناس. إلى أن قال: وله ردود على المخالفين: له رد على أبي حنيفة، وعلى مالك، والشافعي، وعلى ابن سريج، وكتاب «اختلاف الفقهاء» ينتصر فيه لأهل البيت، وله العقيدة الفقهية لقبها بـ «المنتخبة». (٢)

النعمان إسماعيلي لا اثني عشري

- وقعت الشكوك حول مذهب النعمان وهل هو إسماعيليّ أو اثنا عشري؟ وبعد التتبع والإمعان في الكتب التي تحت متناول أيدينا من آثار المؤلف، وهي:
١. الدعائم.
 ٢. تأويل الدعائم.
 ٣. الأرجوزة المختارة.
 ٤. أساس التأويل.
 ٥. كتاب الاقتصار في الفقه.

١. أعيان الشيعة: ١٠/٢٢٣.

٢. ابن خلكان: وفيات الأعيان: ٥/١٦٦. ومن أراد المزيد فليراجع المصادر التالية: معالم العلماء: ١٢٦؛ العبر: ٢/١١٧؛ دول الإسلام: ١/٢٢٤؛ سير اعلام النبلاء: ١٦/١٥٠؛ اتعاظ الحنفاء: ١٤٩؛ لسان الميزان: ٦/١٦٧؛ شذرات الذهب: ٣/٤٧؛ رياض العلماء: ٤/٣٧٥؛ رحانة الأدب: ٧/٧٣؛ روضات الجنات: ٨/١٤٧.

٦. رسالة افتتاح الدعوة.

٧. الرسالة المذهبية.

اتضح أنّ الرجل إسماعيلي لا اثنا عشري، وإن كان محباً لأهل البيت كثيراً، ويتنزّه عن بعض العقائد المنحرفة عند الإسماعيلية. وقد ذكر في باب «ذكر منازل الأئمة» شيئاً عن أحوال الغلاة كما وذكر معاملة علي معهم بالإحراق، إلى أن يقول: وكان في أعصار الأئمة من ولد علي مثل ذلك ما يطول الخبر بذكرهم، كالمغيرة بن سعيد (لعنه الله) وكان من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي ودعاه.

إلى أن قال: ولعن أبو جعفر، المغيرة وأصحابه، ثم ذكر «أبا الخطاب» وعقيدتهم الإباحية، وأنّ أبا جعفر لعنه كل ذلك يدل على سلامة عقيدته في حقّ الأئمة^(١).

ومع ذلك كلّهُ فهو فقيه إسماعيلي اعتنق ذلك المذهب بعدما كان سنياً، ولم يكن إمامياً اثني عشرياً.

نعم ذكر المحدث النوري، أنّ الرجل كان إمامياً اثني عشرياً، وأنّ اقتصاره على الحديث عن الأئمة الست، لأجل ستر الأمر وكتمان السر، واستشهد على ذلك بوجوه غير مجدّية نشير إلى بعضها:

الأوّل: قال ابن خلكان: كان من أهل العلم والفقه والدين والنبل، على ما لا مزيد عليه، وله عدّة تصانيف - إلى أن قال -: وكان مالكي المذهب ثمّ انتقل إلى مذهب الإمامية وصنف كتاب «ابتداء الدعوة للعبيدين»^(٢).

أقول: إنّ المراد من الإمامية من يعتقد بإمامة علي وأولاده، سواء كان زيدياً أو إسماعيلياً أو اثني عشرياً، والإسماعيلية يصفون أنفسهم بالإمامية لقولهم بإمامة

١. لاحظ دعائم الإسلام: ١/ ٤٥، باب ذكر منازل الأئمة.

٢. وفيات الأعيان: ٥/ ٤١٥ برقم ٧٦٦.

المنصوص عليهم؛ والذي يدل على ذلك أنّ ابن خلكان يذكر بعد قوله: «ثمّ انتقل إلى مذهب الإماميّة» وصنف كتاب «ابتداء الدعوة للعبيديين» والمراد منه الدعوة «لعبيدالله المهدي» مؤسس الدولة الفاطميّة في المغرب ومصر.

وأما ما نقله ابن خلكان عن ابن زولاق، أنّه قال: وللقاضي كتاب: «اختلاف الفقهاء» ينتصر فيه لأهل البيت فليس دليلاً على ما يتبناه لأنّ الفرق الثلاث كلّهم ينتمون إلى أهل البيت ﷺ.

الثاني:

١. روايته عن أبي جعفر الثاني «الإمام الجواد» ﷺ، والرضا ﷺ ففي كتاب الوصايا عن ابن أبي عمير أنّه قال: كنت جالساً على باب أبي جعفر ﷺ إذ أقبلت امرأة، فقالت: استأذن لي على أبي جعفر ﷺ، فقيل لها: وما تريدين منه؟ قالت: أردت أن أسأله عن مسألة، قيل لها: هذا الحكم، فقيه أهل العراق فأسأله.

قالت: إنّ زوجي هلك وترك ألف درهم، وكان لي عليه من صداق خمسمائة درهم، فأخذت صدقي، وأخذت ميراثي، ثمّ جاء رجل فقال لي: عليه ألف درهم وكنت أعرف له ذلك، فشهدت بها.

فقال الحكم: اصبري حتى أتدبر في مسألتك وأحسبها وجعل يحسب، فخرج إليه أبو جعفر ﷺ وهو على ذلك، فقال: ما هذا الذي تحرك أصابعك يا حكم؟ فأخبره فما أتم الكلام حتى قال أبو جعفر ﷺ: أقرت له بثلثي ما بيديها، ولا ميراث له حتى تقضي.

ثمّ ذكر المحدث النوري: أنّ المراد من أبي جعفر هو الإمام الجواد، لأنّ ابن أبي عمير لم يدرك الصادق فضلاً عن الباقر ﷺ. (١)

أقول: إن النسخة الموجودة عند المحدث النوري كانت مغلوطة محرّفة، وقد جاءت الرواية في كتاب دعائم الإسلام في مصر بتحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، بالنحو التالي: عن الحكم بن عيينة^(١)، قال: كنت جالساً على باب أبي جعفر وذكر الحديث^(٢).

والشاهد على أنّ الجالس كان هو الحكم بن عتيبة لا ابن أبي عمير ما في متن الرواية حيث قيل لها: هذا الحكم فقيه أهل العراق.

٢. أنه روى في كتاب الميراث عن حذيفة بن منصور قال: مات أخ لي وترك ابنته فأمرت إسماعيل بن جابر أن يسأل أبا الحسن عليّاً - صلوات الله عليه - عن ذلك فسأله فقال: المال كلّه للابنة^(٣). وقد تصفحنا كتاب الفرائض من الدعائم المطبوع بمصر فلم نعثر على الحديث^(٤).

٣. روى في كتاب الوقوف عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنّ بعض أصحابه كتب إليه أنّ فلاناً ابتاع ضيعة وجعل لك في الوقف الخمس الخ. وهذا الخبر مروى في الكافي و التهذيب والفقهاء مسنداً عن علي بن مهزيار قال: كتبت إلى أبي جعفر الخ، وعلي بن مهزيار من أصحاب الجواد والرضا عليهما السلام لم يدرك قبلهما من الأئمة أحداً^(٥).

ما نقله عن علي بن مهزيار، و رواه الكليني في كتاب الوصايا^(٦)، ورواه

١. الصحيح، الحكم بن عتيبة، (٤٧ - ١١٥ هـ) وهو من مشاهير فقهاء عصر أبي جعفر الباقر عليه السلام.

راجع رجال الكشي: ١٧٧، ورجال الطوسي: ٨٦ برقم ٦.

٢. دعائم الإسلام: ٢/ ٣٦٠ برقم ١٣٠٩.

٣. المستدرک: ٣/ ٣١٤.

٤. لاحظ الدعائم: ٢/ ٣٦٥ - ٤٠٠.

٥. المستدرک: ٣/ ٣١٤.

٦. الكافي: ٧/ ٣٦ برقم ٣٠.

الشيخ في التهذيب^(١) ورواه الصدوق في الفقيه^(٢).

هذا في كتبنا وأما الدعائم، فقد رواه في كتاب الصدقة، بالنحو التالي:

عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام، أنه قال: تصدَّق الحسين بن علي بدار، فقال له الحسن بن علي: تحوَّل عنها.

وعنه أن بعض أصحابه كتب إليه: أن فلاناً إبتاع ضيعة فأوقفها، وجعل لك في الوقف الخمس ...^(٣)

غير أن المتبادر من أبي جعفر بقريئة مضمون الحديث حيث يحكي فعل الحسن بن علي هو الإمام الباقر عليه السلام، وهو في كتابه يكرر النقل عن أبي جعفر ويذكر اسمه بعده، ويقول: محمد بن علي، ومراده الإمام الباقر عليه السلام.

وعلى ذلك فالضمير في الحديث الثاني يرجع إلى الإمام الباقر.

نعم بقي هنا شيء وهو تقارب ما روي في الدعائم مع ما روي في جوامعنا في مضمون الخبر، وهو قابل للتأمل.

٤. ذكر في الدعاء بعد الصلاة: وروينا عن الأئمة، أنهم أمروا بالتقرب بعد كل صلاة فريضة، إذا سلّم المصلي بسط يديه ورفع باطنهما، ثم قال: اللهم إني أتقرب إليك بمحمد رسولك ونبيك، وبوصيته علي وليك، وبالأئمة من ولده الطاهرين، الحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد ويُسَمَّى الأئمة إماماً إماماً إلى أن ينتهي لإمام عصره.

ثم يقول: اللهم إني أتقرب إليك بهم.^(٤)

١. التهذيب: ١٣٠/٩ برقم ٤.

٢. الفقيه: ١٧٨/٤ برقم ٦٢٨.

٣. دعائم الإسلام: ٢/٣٤٤.

٤. دعائم الإسلام: ١/١٧١.

قال النوري: غير خفي على المنصف أنه لو كان إسماعيلياً، لذكر بعده إسماعيل بن جعفر بن محمد بن إسماعيل إلى إمام عصره المنصور بالله والمهدي بالله. (١)

أقول: إنه لم يذكر أسماءهم إمّا لكثرتهم، أو لإخفاء سرهم كما ذكره في منظومته، فيقول:

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| ولم يكن ينعني من ذكرهم | إلا احتفاظي بمصون سرهم |
| وليس لي بأن أقول جهراً | ما كان قد أدّي إليّ سراً |
| وهم على الجملة كانوا استروا | ولم يكونوا إذ تولوا ظهورا |
| بل دخلوا في جملة السواد | لخوفهم من سطوة الأعداي |
| حتى إذا انتهى الكتاب أجله | وصار أمر الله فيمن جعله |
| بمنه مفتاح قفل الدين | أيده بالنصر والتمكين |
| فقام عبد الله وهو الصادق | مهدينا صلى عليه الخالق (٢) |

إلى آخر ما ذكره، ومراده من المهدي، هو عبيد الله المهدي.

إلى هنا تبين أنه لا دليل على كون الرجل اثني عشرياً إلى آخر عمره، أو كان اثني عشرياً، وعدل عنها إلى الإسماعيلية.

نعم بقي هنا شيء وهو أنه ذكر في كتاب «الارجوزة المختارة» فرق الشيعة، وردّ على الروندية، والزيدية، والجارودية، والبرية، والمغربية، والكيسانية، والكربية، والبيانية، والمختارية والحارثية، والعباسية، والرزامية، ولم يذكر شيئاً ما عن الإمامية الاثني عشرية.

١. المستدرك: ٣/٣١٧.

٢. الارجوزة المختارة: ١٩٢.

ويقول:

وهذه أصول قول الشيعة ولو حكيت معها فروعه
لاتسع القول بغير فائدة و كانت الحجة فيه واحدة^(١)

وهذا من العجب، مع أن الاثني عشرية، من أشهر الفرق، وهذا يدفعنا إلى القول، بأنه كان يميل إليها بعض الميل، والله العالم.

نظرة في كتاب الدعائم

نرى في كتاب الدعائم أن قاضي القضاة حفظ السنة المروية عن طريق أئمة أهل البيت، وأنه أكثر الرواية عن الصادقين عليهم السلام، غير أنه لم تكن له صلة بعلماء المذهب الاثني عشري، ولذلك خالفهم في نفس كتاب الإرث في موارد عديدة:

١. مما روي عن علي أنه قضى في رجل هلك، ولم يخلف وارثاً غير امرأته، فقضى لها بالميراث كله. وفي امرأة هلكت ولم تدع وارثاً غير زوج لها، فقضى له بالميراث كله.

فزعم أنه يخالف ظاهر نص الكتاب، وثابت السنة.^(٢)

٢. ما روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله، أنهما قالوا: لا يرث النساء من الأرض شيئاً، وإنما تعطى المرأة قيمة النقص.

قال: فهذا أيضاً لو حمل على ظاهره وعلى العموم، لكان يخالف كتاب الله

١. الارجوزة المختارة: ٢٣٦.

٢. دعائم الإسلام: ٢/٣٩٣.

جلّ ذكره، والسنة وإجماع الأئمة والأمة. (١)

وما روي عن أئمة أهل البيت، في عدم إرث النساء من الأرض، مُخصّص للقرآن والسنة، وليس مخالفاً؛ والمخالف هو المتباين.

كما أنّ الردّ مازاد على الثمن والرّبع، في الفرع الأوّل إلى الزوج والزوجة، لا يُعدّ مخالفاً للكتاب، لأنّ الكتاب ساكت عن حكم مازاد على الفريضة.

نعم نسب إليه المحدث النوري، أنّه ممّن يُجرّم المتعة ولكنّ الوارد في النسخة المطبوعة خلافه، قال القاضي: عن جعفر بن محمد، أنّه قال: إذا تزوّج الرجل المرأة بصدّاق إلى أجل، فالنكاح جائز، ولكن لا بدّ أن يعطيها شيئاً قبل أن يدخل بها، فيحلّ له نكاحها، ولو أن يعطيها ثوباً أو شيئاً يسيراً، فإن لم يجد شيئاً، فلا شيء عليه، وله أن يدخل بها، ويبقى الصداق ديناً عليه. (٢)

و في خاتمة المطاف: من طالع كتبه التي أوّمانا إليها، يقف على أنّ الرجل فقيه إسماعيليّ، يدافع عن المذهب، وخلافة الخلفاء الفاطميين بحماس، خصوصاً في كتابه «افتتاح الدعوة في ظهور الدعوة العبيدية الفاطمية».

٥

أحمد بن حميد الدّين بن عبد الله الكرمانى

(٣٥٢- كان حيّاً سنة ٤١١هـ)

حميد الدّين ، أحمد بن عبد الله الكرمانى الداعى في عهد الحاكم بالله (٣٧٥- ٤١١هـ) والملقب بحجّة العراقين، وكبير دعاة الإسماعيليّة في جزيرة العراق،

١. دعائم الإسلام: ٣٩٦/٢.

٢. دعائم الإسلام: ٢/٢٢٥ برقم ٨٤٤.

وصاحب التآليف العديدة في المذهب الإسماعيلي وإثبات الإمامة للفاطميين، والردّ على مخالفهم.

«ظهر أثره وعظم شأنه في عهد الخليفة الفاطمي «الحاكم بأمر الله» وكان لقبه المشهور «حجة العراقين» أي أنه كان مسؤولاً عن شؤون الدعوة الثقافية في فارس والعراق، وفي القاهرة كان مركزه كمقام (حجة جزيرة) فهو أحد الحجج الاثني عشر، المكلفين بإدارة شؤون الدعوة الإسماعيلية في العالم، ثم استخدم بعد ذلك كرئيس لدار الحكمة في القاهرة، وهي المؤسسة الثقافية التي نستطيع أن نقول عنها: إنها أول جامعة انشئت في العالم.

وفد على القاهرة سنة ٤٠٨ هـ بناءً على طلب المأمون افتكين الضيف داعي دعاة الدولة الفاطمية في عهد الحاكم بأمر الله، عندما حمي وطيس المعارك الدينية، وقامت الدعوات الجديدة وراج سوق البدع التي كانت تهدف إلى الغلو والانحراف عن واقع وأسس الدعوة.

ألف كثيراً من الكتب أشهرها: «الرسالة الواعظة» في الردّ على الحسن الفرغاني، القائل بالوهمية الحاكم بأمر الله، و«البشارات» و«المصاييح» و«الرسالة المضئنة» و«المصاييح في إثبات الإمامة» و«تنبيه الهادي والمستهدي» و«راحة العقل» و«الرسالة الدرّية» و«رسالة التوحيد في المعاد» و«الأقوال الذهبية» و«تاج العقول» و«ميزان العقل» و«رسالة المعاد». ^(١) وكتاب «الرياض في الحكم بين (الصادين) صاحبي الإصلاح والنصرة» مطبوع، إلى غيرها من المؤلفات.

وقد ظلت سنة وفاته مجهولة بالرغم من وصول أكثر مؤلفاته وآثاره إلينا. يقول الكرمانى عن نفسه في مقدمة كتابه «راحة العقل»: ومؤلفه حميد الدين، أحمد بن عبد الله الداعي في جزيرة العراق وما وليها، من جهة الإمام

الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، المنصوص عليه من جهة القائمين مقام الرسول ﷺ على ما بيناه في كتبنا المعروفة بكتاب «المصاييح في الإمامة» و«مباسم البشارات» و«الرسالة الكافية» وكتاب «تنبيه الهادي والمستهدي». ألفه في سنة إحدى عشرة وأربعمائة (٤١١) في ديار العراق. (١)

وهذا النص يدل على أنه كان حياً في تلك السنة.

فما ذكره ايفانوف، من أنه توفي بعد سنة ٤٠٨ بقليل ليس تاماً.

وكتابه «راحة العقل»، من أشهر مؤلفاته، وقد حاول فيه أن يوفق بين الفلسفة اليونانية وما دانت به الإسماعيلية. وقد ذكرنا شيئاً من خصوصيات كتابه عند البحث عن عقائد الإسماعيلية.

يقول محقق الكتاب: يُعد الكرمانى بحق شيخ فلاسفة الإسماعيلية فنحن نعلم أن الدعوة قبله كانوا مختلفين أشدَّ الاختلاف في مسائل كثيرة، فالداعي النخشي وضع كتابه «المحصول» في فلسفة المذهب، وجاء بعده أبو حاتم الرازي فوضع كتاب «الإصلاح» وخالف فيه أقوال من سبقه، ثم جاء أبو يعقوب السجستاني أستاذ الكرمانى فانتصر للنخشي، وخالف أبا حاتم، ثم جاء الكرمانى الذي استطاع أن يوفق بين آراء شيخه، وبين آراء أبي حاتم، ولا نكاد نجد خلافاً يُذكر بين علماء الدعوة الإسماعيلية في فلسفة المذهب، بعد أقوال الكرمانى، وإن كنا نجد خلافاً شديداً بينهم في المسائل التأويلية، لأنَّ التأويل شخصي يختلف باختلاف الداعي، وكل كتب الدعوة بعد الكرمانى تتفق مع ما ورد في كتاب «راحة العقل». (٢)

وقد ترجمه مصطفى غالب في كتابه «تاريخ الدعوة الإسماعيلية» ضمن ترجمة سيرة الحاكم بالله، وأنهى كتبه إلى ٣٣ كتاباً، وذكر منها كتاب «الإصابة في

١. راحة العقل: ٢٠، مقدمة التحقيق للدكتور كامل حسين، ومحمد مصطفى حلمي.

٢. المصدر السابق: ١٧.

تفضيل علي على الصحابة».^(١)

كما وترجمه خير الدين الزركلي، ولم يأت بشيء جديد.^(٢)

٦

المؤيد في الدين

(حدود ٣٩٠-٤٧٠هـ)

هبة الله بن موسى بن داود الشيرازي، المؤيد في الدين، داعي الدعوة من زعماء الإسماعيلية. ولد بشيراز سنة ٣٩٠هـ ونشأ وتعلم فيها، وكان له ولأبيه دور هام في بث الدعوة الفاطمية.

وغادر مدينته خوفاً من السلطان أبي كاليجار فخرج متنكراً إلى الأهواز سنة (٣٢٩هـ) ثم توجه إلى حلّة منصور بن الحسين الأسدي. وتوجه إلى مصر، فخدم المستنصر الفاطمي، في ديوان الإنشاء وتقدم إلى أن صار إليه أمر الدعوة الفاطمية (سنة ٤٥٠هـ) ولقب بداعي الدعوة، وباب الأبواب. ثم نُحّي وأُبعد إلى الشام، وعاد إلى مصر فتوفي بها، عن نحو ثمانين عاماً، وصلى عليه المستنصر.

وقيل: إنه استطاع أن يدخل الملك أبي كاليجار في المذهب الإسماعيلي، كما أدخل غيره من الوزراء والأمرء، وكان يفحهم ويقنعهم بغزارة علمه، وشدة معرفته، في أصول العقائد الإسماعيلية، وخاصة نبوغه في علم التأويل الذي تركز عليه العقائد الفلسفية الإسماعيلية.

عظم أمر المؤيد، في تلك البلاد فسارت سيرته في الآفاق، ولقد استدعي إلى بيت الدعوة في مصر، نحو عام ٤٣٨، ليلقي بعض المجالس التأويلية،

١. تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٤١-٢٤٣.

٢. خير الدين الزركلي: الأعلام: ١/١٥٦.

وليتدرب التدريب النهائي على يدي الإمام، فوصل القاهرة ودخل القصر معززاً
مكرماً. (١)

وله تصانيف عديدة منها:

١. المرشد إلى أدب الإسماعيلية.
 ٢. المجالس المؤيدية.
 ٣. السيرة المؤيدية.
 ٤. ديوان المؤيد في الدين.
 ٥. أساس التأويل، كتبه بالفارسية ترجمه عن العربية، وأصل الكتاب
للقاضي النعمان. (٢)
 ٦. شرح العماد.
 ٧. جامع الحقائق في تحريم اللحوم والألبان.
 ٨. القصيدة الاسكندرية.
 ٩. تأويل الأرواح.
 ١٠. نهج العبادة.
- وله قصيدة يذكر فيها حديث غدير خم نقتطف منها هذه الأبيات:

| | |
|--|---|
| <p>تبعاً للذي أقام الرسول يوم «خم» لما أتى جبريل فبعليه ينطق التنزيل وفيه التحريم والتحليل مستقيم لنا وظل ظليل</p> | <p>لو أرادوا حقيقة الدين كانوا وأتت فيه آية النص بلغ ذاكم المرتضى عليّ بحق أهل بيت عليهم نزل الذكر هم أمان من العمى وصراف</p> |
|--|---|

١. تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٥٠.

٢. خير الدين الزركلي: الأعلام: ٧٥ / ٨.

كما وتوجد ترجمة له بقلمه، في كتاب أفرده في سيرته بين سنة ٤٢٩ وسنة ٤٥٠، وهو المصدر الوحيد للباحثين عن ترجمته، طبع بمصر في ١٨٤ صفحة . ولالأستاذ محمد كامل حسين المصري، بكلية الآداب، دراسة ضافية حول حياة المترجم، بحث عنها من شتى النواحي في ١٨٦ صفحة، وجعلها مقدمة لديوانه المطبوع بمصر، ففي الكتابين غنى، وكفاية عن التبسط في ترجمة المؤيد. ^(١)

٧

ناصر خسرو (الرحالة المعروف)

(٣٩٤-٤٨١هـ)

ناصر بن خسرو، من أحفاد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، ولد في ذي القعدة عام ٣٩٤هـ في قسبة (قباديان) من أعمال بلخ، وتوفي عام ٤٨١هـ وهو خراساني الأصل، بلخي المنشأ. و كانت أسرته من الأُسْر الغنيّة ، وقد اهتمّ والد المترجم بتربية ابنه وتعليمه، فحفظ القرآن وهو لم يبلغ بعدُ التاسعة من العمر، ودرس اللغة العربيّة وآدابها، والعلوم الإسلاميّة، وعلوم النجوم والفلك والحساب والهندسة والجبر وتضلع في الفلسفة، إلى أن أُطلق عليه الحكيم.

وكان شاعراً فحلاً في اللغة الفارسيّة، وكان رحّالاً، ترك الإقامة في موطنه واعتزم القيام برحلات في بعض الأمصار، قاصداً فيها مكّة، يرافقه أخوه أبو سعيد خسرو العلوي، و غلام هندي، فقد شرع برحلته في شهر شعبان عام ٤٣٧هـ فترك مرو وسافر إلى إقليم آذربيجان مازاً بنيسابور، فدامغان، فسمنان، فالري، فقزوين،

ثم تبريز، وقد وصلها في عشرين صفر عام ٤٣٨ هـ وبعد أن أتم رحلته عام ٤٤٤ هـ وقد بلغ من العمر ٥٠ عاماً، وقطع في رحلته هذه التي طالت سبع سنوات، مسافة ٢٢٢٠ فرسخاً - وبعد أن ساقه القضاء إلى مصر، وتوطدت الصلة بينه وبين الخليفة الفاطمي بمصر، المستنصر بالله، أبو تميم معد بن علي، الذي حكم مصر من سنة ٤٢٧ هـ إلى سنة ٤٧٨ هـ وقد أثرت فيه دعوتهم له، فاعتنق مذهبهم على يد أحد حُجَّاب الدعوة في القاهرة، وسماه بالباب واجتاز المقامات، والدرجات الخاصّة بكبار قادة هذا المذهب، حتى بلغ درجة الحُجَّة، واعتبر أحد الحجج الاثني عشر، في إحدى الجزر الاثني عشر، حسب تقسيمات الفاطميين.

وعاد إلى بلخ، وصار بينه وبين علماء المذهب السني نقاش ومعارضة، إلى أن هرب من بلخ قبيل سنة (٤٥٣ هـ)، فلم يزل ينتقل من مدينة إلى مدينة، إلى أن انتهى به المطاف سنة (٤٥٦ هـ) إلى مدينة «غاريمان» الواقعة قرب مدينة بدخشان، وأقام فيها مختفياً إلى أن وافاه الأجل عام (٤٨١ هـ) فدفن هناك، وقبره اليوم مزار للإسماعيليين. وقد ترك آثاراً كثيرة تشير إلى بعضها:

١. «زاد المسافرين» الذي انتهى منه في سنة ٤٥٣ هـ، وهو من أضخم مؤلفاته.

٢. «وجه دين» في عقائد الإسماعيلية.

٣. «خوان اخوان».

٤. «دليل المتحيرين» الذي أراد أن يثبت فيه أحقية المذهب الفاطمي.

٥. إكسير أعظم في المنطق، أو الفلسفة.

٦. «رسالة المستوفي» في الفقه الإسماعيلي.^(١)

١. أعيان الشيعة: ٢٠٢/١٠ - ٢٠٤، من أراد المزيد فليراجع المصادر التالية؛ رياض

العلماء: ٢٣٢/٥؛ مستدركات علم رجال الحديث: ٨/٥٥؛ طبقات أعلام الشيعة: ١٩٨/٢؛

الذريعة: ٢١/١٥؛ معجم المؤلفين: ١٣/٧٠.

٨

محمد بن علي بن حسن الصوري

من علماء القرن الخامس

ولد في مدينة صور، وعاش رُحماً من الزمن في مدينة طرابلس، داعياً للفاطميين. هبط القاهرة في عهد الإمام المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧-٤٨٧هـ). صنّف قصائد كثيرة ورسائل عديدة، أشهرها «التحفة الظاهرة» و«نفحات الأئمة» وقد رجّح عارف تامر، أنّه مات في حصون الدعوة الإسماعيلية الصوريّة بجبال «الساق» بعد تعيينه داعية للمذهب الإسماعيلي فيها من قبل الإمام «المستنصر بالله».

و من أبرز تأليفاته، القصيدة الصورية، وقد ألّفها في عصر ازدهر فيه الأدب، وبرز إلى ميدان العلم والأدب ثلّة من العلماء، والأدباء، الذين قدّموا للمكتبة الإسلامية العديد من المؤلفات، وجادت قرائح الشعراء بالشعر العربي الفاطمي، الذي كان في ذلك العصر وسيلة من وسائل الدّعاية الدينيّة، وداعياً للتعبير عن التعاليم الفلسفيّة وتعدّد القصيدة الصورية من أقدم المصادر عن الإسماعيلية، ومن أهم الرسائل المعبّرة عن العقائد الإسماعيلية، أو بالأحرى، من الرسائل التي تُشكّل عنصراً هاماً في العقائد الباطنيّة، ومرجعاً يرجع إليه عند اختلاف وجهات النظر، ولذلك فقد تناقلتها الدعاة وحافظوا على سرّيّتها وعدم تسرّبها.

وإليك مقاطع من قصيدته يشير فيها إلى تلك العقائد الباطنيّة، منها:

١. إنّ الأسماء والصفات ليس لله سبحانه، بل للمبدأ الأوّل:

والعلم بالتوحيد أسمى العلم
فكلما يجري على اللسان
وسائر الأسماء والصفات
فاصغ لما قد نال منه فهمي
من سائر الأفكار والأديان
للمُبدع الأول لا للذات
٢. توحيده سبحانه:

وسائل يسأل هل هو واحد
قلنا له الواحد مبدأ للعدد
والأحد المبدع وهو الأزل
أول من قام بتوحيد الأحد
وصار للأعداد أصلاً صدرت
أم أحد حتى يصح الشاهد
والأحد المبدي له الفرد الصمد
والواحد المبدع وهو الأول
ودلّ بالعلم عليه من جحد
عنه ومنه انبجست إذ ظهرت^(١)

٩

إبراهيم بن الحسين الحامدي

(....-٥٥٧هـ)

إبراهيم بن الحسين الهمداني الحامدي: من دعاة الإسماعيلية وعلماءهم في اليمن، عاصر الدولة الصليحية فحينما قرّرت السيدة الحرة أروى - من أميرات الدولة الصليحية - أن تُفصل الدعوة عن الدولة فصلاً تاماً، عقدت مؤتمراً لكبار السلاطين والدعاة لانتخاب من يتولّى رئاسة الدعوة، فوقع الاختيار على الداعي الذؤيب بن موسى الوداعي الهمداني (٥٢٠ - ٥٣٦هـ)^(٢) ليتولّى هذه المهمة.

١. القصيدة الصورية: ١٧، قسم المقدمة.

٢. كذا في المصدر، ولعلّ في التاريخ تصحيف.

وبعد أفول نجم الدولة الصليحية بوفاة السيِّدة الحرّة. أصبحت الدّعوة منظّمة دينيّة بحثة يرأسها الداعي ذؤيب بن موسى، ومن الطبيعي حسب ترتيبات الدّعوة الإسماعيليّة أن يختار من بين الدعاة داعياً مأذوناً له يساعده في أعماله، فاختار إبراهيم بن الحسين بن أبي السعود الحامدي الهمداني، وهو من كبار الدعاة العلماء الذين أوجدتهم مدارس الدّعوة الإسماعيليّة المستعلية الطيبية في اليمن.

ولما توفي الذؤيب خلفه مأذونه إبراهيم داعياً مطلقاً للإمام المستور، الطيّب ابن الأمر في اليمن وما جاورها من البلاد والهند والسند وذلك سنة ٥٣٦هـ. وجعل الشيخ علي بن الحسين بن جعفر الانف القرشي العبشمي، مأذوناً له، فكان له معاضداً على أمره، قائماً بنشر الدّعوة في سرّه وجهره، ولم يعمّر علي بن الحسين طويلاً فقد وافته المنية في سنة ٥٥٤هـ فاستعان الحامدي بابنه حاتم، حيث اتخذ مأذوناً له، ونقل مقرّه إلى صنعاء، ثمّ أعلن عدم تدخله في سياسة الدولة، وواظب على دراسة العلوم، ونقل التراث العلمي الإسماعيلي، وجمعه وتدرّسه للدعاة التابعين لمدرسته، ووزع الدعاة في بلاد اليمن والهند والسند، وفيه يقول الشاعر الحارثي:

أبا حسن أنقذت بالعلم انفسا وأمّنتها من طارق الحدثان
فجوزيت بالحسنى وكوفيت بالمنى ودمت سعيداً في أعزّ مكان
عمرت بصنعا دعوة طيبية جعلت لها أسأاً وشُدت مباني

من كتبه: «كنز الولد» و«الابتداء والانتهاء» و«كتاب تسع وتسعين مسألة في الحقائق» و«الرسائل الشريفة في المعاني اللطيفة».

وفي عهد هذا الداعي الأجل تعرضت الدّعوة المستعلية الطيبية إلى هزات عنيفة قاسية، لأنّ ملوك آل زريع في عدن مالوا إلى الدعوة المستعلية المجيدية،

التي أخذت تنتشر بقوة في أنحاء اليمن حتى أصبح لها دعاء شيطون في قلب تنظييات الدعوة الطيبية، وفي معاقلها، كحراز، ونجران، واليمن الأسفل، وكذلك أعلن ملوك همدان الياميون في صنعاء، وبلاد همدان، عن تنصلهم من جميع الدّعوات والمذاهب.

ومع كل هذا فقد ظلّ الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي، على إخلاصه للدعوة الطيبية، مواصلاً نشاطه حتى توفاه الله في صنعاء، في شهر شعبان سنة ٥٥٧ هجرية.^(١)

وقد طبع للمترجم له كتاب «كنز الولد» بتحقيق مصطفى غالب عام ١٣٩١ هـ نشرته جمعية المستشرقين الألمانية، والكتاب يتألف من أربعة عشر باباً، وقد استهل المقدمة على عادة كتاب العصر، بالاستعانة والتوكل، والشهادة، والسلام، ثم يذكر موضوع الكتاب والأسباب الداعية لتأليفه.

قال: واعلم هداك الله لأوضح المسالك ونجاك عن المهالك، أنّ لكلّ رابع من الاتماء قوة وتأيداً، واستطالة وتشديداً. ولكلّ سابع، أعظم وأعلى وأقوم، يقوم مقام النطق، ونحن في دور سابع الأشهاد، المتوجّه نحوه ملاحم آبائه وأجداده، والاشارات والرموز في أسانيدهم. والبشارات الموصوفة بالبركات والنعم والخيرات بظهور العلوم والمعجزات، وإشراق النور، ونبوع الأنهار، وأزهار الأشجار، بالخضرة والنور، حتى تتصل أنواره بنور القائم عليه السلام على أتمّ تمام وأحسن نظام.^(٢)

ويظهر منه أنّ الإمام السابع يقوم مقام النطق، أي يكون مع كونه إماماً، رسولاً ناطقاً فعليه يكون محمد بن إسماعيل مع كونه إماماً سابعاً، رسولاً ناطقاً، بادئاً للدور السابع، وأما عدّ نفسه بأنه في دور سابع الأشهاد، مع أنّه كان في

١. مصطفى غالب: كنز الولد: ٣١-٣٣، قسم المقدمة؛ الزركلي: الأعلام: ٣٦/١.

٢. الحامدي: كنز الولد: ٥.

الدور الثامن، لأنّ الدّور السابع ليس لمدّته أمد محدود، كما صرّح به في كتاب «الإمامة في الإسلام»^(١).

وأما فهرس أبواب كتابه هذا، فهي:

الباب الأوّل : في القول على التوحيد، من غير تشبيه ولا تعطيل.

الباب الثاني: في القول على الإبداع الذي هو المبدع الأوّل.

الباب الثالث: في القول على المنبعثين عن المبدع الأوّل معاً، وتباينهما.

الباب الرابع: في القول على المنبعث الأوّل القائم بالفعل. وما ذلك الفعل؟

الباب الخامس: في القول على المنبعث الثاني القائم بالقوّة. وما سبب ذلك؟

الباب السادس: في القول على الهيولى والصورة وما هما في ذاتهما، وسبب تكتفهما

وامتزاجهما؟

الباب السابع: في القول على ظهور المواليد الثلاثة: المعدن، والنبات، و الحيوان.

الباب الثامن: في القول على ظهور الشخص البشري أولاً، وفي كلّ ظهور بعد

وفاء الكور.

الباب التاسع: في القول على ظهور الشخص الفاضل من تحت خط الاعتدال.

الباب العاشر: في القول على الارتقاء والصعود إلى دار المعاد إن شاء الله تعالى.

الباب الحادي عشر: في القول على معرفة الحدود العلوية والسفلية.

الباب الثاني عشر: في القول على الثواب والارتقاء في الدرج إلى الجنّة الدانية

والعالية، إن شاء الله.

الباب الثالث عشر: في القول على اتصال المستفيد بالمفيد وارتقائه إليه واتّصاله به.

الباب الرابع عشر: في القول على العذاب بحقيقته وكيفيته نعوذ بالله منه.

١٠

علي بن محمد الوليد

(٥٢٢-٦١٢هـ)

«علي بن محمد الوليد الأنف العبشي القرشي» الداعي المطلق الخامس للإسماعيلية المستعلية في اليمن، المولود سنة ٥٢٢ هـ والمتوفى سنة ٦١٢ هـ والمنحدر من أسرة عربية عريقة، كان لها شأن في مجالات الأدب والفلسفة، وقد لعب دوراً أدبياً فلسفياً هاماً، في القرن السادس الهجري، وبالرغم من المصادر القليلة عن تاريخ حياته، إلا أنه يمكننا القول بأنه ينحدر من أسرة معروفة بإخلاصها للأئمة الفاطميين. يدلنا على ذلك والده الذي كان يلقب (بالأنف) تيمناً بأبرز عضو في وجه الإنسان.

و لقد كان الداعي يتمتع بسمعة طيبة وعلم وافر فقد تحسنت أمور الاتباع وأقبلوا عليه من كل حدب وصوب لسماع محاضراته والتزود من علومه والدراسة عليه وأيده السلاطين والأمراء من همدان و جعل مقره مدينة صنعاء حيث اعتكف على الدراسة والتصنيف وكتابة الكتب والرسائل والمقالات التي يدافع فيها عن الدعوة ويشرح عقائدها ومعارفها الفكرية

وكان علي بن الوليد أيضاً من الشعراء البارزين، ففي ديوانه القوافي العذبة والتأملات، التي تدل على عراقته بفن الشعر:

| | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| بنافع في غد أو دافع ضرراً | ما العمر إن طال للإنسان أو قصراً |
| يكن بها قاضياً في دينه وطراً | ولا حياة الفتى تُغني إذا هو لم |
| فبالحقيقة في الدارين قد خسراً | فإن يمت جاهلاً ماذا أريد به |

أما مؤلفاته فنشير إلى بعض منها:

١. «تاج العقائد ومعدن الفوائد». يتضمن مائة مسألة في معتقدات مذهب الإسماعيلية.

٢. «دافع الباطل وحتف المناضل» ألفه ردّاً على كتاب «المستظهري». وهو أول كتاب ردّ للغزالي على الباطنية.

٣. «مختصر الأصول» ويشمل شرح المقالات وكيفية انقسامها والردّ على الفلاسفة وبعض الفرق.

٤. رسالة «نظام الوجود في ترتيب الحدود».

٥. رسالة «الإيضاح والتبيين في كيفية تسلسل ولادتي الجسم والدين».

٦. رسالة «تحفة المرتاد وغصّة الأضداد» في الرد على الفرقة المجيدية وإثبات إمامة الطيب بن الأمر وذكر تسلسل الإمامة.

٧. «لبّ الفوائد وصفو العقائد» في المبدأ والمعاد. (١)

٨. ديوان شعر وفيه أشعاره في الردّ على المخالفين وفي مدائح الأئمة.

و كان وفاة هذا الداعي يوم الأحد السابع والعشرين من شهر شعبان سنة ٦١٢ هـ عن عمر ناهز التسعين عاماً ودامت أيام دعوته ست سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام.

وقد أخذنا شيئاً من عقائدهم من كتاب «تاج العقائد» الذي يُعدّ أوضح كتاب وضع في بيان عقائد تلك الطائفة، والكتاب واضح العبارة جداً، بعيد عن الانحراف والاعتساف، إلّا ما ندر، وهو يدل على أنّ طائفة الإسماعيلية القاطنة في اليمن كانوا بمعزل عن كثير من الزلّات المشاهدة عند غيرهم.

١. تاج العقائد ومعدن الفوائد: ٧-٩، المقدمة، تحقيق عارف تامر.

الفصل الرابع عشر

في

التنظيمات السريّة الإسماعيلية

التنظيمات السرية الإسماعيلية

إنّ طابع الأقلية يستدعي امتلاك تنظيمات سرية يسودها التكاتف والتعاون لتصمد أمام العواصف التي تهددهم من جانب الأكثرية، ولولا ذلك لتفككت وانفصمت عرى حياتهم ولانصهر كيانهم المستقل.

ظهرت الإسماعيلية على مسرح الحياة في زمان سادته روح العداء لأهل البيت عليه السلام وأتباعهم، وكانت الشيعة قذى في عيون الخلافة العباسية، لما يسودها من روح العصيان على السلطة والخروج عليها.

هذا وما شابهه صار سبباً لدخول أئمتهم في كهف الاستتار والتقية وإحداث تنظيمات سرية في مختلف الأدوار لتكون حصناً لهم ولأتباعهم، وقد ذكر التاريخ شيئاً كثيراً من تنظيماتهم ومخططاتهم المبتكرة والتي قلما يشهد التاريخ لها من مثل.

وهذا الكاتب الإسماعيلي مصطفى غالب يشرح لنا الصورة الدقيقة عن التنظيمات السرية في أدوار الستر وفي عهد الدولة الإسماعيلية في مصر والمغرب حيث يقول:

إذا أردنا أن نقارن تلك التنظيمات مع أحدث التنظيمات والتخطيطات الدعاوية العصرية المعروفة اليوم، لتبين لنا أنّ الإسماعيليين كان لهم القدر المعلن في هذا المضمار، من حيث ابتكار الأساليب المبنية على أسس مكينة مستوحاة من عقائدهم الصميمة، وتظهر عبقريتهم بوضوح من جهة البراعة في تنظيم أجهزتهم الدعاوية - في قلة الوسائل في تلك الأيام - مما جعلهم يستطيعون الإشراف بسرعة فائقة على تنسم أخبار أتباعهم في الأبعاد المتناهية، وذلك بما ابتكروا من أساليب

وأحدثوا من وسائل، وقد كان للحمام الزاجل الذي برع في استخدامه الدعاة، أثره الفعال في نقل الأخبار والمراسلات السرية الهامة.

ولقد كان الإمام الإسماعيلي الذي يعتبر رئيس الدعوة قد وفق بين جهاز الدعاية الذي نظّمه خير تنظيم، وبين نظام الفلك ودورته، وجعل العالم الذي كان معروفاً في تلك الأيام مثل السنة الزمنية، فالسنة كما هو معروف مقسمة إلى اثني عشر شهراً، ولذلك يجب أن يقسم العالم إلى اثني عشر قسماً، أطلق على كل قسم اسم (جزيرة) وجعل على كل جزيرة من هذه الجزر داعياً، هو المسؤول الأول عن الدعاية فيها، ولقب بـ(داعي جزيرة) أو بـ(حجة الجزيرة). وقال: إنّ الدعوة لا يمكن استقامتها إلاّ باثني عشر داعياً يتولون إدارتها، فكان الإمام ينتخب الدعاة من ذوي المواهب الخارقة، والقدرة الفائقة في بث الدعوة والعمل على نشرها بين مختلف الطبقات وقد جعل الدعاة من (حدود الدين) إمعاناً في إسباغ الفضائل عليهم، ليتمكنوا من نشر الدعوة وتوجيه الأتباع دوننا أية معارضة أو مخالفة، لأنّ مخالفتهم ومعارضتهم تعتبر بنظر الإمام مروفاً عن الدين، وخروجاً عن طاعة الإمام نفسه، لأنهم من صلب العقيدة وحدودها.

ولما كان الشهر ثلاثون يوماً لذلك كان لكل داعي جزيرة ثلاثون داعياً نقيباً لمساعدته في نشر الدعوة، وهم قوته التي يستعين بها في مجابهة الخصوم، وهم عيونها التي بها يعرف أسرار الخاصة والعامّة، فكانوا بمثابة وزارته ومستشاريه في كلّ ما يتعلّق بجزيرته.

ولما كان اليوم أربع وعشرين ساعة، اثنتي عشر ساعة بالليل، واثنتي عشر ساعة بالنهار، وجب لكلّ داعٍ نقيب أربعة وعشرين داعياً، منهم اثني عشر داعياً ظاهراً كظهور الشمس بالنهار، واثني عشر داعياً محجوباً مستتراً استتار الشمس بالليل. وبعملية حسابية بسيطة نجد أنّ عدد الدعاة الذين بثهم الإمام الإسماعيلي في العالم كان حوالي ٨٦٤٠ داعياً في وقت واحد.

التنظيمات السرية للدعوة الإسماعيلية النزارية

ولما انتقلت الدعوة الإسماعيلية النزارية إلى فارس، أجرى الإمام النزازي بعض التعديلات، وأوجد تنظيمات تتناسب مع ظروفه وعصره وهي على قسمين:

١. القسم الخاص بالدعاية الدينية والذي ظل قريب الشبه من النظام السابق، ولو أنّ عدد الدعاة تقلص ونقص، لأنّ الإمام النزازي جعل رتبة (الشيخ) في دعوته بدلاً من رتبة (داعي الدعاة) وعيّن في كلّ منطقة من المناطق الإسماعيلية له نواباً، وألحق بهؤلاء النواب عدداً غير محدود من الدعاة الذين كانوا يدعون الناس للمذهب الإسماعيلي النزازي.

٢. أمّا القسم الثاني فهو خاص بالفدائية والجيش، وهؤلاء كانوا يتبعون مباشرة مركز الإمامة أو نائب الإمام في قطره، ويتلقون الأوامر والمهمات السرية منه مباشرة.

وكانت الفدائية على ثلاث درجات:

أولاً: الرفاق أو المقدمون: وهم قادة الجيش والفدائية وهم مهمّة الإشراف على التدريب، والسهر على تنفيذ المهمات العسكرية وغير العسكرية.
ثانياً: مرتبة الفدائيين الذين ينتقون من العناصر المخلصة المعروفة بالتضحية والإقدام والشجاعة النادرة، والجرأة الخارقة فيكلفون بالتضحيات الجسدية، وبتنفيذ أوامر الإمام أو نائبه.

ثالثاً: المستجيبون: وهم الذين يقضون دور التدريب والتعليم، وهؤلاء يدخلون مدارس الفدائية، وهم في سن مبكرة ويتلقون التدريب والتعليم في المدارس الخاصة بهم، على أيدي كبار المقدمين. ويسهر الإمام نفسه أو نائبه الشيخ على تدريبهم وتعليمهم.^(١)

١. مصطفى غالب: في مقدمة كتاب الينابيع: ٢١ - ٢٤.

الفصل الخامس عشر

في

القرامطة

لقد ذكرنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب أنّ الحركات الباطنية نشطت في أواسط القرن الثاني، وكان زعيمها هو أبو الخطاب، محمد بن مقلاص، فلما قتل انتهى أمرهم - بعد فترة - إلى الاجتماع حول محمد بن إسماعيل، ووجدوه مرتعاً خصباً لنشر أفكارهم. فارتكزت الدّعوة الإسماعيلية على تلك الأفكار في بادئ الأمر. وكان من نتيجة ذلك التحرك أن:

١. اتخذ الأئمة المستورون سوريا، وأخصّ بالذكر «السلمية» وما حولها مركزاً للدّعوة، ومنها انتشرت إلى سائر الأمصار.

٢. انتشرت الدّعوة في اليمن بزعامة ابن حوشب «منصور اليمن».

٣. أرسل ابن حوشب، أبا عبد الله الشيعي إلى إفريقية حيث آلت الأحداث بعدها إلى تأسيس الخلافة الفاطمية.

٤. ظهور حركة القرامطة، وهذا ما سنبحثه في هذا الفصل.

إنّ من الإسماعيلية فرقة باسم المباركية قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل، بدل إسماعيل، وقد تشعبت منهم فرقة باسم القرامطة، كان لهم دورٌ مهم على الساحة السياسية والعقائدية أيام عبيد الله المهدي، حسب ما يذكره التاريخ وما يزال الغموض يكتنف عقائدهم، وتاريخهم والجرائم التي قاموا بها، في أواخر القرن الثالث. ومن أجل تسليط الضوء على جانب من جوانب عقائدهم نستعرض ما ذكره أصحاب المقالات:

١. قال النوبختي: إنّها سُمّيت بهذا لرئيس لهم من أهل السواد من أهل الأنباط كان يلقب «قرمطويه» وكانوا في الأصل على مقالة المباركية، ثمّ خالفوهم،

فقالوا لا يكون بعد محمد النبي ﷺ إلا سبعة أئمة، علي بن أبي طالب وهو إمام رسول، والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، ومحمد بن إسماعيل بن جعفر، وهو الإمام القائم المهدي، وهو رسول.

وزعموا أن النبي ﷺ انقطعت عنه الرسالة في حياته، في اليوم الذي أمر فيه بنصب علي بن أبي طالب عليه السلام للناس بغدير خم، فصارت الرسالة في ذلك اليوم في علي بن أبي طالب، واعتلوا في ذلك بقول رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وإن هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوة، وتسليم منه في ذلك لعلي بن أبي طالب، بأمر الله عز وجل وإن النبي ﷺ بعد ذلك كان مأموماً لعلي، محجوجاً به، فلما مضى علي صار الإمامة في الحسن، كما صارت من الحسن في الحسين ثم في علي بن الحسين، ثم في محمد بن علي، ثم كانت في جعفر بن محمد، ثم انقطعت عن جعفر في حياته، فصارت في إسماعيل بن جعفر، كما انقطعت الرسالة عن محمد ﷺ في حياته، ثم إن الله عز وجل بدله في إمامة جعفر، وإسماعيل، فصيرها في محمد بن إسماعيل، إلى أن قال:

وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي، لم يموت، وأنه في بلاد الروم، وأنه القائم المهدي، ومعنى القائم عندهم، أنه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة، ينسخ بها شريعة محمد، وأن محمد بن إسماعيل من أولي العزم، وأولي العزم عندهم سبعة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ، وعلي عليه السلام، ومحمد بن إسماعيل، على معنى.

قال: إن السماوات سبع وإن الأرضين سبع وإن الإنسان بدنه سبع: يده، ورجلاه، وظهره، وبطنه، وقلبه، وإن رأسه سبع: عيناه، أذناه، منخره، وفمه، وفيه لسانه، كصدره الذي فيه قلبه، وإن الأئمة كذلك، وقلبه محمد بن إسماعيل واعتلوا في نسخه شريعة محمد ﷺ وتبديلها، بأخبار، رووها عن أبي عبد الله جعفر ابن محمد عليه السلام أنه قال: لو قام قائمنا علمتم بالقرآن جديداً، وأنه قال: إن الإسلام

بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدا، فطوبى للغرباء، ونحو ذلك من أخبار القائم.

وإن الله جعل لمحمد بن إسماعيل جنة آدم (ص) ومعناها عندهم الإباحة للمحارم، وجميع ما خلق في الدنيا، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَكُلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾^(١) أي موسى بن جعفر بن محمد، وولده من بعده من ادعى منهم الإمامة.

وزعموا أن محمد بن إسماعيل، هو خاتم النبيين، الذي حكاه الله عز وجل في كتابه، وأن الدنيا اثنا عشر جزيرة، في كل جزيرة حُجَّة وأن الحجج اثنا عشر، ولكل حجة داعية. ولكل داعية يد، يعنون بذلك أن اليد رجل له دلائل وبراهين يقيمها، ويسمونها الحجة الأب، والداعية الأم، واليد الابن، يضاهون قول النصارى في ثالث ثلاثة، إن الله الأب جل جلاله، والمسيح عليه السلام الابن، وأمه مريم، والحجة الأكبر هو الرب وهو الأب والداعية هي الأم، واليد هو الابن.

وزعموا أن جميع الأشياء التي فرض الله تعالى على عباده وسنها نبيه (ص) وأمر بها، لها ظاهر وباطن، وأن جميع ما استعبد الله به العباد في الظاهر من الكتاب والسنة، أمثال مضروبة وتحتها معان هي بطونها، وعليه العمل وفيه النجاة، وأن ما ظهر منها ففي استعماله الهلاك والشقاء، وهي جزء من العقاب الأدنى، عذب الله به قوماً إذ لم يعرفوا الحق ولم يقولوا به، وهذا أيضاً مذهب عامة أصحاب أبي الخطاب، واستحلوا استعراض الناس بالسيف وقتلهم على مذهب الخوارج في قتل أهل القبلة، وأخذ أموالهم، والشهادة عليهم بالكفر، واعتلوا في ذلك بقول الله عز وجل: ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٢) ورأوا سبي النساء وقتل الأطفال، واعتلوا في ذلك بقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تَدْرُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكُافِرِينَ دَيَّارًا﴾^(٣).

٢. التوبة: ٥.

١. البقرة: ٣٥.

٣. نوح: ٢٦.

وزعموا أنه يجب عليهم أن يبدأوا بقتل مَنْ قال بالإمامة يَمُنُّ ليس على قلوبهم، وخاصة من قال بإمامة موسى بن جعفر، وولده من بعده؛ وتأولوا في ذلك قولَ الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾^(١) فالواجب أن يُبدأ بهؤلاء، ثم بسائر الناس؛ وعددهم كثير، إلا أنه لا شوكة لهم ولا قوة، وهم بسواد الكوفة واليمن أكثر ولعلمهم أن يكونوا زهاء مائة ألف.^(٢)

أقول: إن النوبختي أقدم مَنْ كتب عنهم من أصحاب المقالات، وقد عاصرهم، حيث إن القرامطة ظهرت سنة ٢٦٧هـ وتوفي النوبختي في أوائل القرن الرابع حوالي سنة ٣١٠هـ فما ذكره عنهم أدق مما ذكره غيره.

٢. وقال الأشعري: القرامطة يزعمون أن النبي نصَّ على إمامة ابنه الحسن - وهكذا ينقل نصَّ كلِّ إمام على الإمام المتأخر - حتى وصلت النوبة إلى نصَّ جعفر على إمامة ابن ابنه محمد بن إسماعيل.

و زعموا أن محمد بن إسماعيل حيٌّ إلى اليوم، ولم يموت ولا يموت حتى يملك الأرض، وأنه هو المهدي الذي تقدّمت البشارة به، واحتجوا في ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم.^(٣)

٣. وأما عبد القاهر البغدادي فلم يذكر القرامطة بالاسم، لكن نقل ما ذكره الإمام الأشعري في المقالات وقال: «و فرقة قالت كان الإمام بعد جعفر سبطه محمد بن إسماعيل بن جعفر، حيث إن جعفرأ نصب ابنه إسماعيل للإمامة بعده، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه، علمنا أنه إنما نصب ابنه إسماعيل للدلالة على إمامة ابنه محمد بن إسماعيل.^(٤)

١. التوبة: ١٢٣.

٢. النوبختي: فرق الشيعة: ٧٢-٧٦.

٣. الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٢٦.

٤. عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق: ٦٣.

يظهر مما ذكره النوبختي في فرق الشيعة أنهم كانوا يكفرون جميع المسلمين حسب عقيدتهم، ولأجله قاموا بقتل حجاج بيت الله الحرام عام ٣١٧هـ في عهد المقتدر بالله.

ذكر ابن الأثير أنه حج بالناس في هذه السنة (٣١٧هـ) المنصور الديلمي، و صار بهم من بغداد إلى مكة فسلموا في الطريق فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة، يوم التروية، فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج، وقتلوه حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه، وقلع الحجر الأسود ونفذه إلى هجر فخرج إليه ابن محلب، أمير مكة في جماعة من الأشراف، فسألوه في أموالهم فلم يشفعهم، فقاتلوه فقتلهم أجمعين، وقلع باب البيت وأصعد رجلاً ليقلع الميزاب فسقط فمات.

وطرح القتلى في بئر زمزم، ودفن الباقيين في المسجد الحرام، حيث قُتلوا بغير كفن ولا غسل، ولا صلى على أحد منهم، وأخذ كسوة البيت، فقسمها بين أصحابه، ونهب دور أهل مكة.

فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيد الله العلوي بإفريقية، كتب إليه، يُنكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه ويقيم عليه القيامة، ويقول: قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفرو الإلحاد بما فعلت، وإن لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم، ما أخذت منهم، وتردّ الحجر الأسود إلى مكانه، وتردّ كسوة الكعبة، فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة.

فلما وصله هذا الكتاب أعاد الحجر الأسود، واستعاد ما أمكنه من الأموال من أهل مكة فردّه، وقال: إن الناس اقتسموا كسوة الكعبة، وأموال الحجاج ولا أقدر على منعهم.^(١)

من هذا المقطع الذي ذكرناه من كلام ابن الأثير يظهر أن عبید الله المهدي ينكر عليهم ما ارتكبه من جرائم شنيعة، وأتهم بأعمالهم الوحشية هذه مهّدوا الطريق للأعداء، ليتهموهم بالإلحاد، والخروج عن الدين. وهذا ممّا يوجب على الباحث العلمي إذا أراد أن يخرج بنتيجة إيجابية أن يجعل للقرامطة حساباً خاصاً وأن يدرسهم دراسة موضوعية تتسم بالعلمية وعدم الخلط .

و للإسماعيلية التي كانت الخلافة الفاطمية في مصر تتبناها حساباً آخر ولا يضرهما بسهم واحد.

الملاحم العامة للقرامطة

قد تعرّفت على الفرق الإسماعيلية ، وإنّ منها القرامطة الذين قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل وغيبته، وبذلك عطّلوا الإمامة، وانقطعوا عن الركب الإمامي، وحيث إنّ كان لهم دور في الأعصار الغابرة لا بأس بذكر ملاحمهم العامّة، وفرقهم، وعقائدهم، وما قاموا به من الأحداث الإرهابية، وقد وجدنا أنّ ما كتبه «طه ولي» حول تلك الفرقة في كتابه «القرامطة أوّل حركة اشتراكية في الإسلام» هو أبسط ما كتب عنهم، فقمنا بتلخيص ما جاء في هذا الكتاب من المواضيع الهامة .

القرامطة من إحدى الفرق الباطنية التي شغلت السلطات العباسية قرابة قرن من الزمن، وأشاعت الاضطراب والقلق في الشرق العربي، بما خلّفته من أفكار ثورية، ما تزال آثارها باقية إلى أيامنا الحاضرة، عبر الطوائف الدينية التي تحمل أسماء مختلفة.

إنّ القرامطة جاءت من معنى لغويّ وهو قرمط الرجل في خطّوه، إذا قارب بين السطور في كتابته، ويقال: إنّ حمدان بن الأشعث مؤسس هذه الفرقة سُمي قرمط لقصر قامته ورجليه.

أسباب نشوء الحركة القرمطية ومؤسسها:

إنّ كلمة قرمط بدأت بحمدان بن الأشعث، وهو الذي نزل عنده الداعي المؤسس لهذه الفرقة: الحسين الأهوازي، الذي جاء من ناحية خوزستان، وهذه التسمية — أي القرامطة — لم تتخذها هذه الفرقة الباطنية لنفسها، وإنّما أطلقها أعداؤها عليها في العهود المبكرة لقيامها.

والحديث عن العوامل التي أدت إلى نشوء الحركة القرمطية، وقيام دولة القرامطة، ذو شجون، والخوض فيه يحتاج إلى تفصيلات، لا يتسع لها مجال هذه الدراسة، التي قصدنا بها التعريف بالقرامطة، وحركتهم بأكثر ما أمكننا من الإيجاز، دون الدخول في التناقضات التي تميّزت بها أقوال المحققين.

كان المجتمع الإسلامي، في أواخر العهد الأموي يسير في طريق مُظلم، وأنّ الدولة الأموية الحاكمة، العربية النزعة والطابع، كما هو جليّ وواضح في تاريخها لم تكن تعتمد إلاّ على العناصر الخالصة التي تنحدر من أصل عربي فلم يُعنّ بنو أمية بغير قومهم العرب، فمنهم الولاة والقواد، ورؤساء الدولة، والعمال وحكّام الأقاليم، والمقاطعات، فضلاً عن أنّ زمام الأسواق التجارية والمهنية والزراعية، والنفوذ والجاه، كان أيضاً بأيديهم، وبأيدي أنصارهم، ولهذا كره الموالي (غير العرب) حكمهم، وعملوا على إسقاطهم وكانوا معاول هدم في كيان الدولة الأموية.

إنّ المجتمع الأموي كان يقوم على سيادة العنصر العربيّ، فكان لا يتمكن أيُّ إنسان من الانتساب إلى صفوفه إلاّ بطريق الولادة، ولم يكن أفرادهم يدفعون الضرائب عن أراضيهم، وكانوا وحدهم أصحاب الحقّ، بأن يتجنّدوا في الأمصار، ويقبضوا الرواتب الشهرية المغربية، فضلاً عن حقّهم بالأعطية من غنائم الفتوح، ولم يكن حلول العباسيين محلّ الأمويين أكثر من مجرد تغيير الأسرة الحاكمة.

وبذلك تبين أنّ الأسباب التي أدت إلى قيام الحركة القرمطية كانت هي أيضاً في جوهرها حركة قومية إقليمية وإقتصادية واجتماعية، ولعلنا لا نأتي بجديد حين نقول: إنّ الأمويين بسياستهم هذه: قد مهّدوا الطريق لمن يريد ضرب الدولة الإسلامية، وكان أفضل وسيلة للمنفعلين بهذه الأسباب أن اتخذوا من الصراع العقائدي بين بني أمية وبين بني هاشم، ذريعة لتقويض الحكم العربيّ العنصريّ، ونقض التعاليم الإسلاميّة، وذلك بادعائهم الولاء للهاشميين في مطالبتهم

بحقّهم بالخلافة دون الأمويين.

وهكذا تكون كلّ الحركات الباطنيّة توسلت بشعار الولاء لآل البيت النبوي، من أجل الوصول إلى هدف واحد وهو الثأر من حكام الوقت الذين أشاعوا البدع الجاهليّة، تحت غطاء الإسلام، ومنها التركيز على العنصر العربي، والخط من الموالي المسلمين.

كان ابتداء الدّعوة القرمطيّة في البحرين عن طريق رجل يُعرف بيحيى بن المهدي، الذي قصد بلدة القطيف، وحلّ فيها ضيفاً على رجل يُعرف بعلي بن المعلّى بن حمدان، مولى الزياديين، فأظهر له يحيى أنّه رسول المهدي، وكان ذلك في سنة ٢٨١هـ، وذكر أنّه خرج إلى شيعته في البلاد، يدعوهم إلى أمره وأنّ ظهوره قد قرّب، فأخبر عليّ بن المعلّى، الشيعة من أهل القطيف، وقرأ عليهم الكتاب، الذي مع يحيى بن المهدي، المرسل إليهم من المهديّ، فأجابوه، وأتمّ خارجون معه، إذا ظهر أمره. ووجه إلى سائر قرى البحرين بمثل ذلك، فأجابوه وكان أبو سعيد الجنابيّ يبيع للناس الطعامَ ويحسب لهم بيعهم.

ويقول مؤلّف «البحرين عبر التاريخ»: إنّ حمدان قرمط ابن الأشعث، هو مؤسس حركة القرمطيين في واسط بين الكوفة والبصرة - حيث أنشأ داراً للهجرة، وجعلها مركزاً لبث الدّعوة، ثمّ كلّف دعائه بإنشاء فروع للحركة، أهمّها على الإطلاق فرع البحرين الذي أقامه أبو سعيد الجنابي.

فرق القرامطة:

القرامطة توزّعوا في أيام ظهورهم إلى ثلاث فرق، ومروا في ثلاث مراحل، وتقلّبوا في ثلاثة أدوار:

الفرقة الأولى: وهي قرامطة السّواد - أي سواد العراق - وقد أطلق لفظُ السواد على هذه المنطقة لكثرة النخيل الذي يُعطّي أرضها، ويطلق على هذه الفرقة

كذلك، اسم قرامطة الشمال، وأبرز دعواتهم «داندان» و«حمدان» و«عبادان» و«آل مهرويه».

الفرقة الثانية: قرامطة البحرين أو الخليج في شطه الغربي، وأبرز دعواتهم آل الجنابي.

الفرقة الثالثة: قرامطة القطيف وجنوبي البصرة، وأبرز دعواتهم أبو حاتم البوراني، وأبو الفوارس، وهذا يُعدُّ من كبارهم، وله مع الخليفة العباسي «المعتضد» محاورة مشهورة، ويُعتبر من أقوى الدعاة الذين عرفهم القرامطة في تاريخهم.

انقسام القرامطة إلى حركتين بعدما كانت حركة واحدة

عندما هلك سليمان بن الحسن الجنابي «أبو طاهر»، زعيم الدولة القرمطية في البحرين، الذي هتك حرمة الكعبة، وقتل الكثير من الحجاج، ترك أولاداً غير أكفاء لخلافته في الزعامة، فتنافس أخواه سعيد وأحمد على الولاية، وأدى هذا التنافس إلى انقسام جماعة القرامطة إلى حركتين متعاديتين بعد أن كانوا حركة واحدة متجانسة، وكان على رأس إحدى هاتين الحركتين أبناء سليمان (أبو طاهر الجنابي) ومعهم سابور، وعمه أحمد، وانضم إليهم كبار هذه الطائفة، وكان هؤلاء خاضعين للعبديين في المغرب يتلقون منهم التوجيه وينفذون تعاليمهم، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم «الفرقة العقداية» أي أصحاب العقيدة.

وعلى رأس الحركة الثانية، سعيد المذكور الذي رفض التبعية للعبديين وآثر الاستقلال بشؤونهم، ولأجل تقوية مركزه ضد العبديين، الذين لم يعترفوا به، اتجه لمصانعة العباسيين الذين سارعوا لموازرتة بهدف تعميق الانقسام في صفوف هؤلاء القرامطة، لكي يسهل التخلص منهم جميعاً، وقد أدى هذا الانقسام الذي رافقته حروب دامية بين الحركتين إلى التعجيل بنهاية القرامطة كقوة سياسية ومذهبية.

عقائد القرامطة

إن عقائد القرامطة ، هي مزيج من الحق والباطل شأن كل فرقة زائفة، فأخذت بتبني الإمامة لأئمة أهل البيت وإظهار الإخلاص لهم، ورفض الحكومات الأموية والعباسية المخالفة للقرآن والسنة والسيرة النبوية . و إليك بعض عقائدهم بشكل موجز:

١ . نظرية الحلول عند القرامطة

والقرامطة ، قالوا بنظرية الحلول أو ما يسمى عند بعض الطوائف المعاصرة باسم حلول اللاهوت بالناسوت، فذهبوا إلى أن أئمتهم حلّت فيهم شخصيات الأنبياء السابقين الذين بعثهم الله في الأمم الغابرة ابتداءً من آدم وانتهاءً بمحمد ﷺ بل أنهم تجاوزوا الأنبياء .

لما دخل عبيد الله المهدي إلى رقادة بالمغرب مدحه محمد البديل، أحد موظفي الديوان عند أبي قضاة بقوله:

| | |
|----------------------|---------------------|
| حل بها آدم ونوح | حل بقرقادة المسيح |
| حل بها الكبش والذبيح | حل بها أحمد المصطفى |
| و كل شيء سواه ريح | حل بها ذو المعالي |

٢ . الغلو عند القرامطة

تعتقد القرامطة أن الإمام القائم هو محمد بن إسماعيل الذي يبعث بالرسول، ويسن شريعة جديدة ينسخ بها شريعة النبي محمد ﷺ .
كما يعتقد القرامطة بأن روح الله تعالى تحل في أجساد أئمتهم فتعصمهم من

الزلزل وترشدهم إلى صالح العمل.

وهم يعتقدون أيضاً أن أئمتهم السبعة هم السبع المثاني الذين أشار القرآن الكريم إليهم، ورفعوهم إلى حدّ المغالاة.

٣. التأويل الباطني في تفسير القرآن

تفردت الباطنية بتفسير القرآن الكريم على طريقة التأويل الباطني، وهو أن يتجاوز الإنسان المعنى الظاهري للآية ويتجه إلى فهمها عن طريق تفسير كلماتها بما يحيل إليه أنه المقصود الحقيقي من كلام الله، ومن الطبيعي أن يعتمد الباطنيون هذه الطريقة لتحميل الآيات المعنى الذي يؤيد وجهة نظرهم وأفكارهم المذهبية. إنّ التأويل بمعناه الواقعي لدى الإسماعيليين يختلف عن التفسير المعمول به لدى عامة الفرق الإسلامية الأخرى، والتفسير معناه جلاء المعنى لكل كلمة غامضة لا يفهم معناها القارئ والتأويل باطن المعنى أو رمزه أو جوهره وهو حقيقة مستترة وراء لفظة لا تدل عليها، ومن هنا أعطى النظام الإسماعيلي - ومثله القرمطي - الفكري صلاحية التفسير للنطاق ووهب صلاحية التأويل للإمام، فالنطاق اعتبر ممثلاً للشريعة والأحكام والفقه والقانون الظاهر، والإمام اعتبر ممثلاً للحقيقة والتأويل، والفلسفة والباطن، ومن الواضح أنّ أول منهاج دعوا إليه هو نظام التأويل، فإنهم هذبوه وصقلوه بأفكارهم وأدخلوا فيه النظرية العقلية التي تشذب الفعل والتسليم ليثبتوا للعالم الإسلامي انهم من العريقين في فهم الأصول الإسلامية، فقالوا بالباطن وضرورته كما قالوا بالظاهر إلى جانبه، فلا يقبل الظاهر دون الباطن، ولا ينفع الباطن دون الظاهر، لأنّ الباطن والظاهر كالجسد والروح تولد في اجتماعهما الفوائد ومعرفة المقاصد.

إنّ للقرآن مدلولاً ظاهرياً وباطنياً، فالمعنى الظاهري واللغوي ليس هو المقصود بالذات والتمسك بهذا المعنى يوجب العذاب والمشقة، أما الأخذ

بالمعنى الباطني فهو يوجب الانشراح والسعادة، لأنه يقضي بترك التكاليف والأعمال الظاهرة وكان ابن ميمون يدس هذه الفكرة بصورة خفية وباطنة وما كان يتظاهر بها تجاه غير الإسماعيليين - القرامطة - ولذلك كانت هذه الطريقة مبالغ فيها.

نهاية القرامطة سياسياً وعسكرياً

في منتصف القرن الرابع الهجري دخل القرامطة النهاية لأسباب ذاتية وأخرى خارجية، وما لبثوا أن زالوا عن مسرح الصراع في المشرق العربي من الناحيتين السياسية والعسكرية.

الأسباب الذاتية

من الواضح أنّ الحركة القرمطية لم تستطع إخفاء مقاصدها الحقيقية في محاربة العقيدة الإسلامية الصحيحة لا سيما بعد الانتصارات المحلية لبعض زعمائها على السلطة العباسية، فقد أساء المتأخرون من هؤلاء الزعماء التصرف بالنسبة للمجتمع الإسلامي آنذاك، حتى أنّ العبيديين وهم على منوالهم في الاتجاه السياسي والعقائدي اضطروا إلى أن يتبرأوا منهم وأن يهاجموهم عسكرياً في أماكن تواجدهم، حيث أوعزوا إلى قائدهم العسكري «جوهر الصقلي» بأن يذيع بياناً يستنكر فيه أعمال القرامطة ويتبرأ من تصرفاتهم المغايرة للإسلام والضارة بالمسلمين، على أنّ جوهر لم يكتف بهذا البيان بل حاربهم فعلاً على أرض فلسطين في الرملة (سنة ٣٦٨هـ) وكانت هذه المعركة بداية النهاية بالنسبة للحركة القرمطية ولأتباعها على مختلف المستويات وفي جميع البلدان التي انتشروا فيها بقوة الدعاية التبشيرية أو بقوة السلاح والأرهاب.

وإنّه يمكن القول بأنّ حادثة العدوان الذي قام به القرامطة على مكة

المكرمة بقيادة أبي طاهر الجنابي، وما رافق ذلك من قتل الحجاج، واقتلاع الحجر الأسود من مكانه، وأخذه إلى هجر، إنَّ هذه الحادثة كانت بمثابة القنبلة الموقوتة التي انفجرت بعد حين ودمرت الكيان القرامطي من أساسه، حتى أنَّ أبا محمد عبيد الله الذي أسس الدولة العبيدية وكان هو نفسه قرمطي العقيدة استهول هذه الحادثة وأفرغته مضاعفاتها السلبيّة في الأوساط الإسلاميّة، فأرسل كتاباً لنظرائه قرامطة البحرين ينكر فيه عليهم فعلتهم الشنيعة ويلوم أبا طاهر المذكور ويلعنه ويقيم عليه القيامة، بقوله:

قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا اسم الكفر والإلحاد بما فعلت وإن لم ترد على أهل مكة وعلى غيرهم من الحجاج ما أخذت منهم، وترد الحجر الأسود إلى مكانه، وترد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة.

وهذه الحادثة المشؤومة كانت (سنة ٣١٧هـ) و هنا فإننا نرى من الفائدة تسجيل وجهة نظر القرامطة في هذه الحادثة كما عبّر عنها أبو طاهر القرمطي الذي اقترف هذه الجريمة النكراء، وذلك من خلال الشعر الذي قاله في هذه المناسبة، والرد الذي أرسله إلى الخليفة العباسي المقتدر بالله.

قال أبو طاهر في تبرير اقتلاع الحجر الأسود والعدوان على البيت الحرام:

| | |
|-----------------------------|------------------------------|
| فلو كان هذا البيت لله ربنا | لصب علينا النار من فوقنا صبا |
| لأنا حججنا حجة جاهلية | مجللة لم تبق شرقاً ولا غرباً |
| وآنا تركنا بين زمزم والصفاء | كتائب، لا تبغي سوى ربها ربا |
| ولكن رب العرش جلّ جلاله | لم يتخذ بيتاً ولم يتخذ حجبا |

ومن العوامل الذاتية الأخرى التي أضعفت القرامطة وأدت إلى ذهاب ريحهم واضمحلال شوكتهم، الانقسام الذي فرّق أمرهم فيما بينهم، وخاصة بعد موت أبي طاهر سليمان مما اضطرهم إلى تعديل نظام (مجلس العقدانية) وتحويله (إلى مجلس السادة) الذي أوهم قيادتهم المركزية، والحروب التي شنّها بعضهم على

بعض في عهدي أبي طاهر والاعلم خارج مركز قوتهم (البحرين) مما كبدهم أموالاً طائلة، وأضعف مواقفهم بعد كل معركة، وأدى إلى قيام حركات انفصالية داخل مجموعتهم لا سيما في عمان واليمن.

الأسباب الخارجية

أما الأسباب الخارجية التي أدت إلى زوال الحركة كدولة ونظام ومجتمع، فإن المؤرخين يردّون ذلك إلى الظواهر السلبية التي عانوا منها في أحرى أيامهم وهي التالية:

١. ظهور دولة بني بويه المناوئة للقرامطة التي نجحت في جرهم إلى حروب جانبية خلقت لهم أعداء من كل جانب، وخاصة من الدولة العبيدية المصرية.
٢. قلة الأموال التي كانت بحوزتهم، فلم يعودوا يتمكنون من الاستمرار في صرف المعتاد من العطايا على البدو مما أضعف موالاته هؤلاء لهم، وتحولوا عنهم إلى العباسيين لهذا السبب.
٣. انقلاب قبائل إقليم البحرين نفسها عليهم، مثل: بني عقيل وبني تغلب، ونجاح هذه القبائل بالتغلب على بعض أطراف الدولة القرظية مثل القطيف وما جاورها.
٤. ومن العوامل الخارجية الأخرى التي قادت القرامطة إلى نهايتهم وتلاشيهم أنّ أسيادهم وحلفاءهم ورفاقهم في الاتجاه المذهبي والمبادئ العقائدية، نعني: العبيديين حكام القاهرة، انقلبوا عليهم بعد أن ضاقوا ذرعاً بتأرجحهم بين الولاء لبغداد وبين الاستسلام للقاهرة، وبخروجهم عن كلّ حد، وزاد غيهم وسفكهم للدماء وغزوا مكة وفتكوا بالحاج واقتحموا البيت الحرام، ولما ذهبوا في جراتهم إلى مهاجمة الدولة الفاطمية ذاتها في الشام وانتزعوا منها دمشق وهاجموها في مصر منزلها الجديد، تنكرت لهم وأنكرت ثورتهم وتبرأت منهم.

نهاية القرامطة

وقد مرت نهاية القرامطة في مرحلتين:

الأولى: يوم طردوا من جزيرة أوال في البحرين

ففي سنة ٤٥٨ هـ خرجت الجزيرة المذكورة عن طاعتهم ووالت العباسيين بعد سلسلة الحروب الداخلية التي خاضها المسلمون والمجاعة في هذه الجزيرة، فقد بنى أهل البحرين مسجداً لجذب التجار إلى جزيرتهم، ولما فرغوا من بناء هذا المسجد آل أمر الجزيرة إلى العباسيين.

الثانية: استئصال شأفتهم نهائياً من هذه البلاد

كانت هزيمة القرامطة في جزيرة أوال ذات أثر سلبي كبير عليهم، إذ عمد سكان الجزيرة إلى الاتصال بالسلاجقة والعباسيين في العراق وفي سنة ٤٦٢ هـ بعثت بغداد بجيوش ألحقت الهزيمة تلو الهزيمة بالقرامطة، فاضطروا للارتداد إلى الأحساء، فلحقت بهم إلى الأحساء وحرصوا عليهم السكان بالمنشورات التي يستحثونهم فيها على الانضواء تحت لواء العباسيين في جهاد المبطلين القرامطة الملحدين، وفي استئصال ذكرهم، وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم. فاستجاب أهالي البلاد لهذه الإثارة وانضموا إلى العساكر العباسية، وأصبح القرامطة محاطين بأعدائهم في شمالي الأحساء الذين انتصروا عليهم في معركة الخندق سنة ٤٧٠ هـ.

وتعد هذه الواقعة من الوقائع الحاسمة في تاريخ الحركة القرمطية، لأنها قضت على دولة القرامطة وألغت وجودها نهائياً من خارطة العالم الإسلامي.

هذا وقد لخصنا هذا المقال من كتاب طه ولي بتصرف يسير لما لمسنا منه من تطرف للحكم العربي المتمثل في الدولة الأموية والعباسية حيث رأى أنها يمثلان الدولة الإسلامية الشرعية المجسدة لأهداف النبي ﷺ وآماله.

الفصل السادس عشر

في

فرقة الدروز

الدروز هي جمع الدرزي، والعامّة تتكلّم بضم الدال، والصحيح هو فنجها. والظاهر أنّ الكلمة تركيبة بمعنى الخياط، وهي من الكلمات الدخيلة على عربية حتى يقال: درز يدرز درزاً، الثوب، خاطه، والدرزي: الخياط.

والدروز فرقة من الباطنية لهم عقائد سرية متفرون بين جبال لبنان وحوارن والجبل الأعلى من أعمال حلب.

ولم يكتب عن الدروز شيء يصح الاعتماد عليه ولا هم من الطوائف التي تنشر عقائدها حتى يجد الباحث ما يعتمد عليه من الوثائق.

نعم كتب عنهم المستشرقون أشياء لا يمكن الاعتماد عليها، وقد سبق منّا في ترجمة الإمام الحادي عشر الحاكم بالله أنّ الإسماعيلية كانت فرقة واحدة وطراً عليهم الانشقاق بالقول بالوهمية الحاكم وغيبته وهم اليوم معروفون بالدروز، وقلنا: إنّ الحاكم استدعى الحمزة بن علي الفارسي الملقّب بالدرزي وأمره أن يذهب إلى بلاد الشام ليتسلم رئاسة الدعوة الإسماعيلية فيها، ويجعل مقرّه «وادي التيم»، ولقبه الإمام بالسيد الهادي، وتمكن الدرزيّ في وقت قليل من نشر الدعوة الإسماعيلية في تلك البلاد إلى أن وصلت إليه وفاة الإمام الحاكم وتصدى ابنه الظاهر لمقام الولاية، ولكن الدرزيّ لم يعترف بوفاة الإمام الحاكم بل ادّعى أنّه غاب وبقى متمسكاً بإمامته ومنتظراً لعودته، وبذلك انفصلت الدرزية عن الإسماعيلية وكان ذلك الانشقاق عام ٤١١ هـ. (١)

١. لاحظ تاريخ الدعوة الإسماعيلية: ٢٣٨.

الدروز في موسوعات دائرة المعارف

إنَّ الدروز من الفرق الباطنية التي يصعب الاطلاع على عقائدهم لأنهم راعوا جانب الحذر والتكتم عليها، ومع ذلك فقد نقل أصحاب دوائر المعارف أموراً عنهم، ونحن نقطف مما جاء فيها:

١ . الدروز في دائرة المعارف البستانية^(١)

بعد أن ذكرت الموسوعة مراكز توطنهم وعدد نفوسهم وشيئاً من أحوالهم السياسية والآداب الاجتماعية و ما يزاو لوه من المهن كالزراعة والتجارة، والحروب التي نشبت بينهم وبين غيرهم من الطوائف، قالت عن عقيدتهم ما هذا نصّه:

و إيمان الدروز، أنّ الله واحد، أحد، لا بدءاً له ولا نهاية، وأنّ النفوس مخلّدة تتقمّص بالأجساد البشرية (التناسخ) ولا بدّ لها من ثواب وعقاب يوم المعاد بحسب أفعالها، وأنّ الدنيا تكونت بقوله تعالى كوني فكانت، والأعمار مقدّرة بقوله: ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾^(٢)، وأنّ الله عارف بكل شيء، وهم يكرمون الأنبياء المذكورين في الكتب المنزلة، ويؤمنون بالسيد المسيح ولكنهم ينفون عنه الإلوهية والصلب، وأسماء بعض الأنبياء عندهم كأسمائهم في تلك الكتب، ولبعضهم أسماء أخرى كالقدّيس جرجس، فإنّه عندهم الخضر، وأسماء أنبيائهم شعيب وسليمان وسلمان الفارسي ولقمان ويحيى، وعندهم أنّه لا بدّ من العرض والحساب يوم الحشر والنشر. وتنقسم هذه الطائفة إلى: عقّال وجهّال. فالعقال هم عمدة الطائفة، ولهم رئيسان دينيان يسميان بشيخي العقّال، والأحكام الدينية مفوضة إليهم.

١ . وقد طبع الجزء الذي نقلنا الترجمة عنه عام ١٨٨٣ م، أي ما يعادل عام ١٣٠١ هـ .

٢ . المنافقون: ١١ .

وعندهم للوصية نفوذ تام، فإنّ الإنسان مختار أن يوصي قبل موته بأملاكه لمن يشاء، قريباً كان أم غريباً. ولذلك قد منحتهم الدولة العلية منذ القديم قاضي مذهب لدعاوى الوصايا.

وقد أمر عقّاهم بتجنّب الشك، والشرك، والكذب، والقتل، والفسق، والزنا، والسرقة، والكبرياء، والرياء، والغش، والغضب، والحقد، والنميمة، والفساد، والخبث، والحسد، وشرب الخمر، والطمع، والغيبة، وجميع الشهوات والمحرمات والشبهات، ورفض كلّ منكر من المآكل والمشارب، ومجانبة التدخين، والهزل والمساخر والهزاء والمضحكات، وجميع الأفعال المغايرة لإرادته تعالى، وترك الحلف بالله صدقاً أو كذباً، والسب، والقذف، والدعاء بما فيه ضرر الناس.

وعندهم أنّه على كلّ مؤمن التحلّي بالعفاف، والطهارة، والفعل الجميل، والكرم بالعلم، والمال، وخوف الله وطاعته، والرصانة، و صيانة العرض، و صدق اللسان، وصونه من الإفك والإثم والزور والبهتان مع استمرار ذكر الله وتسييحه وتقديمه، وتقديم الصلوات والتضرعات والتوسلات لعزته تعالى.

ولا يجوز لعاقل أن يخلو بامرأة، ولا أن يرد تحيتها ما لم يكن بينهما ثالث.

وشأنهم التهذيب وكره الزيف والترف. وكل عاقل ارتكب القتل أو الزنا أو السرقة أو غيرها من الآثام يطرد من مجلس العقال الذين يجلسون فيه للقيام بالفروض الدينية ويبقى مطروداً إلى أن تتحقّق ندامته وتوبته.

ومن شأن الدروز إكرام الضيف، والشجاعة، والاقتصاد بالمعيشة.

ويسكنون الآن في جبل لبنان وقضاء «راشيا» وقضاء «حاصيا» وإقليم البلان والغوطة والشام وجبل حوران وجبل الكرامل والجبل الأعلى ومرعش وحلب والحلة والكوفة، ومنهم عشيرة بني لام في العراق، وفي الغرب والهند.

وتناولنا من أحد أدبائهم جملةً أخرى هذا ملخصها:

يؤمن الدرور بأن الدنيا حادثه وبوجود الله وان لا خالق سواه. وأنه قديم أزلي، أبدي، عادل، لا غرض لفعله، غني لا يحتاج، وحاكم قادر لا يجب عليه شيء، إن أثناب فبفضله وإن عاقب فبعدله، غير متبعّض، ولا له حد ولا نهاية، ويعتقدون القرآن الشريف اعتقاد السنية إلا أنهم يخالفونهم في تفسير بعض آياته الكريمة. ويعتقدون أيضاً أقوال حمزة وتعاليمه ويسمونها كتب الحكمة؛ وتتضمن علم التوحيد، وكيفية خلق العالم وأسبابه وعلله، وذكر الأنبياء، وأسمائهم وفضائلهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما يجب على الإنسان وما لا يجب عليه، وإثبات المعاد والحساب والعقاب واعتقاد التناسخ، وكون النفوس معدودة محدودة لا تزيد ولا تنقص باقية أزلية لا تفتنى، مستقرة في أمكنتها غارقة في بحر عظمة اللاهوت، تفتنى الأجساد القائمة بها وتلاشى وهي باقية إلى الأبد لا تفتنى ولا تتغير.

وهم ينقسمون باعتبار الطريقة المذهبية إلى قسمين:

طائعون ويعرفون بالعقال، وهم السالكون بمقتضى الطريقة المذهبية، كالامتناع عن التدخين وسائر المشروبات الروحية والابتعاد عن التائق في المأكولات والملبوسات وسائر اللذات الدنيوية والاقترار على التقشف في المعيشة.

وشراحون ويعرفون بالجهال، وهم المخالفون للعقال في الامتناع عن التدخين والمشروبات الروحية وعن الترفه في المعيشة والتنعم باللذات الدنيوية، ولذلك لا يسوغ لهم مطالعة القرآن الشريف، ولا متون الحكمة خلافاً للعقال، لأنّ عندهم كتباً مقدسة لا يمسه إلا الطاهرون. والطهارة عندهم الامتناع عن سائر المحرمات والممنوعات، وإنما يسوغ لهم تلاوة بعض شروح كتب دينية، ولهذا يقال لهم شراحون.

و يمتاز العقال عن الجهلاء بكونهم يتعمّمون بعمامة بيضاء ويلبسون الملابس البسيطة كالقباة والعباءة، ونسبة هؤلاء العقال إلى الجهال عدداً أكثر من ثلاثة أرباع.

أما شعائرهم في ختان الأولاد والزواج والطلاق والصلاة على الجنازة فهي طبق الشعائر الإسلامية غير أنه ليس من عوائدهم أن يتزوج أحدهم بغير امرأة واحدة، لا يسوغ التزوج بها ثانية بعد الطلاق على الطريقة المعروفة بالرجعة، ولهم عيدان: عيد رمضان ويسمونه بالعيد الصغير، وعيد الأضحى ويسمونه بالكبير، ولهم معابد كثيرة معدّة للصلوات يجتمعون فيها كل ليلة جمعة، ولأكثر هذه المعابد أوقاف مخصوصة تنفق حاصلاتها على لوازم تلك المعابد. ولهم أيضاً معابد أخرى معدّة للأشخاص الذين يفرغون أوقاتهم لعبادة الله تعالى. وتسمّى هذه المعابد بـ «الخلوات» وهي كالأديرة عند المسيحيين عددها ٤٠ في الجبل وخلافه. ^(١)

٢. الدروز في دائرة المعارف المصرية ^(٢)

هذا ما يذكره بطرس البستاني ويصور لهم صورة بيضاء ناصعة ويطهرهم عن كلّ ما ينسب إليهم من المنكرات، وفي الوقت نفسه يصوّر لنا الكاتب محمد فريد وجدي صورة مشوهة عنهم حينها قال:

ظلت معتقدات الدروز في طي الخفاء حتى استولى إبراهيم باشا بن محمد علي على معابدهم في جبل «حاصبيا» ووجد في كتبهم كنه مذهبهم تفصيلاً منها كلمة الشهادة عندهم: (ليس في السماء إله موجود ولا على الأرض ربّ معبود إلاّ الحاكم بأمره).

من معتقداتهم أنّ الحاكم بأمر الله هو الله نفسه وقد ظهر على الأرض عشر

١. البستاني: دائرة المعارف: ٦٧٥/٧ - ٦٧٧.

٢. طبع سنة ١٣٨٦ هجري، ١٩٦٧ ميلادي.

مرات أولها في العلي، ثم في البارز إلى أن ظهر عاشر مرة في الحاكم بأمر الله، وأن الحاكم لم يمت بل اختفى حتى إذا خرج بأجوج ومأجوج - ويسمّونهم القوم الكرام - تجلّى الحاكم على الركن اليماني من البيت بمكة ودفع إلى حمزة سيفه المذهب فقتل به إبليس والشيطان، ثم يهدمون الكعبة ويفتكون بالنصارى والمسلمين ويملكون الأرض كلّها إلى الأبد.

ويعتقدون أنّ إبليس ظهر في جسم آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمد، وأنّ الشيطان ظهر في جسم ابن آدم، ثم في جسم سام، ثم في إسماعيل، ثم في يوشع، ثم في شمعون الصفا، ثم في علي بن أبي طالب، ثم في قداح صاحب الدعوة القرمطية.

ويعتقدون بأنّ عدد الأرواح محدود، فالروح التي تخرج من جسد الميت تعود إلى الدنيا في جسد طفل جديد.

وهم يسبون جميع الأنبياء، يقولون: إنّ الفحشاء والمنكر هما أبو بكر وعمر، ويقولون: إنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾^(١) يراد به الأئمة الأربعة وإتّهم من عمل محمد.

ويعتقدون بالإنجيل والقرآن، فيختارون منهما ما يستطيعون تأويله ويتركون ما عداه، ويقولون: إنّ القرآن أوحى إلى سلمان الفارسي فأخذه محمد ونسبه لنفسه ويسمّونه في كتبهم المسطور المبين.

ويعتقدون أنّ الحاكم بأمر الله تجلّى لهم في أوّل سنة (٤٠٨ هـ) فأسقط عنهم التكاليف من صلاة وصيام وزكاة وحجّ وجهاد وولاية وشهادة.

لدى الدرّوز طبقة تعرف بالمتزهين وهم عباد أهل ورع وزهد، ومنهم من لا يتزوج، ومن يصوم الدهر، ومن لا يذوق اللحم، ولا يشرب الخمر.^(٢)

١. المائدة: ٩٠.

٢. محمد فريد وجدّي: دائرة المعارف: ٤/٢٦ - ٢٨.

عقائد الدرور

وقد تناولت دائرة المعارف الإسلامية - بعد أن استعرضت شيئاً من أحوالهم ومواطنهم وعاداتهم وحرفهم - جانباً من أبرز جوانب عقيدتهم، وهو اعتقادهم بالوهية الحاكم، ما هذا نصّه:

١ . اعتقادهم بالوهية الحاكم

وقد قام مذهب الدرور على فكرة أنّ الله قد تجسد في الإنسان في جميع الأزمان وهم يتصورون أنّ الله ذاته أو على الأقل القوة الخالقة تتكون من مبادئ متكررة يصدر الواحد منها عن الآخر ويتجسد مبدأ من هذه المبادئ في الإنسان.

فالخليفة الحاكم وفقاً لهذه العقيدة يمثل الله في وحدانيته وهذا هو السبب في أنّ حمزة قد أطلق على مذهبه اسم مذهب «التوحيد» وهم يعبدون الحاكم ويسمّونه «ربنا» ويفسرون متناقضاته وقسوته تفسيراً رمزياً، فهو آخر من تجسد فيهم الله. وهم ينكرون وفاته ويقولون إنّهم استتر وسيظهر في يوم ما وفقاً للعقيدة المهدوية.

ويلى الحاكم في المرتبة خمسة أئمة كبار تتجسد فيهم المبادئ التي صدرت عن الله:

فالأول: تجسيد للعقل الكلي، وهو حمزة بن علي بن أحمد الزوزني الملقب بـ«العقل» ويرمز له بـ«الأخضر» وهو الإمام الأعظم وادم الحقيقي.

والثاني: تجسيد للنفس الكلية وهو إسماعيل بن محمد بن حامد التميمي الملقب بـ«النفس» ويرمز له بـ«الأزرق» وهو صهر حمزة ووكيله في الدين.

والثالث: تجسيد للكلمة التي خرجت من النفس عن طريق العقل، وهو محمد بن وهب القرشي الملقب بـ«الكلمة» ويرمز له بـ«الأحمر» وهو سفير القدرة

والشيخ الرضي.

والرابع: السابق وهو سلامة بن عبد الوهاب السَّمُرِي الملقب بـ «السابق» ويرمز له بـ «الأصفر» أو «الجناح الأيمن».

الخامس: التالي وهو بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد السموكي الملقب بـ «التالي» أو «الجناح الأيسر» ويرمز له بـ «البنفسجي» وهو آخر الحدود الخمسة وبه انغلقت الدعوة الدرزية وصارت سرية لا علنية.

ويلي هؤلاء الأئمة الكبار آخرون أدنى منهم مرتبة موزعون على ثلاث طبقات وهم: الداعي، والمأذون، والمكاسر ويعرف أيضاً بالنقيب. ويعرف الداعي كذلك بالعمل، والمأذون بالفتاح.

ومعرفة ذات الله وصفاته وتجلياته في سلسلة المبادئ المتجسدة في الأئمة وهي عقائد هذا المذهب. وتتلخص آدابه في سبعة أركان تقوم مقام أركان الإسلام وهي:

١. حب الحق (بين المؤمنين دون غيرهم).
 ٢. حفظ الإخوان (الدروز).
 ٣. التبرؤ من العقيدة التي كان يدين بها الدرزي من قبل.
 ٤. الابتعاد عن الشيطان وعن الضالين والأبالسة.
 ٥. التوحيد للحاكم في كل عصر ومكان.
 ٦. الرضا عن أفعال «ربنا» الحاكم أياً كانت.
 ٧. الخضوع التام لإرادته كما تتجلى في أئمة على ما هو مفهوم.
- وهذه القواعد واجبة الطاعة على كل درزي رجلاً كان أو امرأة.^(١)
- وقد قام بعض الباحثين بتأليف رسالة خاصة بعقائدهم أشار فيها إلى جوانب أخرى منها - غير ما نقلناه آنفاً - وإليك نصّ المقال بتلخيص وتصرف:

٢. التحريف الواضح للقرآن وإنّ الأنبياء، أبالسة جاءوا للظاهر

كانت عقيدة الدرود بادئ بدء تؤمن بالقرآن وآته من العلي الأعلى كما تؤمن بالنبي محمد ﷺ وبقية الأنبياء كموسى وعيسى وإبراهيم ﷺ و تجلّهم كثيراً، لكن بعد ذلك صارت هذه العقيدة لا تؤمن بالله إلا بالحاكم ولا بالأنبياء بل تعدهم أصل الظاهر يحرفون الناس عن الباطن والحقيقة، واستطاع (حمزة بن علي) أن يجمع من متفرقات كثيرة حتى يكتب (المصحف المنفرد بذاته) أو كثيراً من رسائل الحكمة والتي صارت فيما بعد العقيدة الدرزية.

ويتظاهرون في المجتمع الإسلامي بأنهم مسلمون وينسبون أنفسهم إلى الإسلام وقد يحفظون بعض آيات القرآن والتي وردت في «المصحف المنفرد بذاته» ويتظاهرون بإيمانهم بالقرآن والأنبياء، وقد يعطون الرسائل الأربعة الأولى لرسائل الحكمة التي وجدت على قبر الحاكم بأمر الله الفاطمي وذلك للتمويه والتظاهر بانتسابهم إلى الإسلام.

لكنهم يؤولون ما جاء في ذلك إلى مبنى مباين ومغاير تماماً فالمسيح الحق هو حمزة، وبسم الله الرحمن الرحيم هي حدود حمزة، والجنة التوحيد، والنار هي الشرك، والصدق هم أنبياء الحق، والكذب هم الأبالسة ويقصدون بهم الأنبياء: آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، ثم محمد.

٣. إيمانهم بالتناسخ واعتباره مبدأً أساسياً في عقيدتهم

يؤمنون بالتقمص حيث تنتقل روح الإنسان بعد موته إلى شخص آخر جديد وهكذا، ويتمسكون أمام المسلمين بقوله تعالى: ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(١)، ﴿أَمَّا أَنْتِينِ وَ أٰحْيَيْتِنَا أَنْتِينِ﴾^(٢) ويوجد في

١. آل عمران: ٢٧.

٢. غافر: ١١.

«المصحف المنفرد بذاته»:

«لقد كبرت فرية تخرج من أفواه الذين جحدوا إذ قالوا لن نرجع إلى خلق جديد حتى يوم الحاقة قل اخسأوا في تقلباتكم إن تقولون إلا كذباً».

ويعتبرون هذه الحالة وسيلة للوصول كل روح إلى درزي، ويتحقق بذلك المجتمع التوحيدي: إذ يعتقدون بمحدودية عدد الأرواح، وشرار الأرواح تتقمص أجسام الكلاب.

و من هنا ينطلق الدرروز في الإيمان بأن الجسد هو الذي يموت بينما النفس تبقى خالدة والتقمص في نظر الموحيدين هو انتقال النفس بعد الموت مباشرة من جسد إنسان إلى جسد إنسان آخر والجسد هو قميص الروح وهذا القميص هو الذي يتغير عند الوفاة منتقلة إلى جسد إنسان آخر.^(١)

يقول الشاعر الدرزي:

نحن الأئي هان المات عليهم الروح تبقى، والقميص يُمزقُ

٤. إسقاط التكاليف

أما الصلاة فهي ساقطة عنهم، والمقصود بها هي الصلة للقلوب مع مولاها الحاكم.

وأما الزكاة فتعني: توحيد المولى الحاكم وتزكية القلوب وتطهيرها.

وأما الصوم فباطنه الصمت لقوله لمريم: ﴿فَكُلِّي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾^(٢)، والصوم الحقيقي هو صيانة القلوب بتوحيد المولى الحاكم.

١. محمد كرد علي: خطط الشام: ٦/ ٢٦٥.

٢. مريم: ٢٦.

أما الحج فهو معرفة المولى الحاكم والبيت هو توحيد المولى، ويذكرون قول المنصور:

هلم اريك البيت توقن أنه هو البيت بيت الله لا ما توهمنا
أبيت من الأحجار، أعظم حرمة أم المصطفى الهادي الذي نصب بينا
ويقصدون بالبيت هو توحيد الحاكم.

وأما الولاية فيقولون: إن الحاكم نسخها بقوله: (لا تسجدوا للشمس ولا
للقمر واسجدوا للذي خلقهن) أي لا تسجدوا لعلي أو محمد، بل للحاكم وهو
المشية إن كنتم إياه تعبدون.

كما أنهم من القائلين بجواز الزواج من المحارم كالأخت وبتعدد الزوجات
وحلية شرب الخمر.

٥. تفسير الشهادتين

إن شهادة (أن لا إله إلا الله) كلمتان دليل على السابق والتالي.

وهي أربعة فصول دليل على الأصليين والأساسين.

وهي سبع قطع دليل على النطقاء السبعة والأوصياء السبعة والأيام السبعة
والسماوات السبعة والأرضين السبعة والجبال السبعة والأفلاك السبعة.

وهي ١٢ حرفاً دليل على ١٢ حجة أساسية.

وأما شهادة: (محمد رسول الله) فهي ٣ كلمات دليل على ٣ حدود: الناطق

والتالي فوّه والسابق فوق الكلي، وهي ٦ قطع دليل على ٦ نطقاء، وهي ١٢ حرفاً
دليل على ١٢ حجة، وكذلك السماء ١٢ برجاً و١٢ جزيرة.

٦ . تقديسهم للعجل وإظهاره في مراسمهم واحتفالاتهم

يدعى الكثير بأنهم من عبدة العجل، والواضح في مراسمهم واحتفالاتهم ظهور صورة العجل، وفي خلواتهم يذكرون العجل بشيء من التقديس والإجلال، كما أنهم يحرمون قتله وأكله.

٧ . تأويل غريب ومنحرف للأحاديث الإسلامية

كما أنهم يذكرون روايات علي بن أبي طالب عليه السلام حول المهدي ويقولون في تأويلها المقصود به المهدي بالله (أول خلفاء الدولة الفاطمية).

ويدعون أنّ الحاكم سيرجع في آخر الزمان ليدين العالم ويبدد أعداءه من أمام وجهه، ويسيطر ملكه على العالم، و تسبق رجعة الحاكم رجعة حمزة ليعدّ لمجيء الإله الحاكم ويحطم الأضداد والأبالسة المرتدين ويكسر الصلبان، ويهدم الكعبة التي يعتبرونها «مقطرة الكفرة» يقتل علوج الضلال وقود الزنج في الأغلال ونسخ الشرائع والطرائق، وظهور الحقائق وسبي النساء والأطفال وذبح الرجال بسيف الحاكم على يد عبده القائم الناطق حمزة بن علي، فينصر مستجيبه بعساكره الجرارة فيحیی كل البشر تحت رايته.

هذه هي أبرز سمات عقيدة الدرّوز والتي تعتبر السرية ركناً أساسياً لها خوفاً من المتطفلين كما أنّ كشفها قد يعرضها إلى إساءة فهمها ثم الاستهزاء بها وهذا يجرح صاحبها إلى الهلكة.

كما أنّ لهذه الفرقة طقوساً خاصة بهم.

منها: الميثاق: وهو أنّ كلّ من يكتمل ويصل لسن الأربعين عليه أن يعرض

دينه بحضور شاهدين ويقسم ومما يقوله:

«أمنت بالله ربّي الحاكم... و بجمع الحدود... وقد سلمت نفسي وذواتي ظاهراً وباطناً، علماً وعملاً، وأنا أجاهد في سبيل مولانا سرّاً وعلانية بنفسي ومالي وولدي، واشهد مولاي هادي المستجيبين المنتقم من المشركين المرتدين حمزة بن علي بن أحمد من به أشرفت الشمس الأزلية ونطقت فيه وله السحب الفضلية أنني قد تبرأت وخرجت من جميع الأديان والمذاهب والمقالات والاعتقادات قديمها وحديثها، وأمنت بما أمر به مولانا الحاكم وأقر بأنك أنت الحاكم الإله الحقيقي المعبود والإمام الموجود جلّ ذكرك»^(١).

و منها: الخلوة: وهي أماكن اجتماعهم في جلساتهم الدينية في ليالي الجمع ويحضرها كبارهم العقال فقط ويقودها شيخ العقل أو أكبرهم علماً.^(٢)

ولعلّ ما نقلناه عن الباحثين سلط ضوءاً على جوانب من حياتهم وأدابهم وعقائدهم غير أنّ الكاتب خير الدين الزركلي ذكر في كتابه «الأعلام» اتصاله ببعض المثقفين من الدرور وأخذ عنهم شيئاً من عقائدهم ولإكمال الفائدة نقل ما جاء في موسوعته، قال:

كنت قد جمعت طائفة من النصوص والمصادر للرجوع إليها عند كتابة هذه الترجمة، ومنها ما جاء في دائرة المعارف البريطانية ٨: ٦٠٣-٦٠٦ مادة «دروز» ودائرة البستاني «دروز» وعرضتها على صديقي الشهيد «فؤاد سليم» وهو من مثقفي المنسويين إلى المذهب الدرزي، فقال: إنّ في الدائرتين البريطانية والبستانية أغلظاً، وصحّح ما أخذته عنهما منها. وأضاف من عنده زيادات مما اشتملت عليه الحاشية السابقة. و أطلعت بعد ذلك صديقي أيضاً «فؤاد حمزة» وهو من أسرة درزية معروفة في لبنان، وكان يومئذٍ في الرياض - بنجد - وانقطعت صلته بالعقيدة التي نشأ عليها، كما ذكر لي مراراً، وسألته عن رأيه في الترجمة

١. رسائل الحكمة: ١/٤٧، الرسالة رقم ٥.

٢. نقل بتصرف من رسالة فرقة الدرور، للسيد نبيل الحيدري.

والحاشية، فكتب لي: «هذا أصح ما كتب في الموضوع حتى الآن، وهو في الحقيقة ما يذهب إليه الجماعة» ثم قال في رسالة أخرى: «إن بعض الرسائل المقول إنها لحمزة هي لغيره. وأكثر ما كتب هو من قلم علي بن أحمد السموقي الملقب ببهاء الدين. وكتب الدرور الستة هي من وضع أربعة أشخاص:

الأول: الحاكم نفسه، وعدد رسائله قليل، منها «الميثاق» و«السجل» الذي وجد معلقاً على المساجد.

والثاني: حمزة، والرسائل التي تركها غير كثيرة.

والثالث: إسماعيل بن محمد التميمي الداعي المكنى بصفوة المستجيبين وبالنفس، فله بعض الرسائل ومنها شعر اسمه «شعر النفس» وهو كملحمة.

والرابع: بهاء الدين الصابري أي علي بن أحمد السموقي، وله معظم الرسائل، وهو الذي نشر الدعوة ووطد أركانها أكثر ممن سبقه.

وقال في رسالة ثالثة: «لا شك في أن الحسن بن هاني كان من كبار الباطنيين، ولكنه باطني في مبتدأ نشوء الدعوة قبل أن تدرك مبلغها الذي عرفت به في عصر الحاكم الفاطمي. و من الواضح أن الحاكميين كانوا آخر من انشق عن الإسماعيلية ولذلك تجد في كتابات الفريقين مصطلحات واحدة، كالناطق، والأساس، وداعي الدعوة، والنقباء، والمكاسرين، والعقل، والنفس الخ البانثيون الباطني».

وقال في رسالة رابعة: «لقد كثر الكتاب في موضوع الإسماعيلية والفرق الباطنية كما كثر فيه الخلط من جانب الذين كتبوا.

والموضوع من الوجهة التاريخية جدير بالعناية لأن هذه الفرق الباطنية هي التي أعملت معولها في بنیان الإسلام تحت ستار من الغيرة الدينية. وقد قرأت عن ذلك الكثير ولكن معظم الكتاب لم يتمكنوا من بلوغ الهدف. إذ أن معرفة حقائق

الدعوات الباطنية لا تتيسر إلا لمن كان مطلعاً على التاريخ الإسلامي بوقائعه الظاهرة وكان في نفس الوقت من جماعة الداخلين في العملية. وقد تكون كتابات بطرس البستاني وكتابات دائرة المعارف البريطانية مهمة ولكن كما ذكرت لك يصعب على من كتب أن يتفقه كنه الدعوة مادام لا يعرف حقيقتها السرية وتفسيراتها الداخلية. ^(١)

أعلام الدرّوز

حمزة بن علي

(٣٧٥-٤٣٣هـ)

حمزة بن علي بن أحمد الفارسي الحاكم الدرزي، من كبار الباطنية، ومن مؤسسي المذهب الدرزي، فارسي الأصل، من مقاطعة زوزن، كان قزاقاً أو لباداً، وتآدب بالعربية وانتقل إلى القاهرة واتصل برجال الدعوة السرية من شيعة الحاكم بأمر الله الفاطمي، فأصبح من أركانها واستمر يعمل لها في الخفاء ويواصل رفع كتبه إلى الحاكم، حتى سنة ٤٠٨ هـ فأظهر الدعوة وجاهر بتأليه الحاكم، وقال: إنّه رسوله، وجعله الحاكم داعي الدعوة ولما هلك الحاكم وحل ابنه (الظاهر لإعزاز دين الله) محلّه سنة ٤١١ هـ فترت الدعوة ثمّ طوردت بعد براءة الظاهر منها سنة ٤١٤ هـ، فاضطر حمزة إلى الرحيل ولحق به بعض أتباعه إلى بلاد الشام، واستقر أكثرهم في المقاطعة التي سمّيت بعد ذلك «جبل الدرّوز» في سورية وسمّوا بالدرّوز. وحمزة عندهم أول الحدود الخمسة المعصومين، ويكتّون عنه بالعقل. وله رسائل في مذهبهم والدعوة إلى الحاكم والردّ على مخالفين منها:

١. «الواقعة» في الرد على الفاسق النصيري.

٢. «الرضا والتسليم» وفيها ذكر الدرزي محمد بن إسماعيل وعصيانه.

٣. «التنزيه» لإظهار تنزيه الإله عن كلّ وصف وإدراك، وفيها ذكر وزراء

الدين ومضادهم (أبالستهم) الخمسة.

٤. «رسالة النساء».

٥. «الصيحة الكائنة».

٦. «نسخة سجل المجتبي».
 ٧. «تقليد الرضى سفير القدرة».
 ٨. «تقليد المقتنى».
 ٩. «مكاتبة أهل الكدية البيضاء».
 ١٠. «شرط الإمام صاحب الكشف».
 ١١. «التحذير والتنبيه».
 ١٢. «البلاغ والنهاية».
 ١٣. «سبب الأسباب والكنز لمن أيقن واستجاب».
- وقد انقطع حمزة عن الكتابة بعد رحيله إلى الشام وانقطاع الصلة بينه وبين شيعة الحاكم في مصر. ^(١) توفي عام ٤٣٣هـ. ^(٢)

جمال الدين عبد الله التنوخي

(٨٢٠ - ٨٨٤ هـ)

هو أكبر شخصية علمية بين الدرور، ولد في عبيه سنة ٨٢٠ هـ، وتوفي فيها في جمادى الآخرة سنة ٨٨٤ هـ، تتلمذ على يد الشيخ أبي علي مرعى زهر الدين، وانتقل إلى دمشق طمعاً في مزيد من العلم اثنتي عشرة سنة وبعدها عاد إلى عبيه، يمضي وقته في التدريس والعبادة حتى أقبل عليه التلاميذ من مختلف نواحي البلاد الدرزية، واشتهر أمره وصارت له مكانة عالية بين أكابر البلاد ومشايخها وأصبح المرجع الدرزي الوحيد لأهل عصره.

١. الزركلي: الأعلام: ٢/٢٧٨-٢٧٩، نقل بتصرف.

٢. وقد ادعى الكاتب الدرزي صالح زهر الدين في كتابه «تاريخ الدرور»: ٣٨، أن حمزة اختفى بعد غيبة الحاكم بوقت قصير في نهاية عام ٤١١هـ.

و يعده الدرور اليوم قطباً من أقطاب المذهب الدرزي، وإن شروحه على بعض رسائل الدرور أو رسائل الحكمة الدرزية كما يطلق عليها تنال عناية وافرة لدى شيوخ العقل الدرور.

و له مصنفات كثيرة، منها:

١. «اللغة العرباء» وهو معجم في اللغة العربية على غرار «الصحاح»

للجوهري.

٢. «سياسة الأخيار في شرح كمالات النبي المختار».

٣. «شروحات الأمير السيد» وهي مجموعة شروح على بعض الرسائل

التوحيدية.

٤. رسالة من بين رسائل الدرور المائة واحدى عشرة^(١)، قام بطبعتها

الكاتب الدرزي عجاج يوسف نويهض، ضمن كتابه الموسوم باسم «التنوخي الأمير عبد الله والشيخ محمد أبو هلال».

والفصول التي طبعت هي في الموضوعات التالية:

١. في تحريم الخمر وكل مسكر.

٢. في طلب الاستفادة والمرشد الأمين.

٣. في النهي عن الغضب ومحقه بالاعتصام بحبل الله .

٤. في آداب جوارح البدن: اللسان، العين، الأذن، اليد، الرجل، البطن.

٥. في اختلاف ألوان الأطعمة.

٦. في الحركة والرياضة قبل الطعام.

٧. في آداب الزواج.

٨. في ادخار المال وإنفاقه.

١. عبد الرحمان البدوي، مذاهب الإسلاميين: ٦٤٤-٦٤٩، نقل بتصرف؛ وله ترجمة في تاريخ الدرور

للدكتور صالح زهر الدين: ٢٦٨.

٩. في النهي عن الاحتكار.
١٠. في الغنى نحو الله ونفسه والمحتاجين.
١١. في معاملات البيع والشراء والقرض والوديعة.
١٢. في واجبات الدائن والمدين.
١٣. في الوصية.
١٤. في تربية الولد.
١٥. شذرات من أقوال التنوخي واختياره. ^(١)

يوسف الكفرقوقي

هو الشيخ يوسف سعيد برّو، من كفرقوق في راشيا، وعرف بهذا الاسم (الكفرقوقي) نسبة لقريته. كان شاعراً دينياً ومن كبار علماء الدرّوز، له كتاب ضخّم اسمه «دور النحو في التوبة إلى الملك الغفور» توفي في قرية «ينطا» بعد عودته من دمشق، ودفن فيها. ^(٢)

محمد أبو هلال

المعروف بـ «الشيخ الفاضل»

(١٠٠٥-١٠٥٠ هـ)

ولد في قرية صغيرة من جبل الشيخ تدعى «الشعيرة»، انكب على القراءة والمطالعة، وبدأ نجمه يلمع ويتألق حتى توصل لمرتبة شيخ عقل الدرّوز كافة،

١. عجاج نويهض: التنوخي الأمير عبد الله والشيخ محمد أبو هلال: الطبعة الثانية، بيروت-١٩٦٣ م.
٢. صالح زهر الدين: تاريخ الدرّوز: ٢٦٩؛ توفيق سلمان: أضواء على تاريخ مذهب التوحيد: ١٦٢-١٦٣، بيروت-١٩٦٣ م.

ونال ثقتهم حتى أصبحوا يطلقون عليه اسم «الشيخ الفاضل»، وبرع في شعره براعة فائقة، وجميع الدروز يرددون شعره في اجتماعاتهم الدينية وطقوسهم، لأنها تمجيد للخالق والمآثر الدينية الحميدة، هذا وقد كتب عنه وعن آدابه أحد تلاميذه ويدعى أبو علي عبد الملك، ضمن كتاب اسمه «آداب الشيخ الفاضل» وفيه وصف لسيرة شيخه الفاضل في مرحلة تديّنه، وهي المرحلة التي كتب فيها الشعر حيث كان يبلغ من العمر الأربعين أو خمسة وأربعين عاماً. توفي في بلدة عين عطا، ودفن فيها عام ١٠٥٠هـ.^(١)

١. عارف أبو شقرا: ثلاثة علماء من شيوخ بني معروف: ٨٢؛ عبد الرحمان بدوي: مذاهب الإسلاميين: ٦٥٣-٦٥٧؛ الدكتور صالح زهر الدين: تاريخ الدروز: ٢٦٩-٢٧٠.

الفصل السابع عشر

في

الفتحية

الفتحية: هم القائلون بإمامة الأئمة الاثني عشر مع عبد الله الأفتح ابن الإمام الصادق عليه السلام يدخلونه بين أبيه الصادق وأخيه الكاظم عليه السلام و قد كان عبد الله أفتح الرأس.

والأفتح كما في اللسان: عريض الرأس، ورأس أفتح ومفطح: عريض. ^(١) وقال الطريحي: أفتح الرجلين: عريضهما ^(٢) وربما يفسر باعوجاج في الرجل.

كان عبد الله بن جعفر الصادق عليه السلام قد ادعى الإمامة والوصاية، بعد رحيل أبيه، وكان هو أكبر أولاد الإمام بعد إسماعيل المتوفى في حياته، فتمسك القائلون بإمامته بحديث رواه عن الإمام أنه قال: «الإمامة في الأكبر من ولد الإمام» ولم يكن حظّه من الدنيا بعد رحيل أبيه إلاّ سبعين يوماً، فقد توفى أبوه الصادق عليه السلام في الخامس والعشرين من شهر شوال عام ١٤٨ هـ، فيكون قد توفي في خامس شهر ذي الحجة الحرام من نفس السنة وبرحيله عاد القائلون بإمامته إلى إمامة الإمام موسى الكاظم عليه السلام. ولقد ظهرت منه أشياء لا ينبغي أن تظهر من الإمام لما امتحنوه بمسائل من الحلال والحرام ولم يكن عنده جواب، وإليك ما وقفنا عليه من النصوص:

١. قال الحسن بن موسى النوبختي: قالت الفطحية: الإمامة بعد جعفر في ابنه عبد الله بن جعفر الأفتح، وذلك أنه كان عند مضيّ جعفر، أكبرٌ وُلِدَه سنأ و جلس مجلس أبيه وادعى الإمامة ووصية أبيه، واعتلوا بحديث يروونه عن أبي

١. ابن منظور: لسان العرب: ٢/ ٥٤٥، مادة «فتح».

٢. الطريحي: مجمع البحرين: ٢/ ٤٠٠، مادة «فتح».

عبد الله جعفر بن محمد أنه قال: الإمامة في الأكبر من وُلد الإمام، فمال إلى عبد الله والقول بإمامته جُلٌّ من قال بإمامة أبيه جعفر بن محمد غير نفر يسير عرفوا الحق فامتحنوا عبد الله بمسائل في الحلال والحرام من الصلاة والزكاة وغير ذلك فلم يجدوا عنده علماً، وهذه الفرقة القائلة بإمامة عبد الله بن جعفر هي «الفتحية» وسُموا بذلك لأنَّ عبد الله كان أفتح الرأس، وقال بعضهم: كان أفتح الرجلين، وقال بعض الرواة: نُسبوا إلى رئيس لهم من أهل الكوفة يقال له عبد الله بن فطيح، ومال إلى هذه الفرقة جُلٌّ مشايخ الشيعة وفقهائها ولم يشكوا في أن الإمامة في «عبد الله بن جعفر» وفي وُلده من بعده، فمات عبد الله ولم يخلف ذكراً، فرجع عامة الفطحية عن القول بإمامته - سوى قليل منهم - إلى القول بإمامة «موسى بن جعفر»، وقد كان رجع جماعة منهم في حياة عبد الله إلى موسى بن جعفر عليه السلام، ثم رجع عامتهم بعد وفاته عن القول به، وبقي بعضهم على القول بإمامته ثم إمامة موسى بن جعفر من بعده، وعاش عبد الله بن جعفر بعد أبيه سبعين يوماً أو نحوها. ^(١)

٢. وقال الكشي: هم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر بن محمد، وسُموا بذلك لأنه قيل إنه كان أفتح الرأس، وقال بعضهم: كان أفتح الرجلين، وقال بعضهم: إنهم نسبوا إلى رئيس من أهل الكوفة يقال له «عبد الله بن فطيح» والذين قالوا بإمامته عامة مشايخ العصاة وفقهائها، مالوا إلى هذه المقالة فدخلت عليهم الشبهة لما روي عنهم عليهم السلام أنهم قالوا: الإمامة في الأكبر من ولد الإمام إذا مضى إمام. ثم منهم من رجع عن القول بإمامته لما امتحنه بمسائل من الحلال والحرام لم يكن عنده فيها جواب، ولما ظهر منه من الأشياء التي لا ينبغي أن يظهر من الإمام.

ثم إنَّ عبد الله مات بعد أبيه بسبعين يوماً، فرجع الباقيون إلا شاذاً منهم عن

القول بإمامته إلى القول بإمامة أبي الحسن موسى عليه السلام ورجعوا إلى الخبر الذي روي: أنّ الإمامة لا تكون في الأخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام وبقي شدّاذ منهم على القول بإمامته، وبعد أن مات قال بإمامة أبي الحسن موسى عليه السلام.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لموسى: «يا بني إنّ أخاك سيجلس مجلسي، ويدّعي الإمامة بعدي، فلا تنازعه بكلمة، فإنّه أوّل أهلي لحوقاً بي»^(١).

٣. ونقل في ترجمة «هشام بن سالم الجواليقي» أنّه قال: كُنّا بالمدينة بعد وفاة أبي عبد الله عليه السلام أنا ومؤمن الطاق أبو جعفر، والناس مجتمعون على أنّ عبد الله صاحب الأمر بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق، والناس مجتمعون عند عبد الله وذلك أنّهم رَووا عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ الأمر في الكبير مالم يكن به عاهة، فدخلنا نسأله عمّا كُنّا نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزكاة في كم تجب؟ قال: في مائتين خمسة. قلنا: ففي مائة؟ قال: درهمان ونصف درهم. قلنا له: والله ما تقول في المرجئة هذا؟!، فرفع يده إلى السماء فقال: لا والله ما أدري ما تقول المرجئة. قال: فخرجنا من عنده ضلّالاً لا ندرى إلى أين نتوجه أنا وأبو جعفر الأحول، فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين حيارى لا ندرى إلى من نقصد، وإلى من نتوجه، نقول: إلى المرجئة، إلى القدرية، إلى الزيدية، إلى المعتزلة، إلى الخوارج.

قال: فنحن كذلك إذ رأيتُ رجلاً شيخاً لا أعرفه يُومي إليّ بيده، فخفتُ أن يكون عيناً من عيون أبي جعفر^(٢)، وذلك أنّه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون على من اتّفق من شيعة جعفر فيضربون عنقه، فخفتُ أن يكون منهم، فقلت لأبي جعفر: تنحّ فإنّي خائف على نفسي وعليك، وإنّما يريدني ليس يريدك، فتنحّ عني لا تُهلّك وتُعين على نفسك. فتنحّى غير بعيد وتبعته الشيخ وذلك أنّي ظننت أنّي

١. الكشي: الرجال: ٢١٩.

٢. المراد أبو جعفر المنصور العباسي.

لا أقدر على التخلص منه، فمازلتُ أتبعه حتى ورد بي على باب أبي الحسن موسى عليه السلام ثم خلاني ومضى، فإذا خادم بالباب، فقال لي: ادخل رحمك الله.

قال: فدخلت فإذا أبو الحسن عليه السلام فقال لي ابتداءً: «لا إلى المرجئة ولا إلى القدريّة، ولا إلى الزيدية، ولا إلى المعتزلة، ولا إلى الخوارج، إليّ إليّ إليّ». قال: فقلتُ له: جعلتُ فداك مضى أبوك؟ قال: «نعم». قال: قلت: جعلتُ فداك مضى في موتٍ؟ قال: «نعم». قلتُ: جعلتُ فداك فمن لنا بعده؟ فقال: «إن شاء الله أن يهديك، هداك». قلت: جعلتُ فداك إن عبد الله يزعم أنّه من بعد أبيه؟ فقال: «يريد عبد الله أن لا يُعبد الله». قال: قلتُ: جعلتُ فداك فمن لنا بعده؟ فقال: «إن شاء الله أن يهديك هداك» أيضاً. قلت: جعلت فداك أنت هو؟ قال: «ما أقول ذلك»، قلت في نفسي: لم أُصِبْ طريقَ المسألة. قال: قلت: جعلتُ فداك عليك إمام؟ قال: «لا». قال: فدخلني شيء لا يعلمه إلا الله إعظاماً له، وهيبة أكثر ما كان يحلّ بي من أبيه إذا دخلتُ عليه، قلت: جعلتُ فداك أسألك عما كان يسأل أبوك؟ قال: «سل تُخبر، ولا تُدع، فإن أذعت فهو الذبح». قال: فسألته فإذا هو بحر.

قال: قلت: جعلت فداك شيعتك وشيعة أبيك ضلال فألقي إليهم وأدعهم إليك فقد أخذت عليّ بالكتمان؟ فقال: «من آنت منهم رشداً فالحق عليهم، وخذ عليهم بالكتمان، فإن أذاعوا فهو الذبح - وأشار بيده إلى حلقه - قال: فخرجتُ من عنده فلقيتُ أبا جعفر، فقال لي: ما وراك؟ قال: قلت: الهدى. قال: فحدثته بالقصة، ثم لقيت المفضل بن عمر وأبا بصير. قال: فدخلوا عليه وسلموا وسمِعوا كلامه وسألوه. قال: ثم قطعوا عليه، قال: ثم لقينا الناس أفواجاً. قال: وكان كل من دخل عليه قطع عليه إلا طائفة مثل عمار وأصحابه، فبقي عبد الله لا يدخل عليه أحد إلا قليلاً من الناس. قال: فلمأ رأى ذلك وسأل عن حال الناس؟ قال: فأخبر أنّ هشام بن سالم صدّ عنه الناس. قال: فقال هشام: فأقعد

لي بالمدينة غير واحد ليضر بوني. (١)

٤. وقال الأشعري (٢٦٠-٣٢٤هـ) عند عدّ فرق الشيعة: ومنهم من يزعم أنّ الإمام بعد جعفر ابنه «عبد الله بن جعفر» وكان أكبر من خلف من ولده وهي في ولده، وأصحاب هذه المقالة يدعون العمّارية، تُسبوا إلى رئيس لهم يعرف بـ«عمّار»، ويُدعون الفطحية، لأنّ عبد الله بن جعفر كان أفضح الرجلين، وأهل هذه المقالة يرجعون إلى عدد كثير.

فأمّا زرارة فإنّ جماعة من العمّارية تدّعي أنّه كان على مقاتلتها، وأنّه لم يرجع عنها، وزعم بعضهم أنّه رجع إلى ذلك حين سأل «عبد الله بن جعفر» عن مسائل لم يجد عنده جوابها، وصار إلى الائتتام بموسى بن جعفر بن محمد، وأصحاب زرارة يدعون «الزرارية» ويدعون «التميمية». (٢)

٥. و تبعه البغدادي ولخصّ كلامه قائلاً: العمّارية وهم منسبون إلى زعيم منهم يسمّى عمّاراً، وهم يسوقون الإمامة إلى جعفر الصادق، ثمّ زعموا أنّ الإمام بعده ولده عبد الله، وكان أكبر أولاده، وكان أفضح الرجلين، ولهذا قيل لأتباعه «الفطحية». (٣)

وقد خبط الرجلان فاخترعا فرقة باسم العمّارية نسبة إلى عمّار بن موسى الساباطي، مع أنّه رجل من أتباع «عبد الله» وأكثر ما يمكن أن يقال أنّه كان داعياً، لا صاحب مذهب.

وأما اتهام الأشعري زرارة بن أعين بأنّه كان من الفطحية مدة ثمّ رجع عنها، فليس له سند إلّا روايات ضعاف، كأكثر ما ورد في حقّ زرارة من الروايات

١. الكشي: الرجال: ٢٣٩-٢٤١.

٢. الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين: ١/٢٧، تصحيح هلموت ريز.

٣. الفرق بين الفرق: ٦٢ برقم ٥٩.

(١). الذامّة.

مع أنّ الصحيح في حقّه ما نقله الصدوق في «كمال الدين» عن إبراهيم بن محمد الهمداني - رضي الله عنه - قال : قلت للرضا عليه السلام : يا بن رسول الله أخبرني عن زرارة، هل كان يعرف حقّ أبيك؟ فقال عليه السلام : «نعم»، فقلتُ له: فلمَ بعث ابنه عبيداً ليتعرف الخبر إلى من أوصى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام؟ فقال: «إنّ زرارة كان يعرف أمر أبي عليه السلام و نصّ أبيه عليه، وإنّا بعث ابنه ليتعرّف من أبي هل يجوز له أن يرفع التقيّة في إظهار أمره، ونصّ أبيه عليه؟ وإنّه لما أبطأ عنه طُوبل بإظهار قوله في أبي عليه السلام، فلم يجب أن يقدم على ذلك دون أمره فرفع المصحف، وقال: اللّهم إنّ إمامي من أثبت هذا المصحف إمامته من ولد جعفر بن محمد عليه السلام». (٢).

٦. وقال الشهرستاني: «الفتحية قالوا بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأفتح، وهو أخو إسماعيل من أبيه وأمه، وأمّهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي، وكان أسن أولاد الصادق.

زعموا أنّه قال: الإمامة في أكبر أولاد الإمام. وقال: الإمام من يجلس مجلسي، وهو الذي جلس مجلسه. والإمام لا يغسله، ولا يصليّ عليه، ولا يأخذ خاتمه، ولا يواريه إلّا الإمام. وهو الذي تولى ذلك كلّ. ودفع الصادق وديعة إلى بعض

١. نقل الكشي الروايات الحاكية عن أنّ زرارة كان شاكاً في إمامة الكاظم عليه السلام وإنّه لما توفي الصادق عليه السلام بعث ابنه «عبيد» للتحقيق عن أمر الإمامة وإنّه لعبد الله أو للكاظم عليه السلام، ثمّ إنّ زرارة مات قبل أن يرجع إليه عبيد، ونقلها السيد الخوئي رحمته الله في معجمه، معجم رجال الحديث: ٧/ ٢٣٠ - ٢٣٤، وناقش في اسنادها وأثبت أنّها، ضعاف، ونحن نجلّ زرارة بن أعين الذي عاش مع الإمامين أبي جعفر الباقر وأبي عبد الصادق عليه السلام قرابة نصف قرن، عن هذه الوصمة.

٢. الصدوق: كمال الدين: ٧٥، ط مؤسسة النشر الإسلامي.

أصحابه وأمره أن يدفعها إلى من يطلبها منه وأن يتخذها إماماً. وما طلبها منه أحد إلاّ عبد الله، ومع ذلك ما عاش بعد أبيه إلاّ سبعين يوماً ومات ولم يعقب ولداً ذكراً.^(١)

لقد غاب عن الشهرستاني مفاد قوله ﷺ: «الإمام من يجلس مجلسي»، فلو صدر منه ذلك القول، فالمراد منه ما يقوم بمثل ما كان الإمام يقوم به في مجال بيان الأصول والفروع، وملء الفراغ الحاصل من رحيله، لا مجرد جلوسه في مكانه وإن كان جاهلاً بأبسط المسائل.

كما أنه لم يثبت أن عبد الله تولى غسل الإمام والصلاة عليه.

وقد روى ابن شهر آشوب عن أبي بصير، عن موسى بن جعفر ﷺ أنه قال: «فيما أوصاني به أبي أن قال: يا بني إذا أنا متُّ فلا يغسلني أحد غيرك، فإن الإمام لا يغسله إلاّ إمام، واعلم أن «عبد الله» أخاك سيدعو الناس إلى نفسه فدعه، فإن عمره قصير. فلما أن مضى غسلته...».^(٢)

٧. وقال الصدوق: قال الصادق لأصحابه في ابنه عبد الله: «إنه ليس على شيء فيما أنتم عليه واتي أبراً منه، برئ الله منه».^(٣)

٨. قال المفيد: وكان عبد الله بن جعفر أكبر إخوته بعد إسماعيل، ولم تكن منزلته عند أبيه كمنزلة غيره من ولده في الإكرام، وكان متهماً بالخلاف على أبيه في الاعتقاد. ويقال أنه كان يخالط الحشوية ويميل إلى مذاهب المرجئة، وادّعى بعد أبيه الإمامة، واحتج بأنه أكبر إخوته الباقين، فاتّبعه على قوله جماعة من أصحاب أبي عبد الله ﷺ، ثم رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى ﷺ، لما تبيّنوا ضعف دعواه وقوة أمر أبي الحسن ﷺ ودلالة حقّه وبراهين إمامته، وأقام نفر

١. الشهرستاني: الملل والنحل/١/١٦٧. ولاحظ التبصير للإسفرائيني: ٣٨.

٢. ابن شهر آشوب: المناقب: ٤/٢٢٤.

٣. اعتقادات الصدوق، المطبوع ضمن مصنفات المفيد: ١١٣.

يسير منهم على أمرهم ودانوا بإمامة عبد الله وهم الطائفة الملقبة بالفطحية، وإنما لزمهم هذا اللقب لقولهم بإمامة عبد الله وكان أفتح الرجلين، ويقال إنهم لقبوا بذلك لأنّ داعيهم إلى إمامة عبد الله كان يقال له عبد الله بن الأفتح. ^(١)

وقال أيضاً: وأمّا الفطحية فإنّ أمرها أيضاً واضح، وفساد قولها غير خاف ولا مستور عمّن تأمله، وذلك أنّهم لم يدعوا نصّاً من أبي عبد الله عليه السلام على عبد الله، وإنّما عملوا على ما رووه من أنّ الإمامة تكون في الأكبر، وهذا حديث لم يُرو قط إلاّ مشروطاً، وهو أنّه قد ورد أنّ الإمامة تكون في الأكبر ما لم تكن به عاهة، وأهل الإمامة القائلون بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام متواترون بأنّ عبد الله كان به عاهة بالدين، لأنّه كان يذهب إلى مذاهب المرجئة الذين يقعون في علي عليه السلام وعثمان، وإنّ أبا عبد الله عليه السلام قال وقد خرج من عنده: «عبد الله هذا مرجئ كبير» وإنّ دخل عليه عبد الله يوماً وهو يحدث أصحابه، فلما رآه سكت حتى خرج، فسئل عن ذلك؟ فقال: «أو ما علمتم أنّه من المرجئة» هذا مع أنّه لم يكن له من العلم بما يتخصص به من العامة، ولا رُوي عنه شيء من الحلال والحرام، ولا كان بمنزلة من يستفتى في الأحكام، وقد ادّعى الإمامة بعد أبيه، فامتحن بمسائل صغار فلم يجب عنها وما أتى بالجواب، فأتي علّة ممّا ذكرناه تمنع من إمامة هذا الرجل، مع أنّه لو لم تكن علّة تمنع من إمامته، لما جاز من أبيه صرف النص عنه، ولو لم يكن صرفه عنه لأظهره فيه، ولو أظهره لنقل وكان معروفاً في أصحابه، وفي عجز القوم عن التعلّق بالنص عليه دليل على بطلان ما ذهبوا إليه. ^(٢)

بقيت هنا أمور :

الأول: الظاهر ممّا ذكرناه أنّ أكثر القائلين بإمامة عبد الله بن جعفر عدلوا عن

١. المفيد: الإرشاد: ٢٨٥-٢٨٦.

٢. العيون والمحاسن: ٢٥٣.

رأيهم، وقالوا بإمامة أخيه موسى بن جعفر بعد إمامة أبيه جعفر الصادق، وأمّا القليل منهم فقال بإمامة موسى بن جعفر بعد الأفضح، فصار عبد الله الإمام السابع، وأخوه موسى الإمام الثامن، وبذلك يتجاوز عدد الأئمة عن الاثني عشر، ولا أظن أنهم وقفوا على عبد الله من دون الاعتقاد بإمامة الآخرين، وإلا كانوا واقفة لا فطحية، وسيوافيك الكلام في المذهب الواقفي عن قريب إن شاء الله.

الثاني: الظاهر ممّا نقله الصدوق عن بعضهم أنّ القائلين بإمامة عبد الله كانوا معروفين بالشمطية كما أنّ بعض الفطحية قال بإمامة إسماعيل بن جعفر بعد رحيل عبد الله، وإليك نص الصدوق ناقلاً عن بعضهم:

قال: قال صاحب الكتاب: وهذه الشمطية تدّعي إمامة عبد الله بن جعفر بن محمد من أبيه بالوراثة والوصية، وهذه الفطحية تدّعي إمامة إسماعيل ابن جعفر عن أبيه بالوراثة والوصية وقبل ذلك إنّما قالوا بإمامة عبد الله بن جعفر ويسمّون اليوم إسماعيلية. لأنّه لم يبق للقائلين بإمامة عبد الله بن جعفر خلف ولا بقية، وفرقة من الفطحية يقال لهم القرامطة، قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر بالوراثة والوصية، وهذه الواقفة على موسى بن جعفر تدّعي الإمامة لموسى وترتقب لرجعته. ^(١)

الثالث: بما أنّ أكثر القائلين بإمامة الأفضح رجعوا عن رأيهم بعد ظهور الحقّ، فلا ينبغي أن يكون ذلك سبباً لجرحهم، نعم من بقى منهم على عقيدته، وآمن بإمامة موسى بن جعفر أو إسماعيل بن جعفر حكمهم حكم سائر فرق الشيعة إذا كانوا متبئين في القول، فيؤخذ برواياتهم، وإلا فلا.

الرابع: أنّ عدّ الفطحية مذهباً ونحلة، أمر غير صحيح لوجهين:

أحدهما: أنّ القول بإمامة عبد الله نشأ عن شبهة، دخلت في أذهانهم، ثمّ

زالت الشبهة، ولم يبق إلا القليل.

وثانيهما: أنّ النحلة عبارة عن آراء في الأصول والعقائد أو في الفروع والأحكام تكون سبباً لتمييز طائفة عن أخرى، وأمّا الاتفاق في عامة الأصول مع اختلاف في أمر واحد، كالاتقاد بإمامة عبد الله، فهذا مالا يبرر عدّ القول به نحلة، والقائلون به فرقة.

نعم، من يريد تكثير النحل، وزيادة عدد الفرق، يصحّ له ذكرهم فرقة من الفرق.

الخامس: أنّ الفطحية وإن اشتركت مع الواقفية في مسألة عدم الاعتراف بالإمام الحقيقي، ولكن الطائفة الأولى كانت أقل تعصباً من الأخرى بدليل أنهم اعترفوا بإمامة موسى الكاظم عليه السلام بعد رحيل إمامهم الأقطع، لكن بين مُحطّي نفسه في الاعتقاد بإمامة الأقطع، وبين مصوّب إمامته مع إمامة الكاظم عليه السلام إلا أنّ الواقفية كانت متعصبة جداً حيث وقفت على إمامة موسى الكاظم عليه السلام ولم تتجاوزها، وجرت مناظرات بينهم وبين القطعية الذين قطعوا بإمامة ابن الكاظم، علي بن موسى الرضا عليه السلام.

يقول المجلسي الأول: واعلم أنّ الفطحية كانوا أقرب إلى الحق من الواقفية، أو هم أبعد عن الحق من الفطحية، لأنّ الفطحية لا ينكرون بقية الأئمة عليهم السلام وكانوا يقولون بإمامتهم، ولهذا شُبّهوا بالحمير، بخلاف الواقفة، فإنهم شُبّهوا بالكلاب الممطورة، والشيخ ذكر الواقفية في كتاب الغيبة وأبطل مذهبهم بالأخبار التي نقلوها. ^(١)

وقال العلامة المامقاني: لا يخفى عليك أنّ القول بالفطحية أقرب مذاهب

الشيعة إلى الحق من وجهين:

أحدهما: أنّ كلّ مذهب من المذاهب الفاسدة يتضمّن إنكار بعض الأئمة عليهم السلام، ومن المعلوم بالنصوص القطعية، أنّ من أنكر واحداً منهم كان كمن أنكر جميعهم، والفطحي يقول بإمامة الاثني عشر جميعاً ويضيف عبد الله بين الصادق والكاظم عليهما السلام، فهو يقول بإمامة ثلاثة عشر، ويحمل أخبار الاثني عشر إماماً على الاثني عشر من ولد أمير المؤمنين عليه السلام، فلا يموت الفطحي إلاّ عارفاً بإمام زمانه بخلاف من مات من أهل سائر المذاهب فإنّه يموت جاهلاً بإمام زمانه.

نعم من مات من الفطحية في السبعين يوماً زمان حياة عبد الله بعد أبيه مات غير عارف لإمام زمانه فمات ميتة جاهلية بخلاف من مات بعد وفاة عبد الله.

ثانيهما: أنّ كلّ ذي مذهب من المذاهب الفاسدة قد تلقى ممن يعتقد إماماً من غير الاثني عشر فروعاً مخالفة لفروعنا بخلاف الفطحية فإنّ عبد الله لم يبق إلاّ سبعين ولم يتلقوا منه حكماً فرعياً وإنّما يعملون في الفروع بما تلقوه من الأئمة الاثني عشر، فالفطحية قائلون بالاثني عشر، عاملون بما تلقوه من الاثني عشر، فليس خطأهم إلاّ زيادة عبد الله سبعين يوماً بين الصادق والكاظم عليهما السلام، وإيراث ذلك الفسق محلّ تأمل. ^(١)

يلاحظ على الثاني: بأنّ الواقفية أيضاً مثل الفطحية لم يتلقوا فروعاً من غير الأئمة، نعم أنّ الفطحية أخذوا منهم جميعاً والواقفية اقتصرت على الأئمة السبعة، فما ذكره من الوجه الثاني لا يعد فرقاً بين الطائفتين.

١. عبد الله المامقاني: تنقيح المقال: ١/١٩٣، الفائدة السابعة.

مشاهير الفطحية

انّ هناك لفيفاً من رواة الشيعة وُصفوا بالفطحية، وهم بين من ثبت على القول بإمامة الأفتح ومن رجع عنه، وإليك أسماءهم المستخرجة من كتب الرجال:

١. أحمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن فضال بن عمر بن أيمن.
٢. إسحاق بن عمّار بن حيّان، مولى بني تغلب، أبو يعقوب الصيرفي الساباطي.
٣. الحسن بن علي بن فضال.
٤. عبد الله بن بكير بن أعين بن سنسن الشيباني الأصبحي المدني.
٥. عبد الله بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.
٦. علي بن أسباط بن سالم بياح الزطّي المقري.
٧. الأزدي الساباطي (كوفي).
٨. علي بن الحسن بن علي بن فضال.
٩. عمّار بن موسى الساباطي.
١٠. محمد بن الحسن بن علي بن فضال.
١١. محمد بن سالم بن عبد الحميد.
١٢. مصدق بن صدقة المدائني.

الفصل الثامن عشر

في

الواقفية

التوقف عند إمامة شخص بعد رحيل إمام ما، ظاهرة برزت عند الشيعة بين آونة وأخرى، ولذلك صار لها إطلاقان:

الأول: التوقف بالمعنى العام من غير اختصاصه بالتوقف على إمام خاص، فإنّ هناك طائفة توقفت عند إمامة الحسين عليه السلام ولم تتجاوز عنه وهم المعروفون بالكيسانية، كما أنّ هناك من توقف عند إمامة الإمام الباقر عليه السلام ولم تتجاوز عنه وهي المعروفة بالمنصورية أو المغيرية وهناك من توقف عند إمامة الإمام الصادق ولم يتجاوز عنه كالإسماعيلية، وهذه الفرق حتى الزيدية من الواقفية الذين لم يعترفوا بإمامة الأئمة الاثني عشر قاطبة وتوقفوا أثناء الطريق، ومع ذلك كلّهم فلا يطلق عليهم الواقفية في كتب الرجال ولا في الملل والنحل، وإنّما يطلق عليهم نفس أسماؤهم، وقد مرّ في الجزء السابع أنّ بعض هذه الفرق غلاة كفّار لا يعترف بهم.

الثاني: الطائفة المتوقفة عند إمامة الإمام موسى الكاظم عليه السلام غير المعترفة بإمامة ابنه علي بن موسى الرضا عليه السلام وهؤلاء المعروفون بـ«الواقفية». وقد اختصت بهم هذه التسمية، فلا تتبادر من هذه التسمية إلا تلك الطائفة.

قال المحقق البهبهاني: اعلم أنّ الواقفة هم الذين وقفوا على الكاظم عليه السلام، وربما يطلق الوقف على من وقف على غير الكاظم عليه السلام من الأئمة... ولكن عند الإطلاق ينصرف إلى من وقف على الإمام الكاظم عليه السلام ولا ينصرف إلى غيرهم إلاّ بالقرينة، ولعلّ من جملتها عدم دركه للكاظم عليه السلام وموته قبله أو في زمانه، مثل سماعه بن مهران وعلي بن حيان ويحيى بن القاسم.^(١)

١. البهبهاني: الفوائد الرجالية: ٤٠.

سبب ظاهرة التوقف

إنَّ السببَ الغالبَ لبروز فكرة التوقف بين طائفة من الشيعة هو أنَّها رزحت تحت نير الحكم الأموي والعباسي ولولا لجوئها إلى التقية واتخاذها سلاحاً لما كتب لها البقاء، حتى أنَّ الاتهام بالزندقة والإلحاد كان أخف وطأً من الاتهام بالتشيع في فترة خلافة عبد الملك بن مروان وإمارة الحجاج على العراق، فكان الأئمة لا يوحون بأسرارهم إلَّا لخاصتهم، حتى نرى أنَّ رحيل كلِّ إمام تعقبه هوة بين الشيعة برهة من الزمن إلى أن يستقرَّ الرأي على الحقِّ.

هذا هو السبب الغالب لنشوء بعض الفرق بين الشيعة الذين لم يكن لديهم أيُّ اختلاف في الأصول والفروع إلَّا في القيادة والإمامة.

إنَّ عصر هارون الرشيد كان عصر القمع والكبت والتضييق على الشيعة وإمامهم، وكانت سياسته على غرار سياسة أبي جعفر الدوانيقي، والتاريخ يحدثنا عن السياسة التي اتبعها مع الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

كان الإمام مهوى قلوب الشيعة، يتلقون عنه أحكام الدين وأصول المذهب، وربما تحمل إليه الأموال من المشرق ومن المغرب فشق على هارون لما أخبره بعض جواسيسه بهذا الأمر، ولأجل معالجة هذا الموقف الذي أشغل فكره، حجَّ في تلك السنة وزار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله إني أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنه يريد التشيت بأمتك وسفك دمائها. ثمَّ أمر به فأخذ من المسجد فأدخل إليه فقيده، وأُخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطتان هو عليه السلام في إحديهما، ووجه مع كلِّ واحدة منهما خيلاً، فأخذ بواحدة على طريق البصرة، والأخرى على طريق الكوفة، ليعمى على الناس أمره، وكان في التي مضت إلى البصرة.

وأمر الرسول أن يسلمه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور، وكان على البصرة

حينئذٍ، فمضى به، فحبسه عنده سنة.

ثم كتب إلى الرشيد أن خذه مني و سلمه إلى من شئت وإلا خلّيت سبيله، فقد اجتهدت بأن أجد عليه حجة، فما أقدر على ذلك، حتى أتيت لأسمع عليه إذا دعا لعله يدعو عليّ أو عليك، فما أسمعته يدعو إلا لنفسه يسأل الرحمة والمغفرة.

فوجه من تسلّمه منه، وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد فبقى عنده مدة طويلة وأراد الرشيد على شيء من أمره فأبى.

فكتب بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فتسلّمه منه، وأراد ذلك منه فلم يفعل. وبلغه أنه عنده في رفاهية وسعة، وهو حينئذ بالرقعة.

وقد أثار هذا الأمر غضب الرشيد إلى ان انتهى الأمر بتجريد الفضل بن يحيى وضربه بسياط وعقابين. (١)

هذا هو موقف الرشيد مع الرجل الذي كان يحترمه جلّ المسلمين وينظرون إليه بأنه من أئمة أهل البيت، فكيف الحال مع سواد الناس إذا اتهموا بالتشيع وموالاة الإمام عليه السلام؟!

قال ابن كثير: فلما طال سجن الإمام الكاظم عليه السلام كتب إلى الرشيد: «أما بعد يا أمير المؤمنين أنه لم ينقض عني يوم من البلاء إلا أنقضى عنك يوم من الرخاء، حتى يفضي بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون». (٢)

ولم يزل الإمام ينقل من سجن إلى سجن حتى انتهى به الأمر إلى سجن السندي بن شاهك، فغال في سجن الإمام وزاد في تقييده، حتى جاء أمر الرشيد بدس السم للكاظم فانبرى السندي إلى تنفيذ هذا الأمر، وكانت نهاية حياة الإمام الطاهر على يده الفاجرة.

١. الطوسي: الغيبة: ٢٨-٣٠ بتلخيص.

٢. ابن كثير: البداية والنهاية: ١٠/١٩٠.

قال أبو الفرج الاصفهاني: لما توفي الإمام مسموماً خشي الرشيد ردة فعل المسلمين عند انتشار خبر موته، فأدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن علي وغيره ليشهدوا على أنه مات حتف أنفه دون فعل من الرشيد وجلالوته، ولما شهدوا على ذلك أخرج بجثمانه الطاهر، ووضع على الجسر ببغداد، ونودي بوفاته. (١)

هذه لمحة خاطفة عن حياة الإمام موسى الكاظم عليه السلام توقفك على الوضع السياسي السائد آنذاك في العراق والحجاز، وموقف الحكومة تجاه إمام الشيعة، أهمل يمكن للإمام التصريح بالقائد من بعده؟! ومع ذلك كله فإن الإمام الكاظم له تنبؤات عن المستقبل المظلم الذي ينتظره بعض الشيعة، وإليك بعض ما روي في ذلك:

روي عن ابن سنان قال: دخلت على أبي الحسن موسى الكاظم من قبل أن يقدم العراق بسنة، وعليّ ابنه جالس بين يديه، فنظر إليّ وقال: «يا محمد أما إنّه ستكون في هذه السنة حركة، فلا تجزع لذلك» قال: قلت: وما يكون جعلني الله فداك فقد أفلقتني؟ قال: «أصير إلى هذا الطاغية، (٢) أما إنّه لا يبدأني منه سوء ومن الذي يكون بعده» (٣) قال: قلت: وما يكون جعلني الله فداك؟ قال: «يضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء». قال: قلت: وما ذلك جعلني الله فداك؟ قال: «من ظلم ابني هذا حقّه، وجحده إمامته من بعدي كان كمن ظلم عليّ بن أبي طالب عليه السلام إمامته وجحده حقّه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله» قال: قلت: والله لئن مدّ الله لي في العمر لأسلمن له حقّه، ولأقرن بإمامته.

قال: «صدقت يا محمد يمّد الله في عمرك وتسلم له حقّه صلى الله عليه وآله وتقرّ له بإمامته وإمامة من يكون بعده»، قال: قلت: ومن ذاك؟ قال: «ابنه محمد»، قال:

١. أبو الفرج الاصفهاني: مقاتل الطالبين: ٥٠٤.

٢. يريد به المهدي العباسي.

٣. يريد به موسى بن المهدي.

قلت: له الرضا والتسليم. (١)

روى الكشي عن الحكم بن عيص، قال: دخلت مع خالي سليمان بن خالد على أبي عبد الله عليه السلام فقال: «يا سليمان من هذا الغلام؟» فقال: ابن اختي، فقال: «هل يعرف هذا الأمر؟» فقال: نعم، فقال: «الحمد لله الذي لم يخلق شيطاناً - ثم قال: - يا سليمان عوذ بالله ولدك من فتنة شيعتنا» فقلت: جعلت فداك وما تلك الفتنة؟! قال: «إنكارهم الأئمة عليهم السلام ووقوفهم على ابني موسى عليه السلام، قال: ينكرون موته ويزعمون أن لا إمام بعده، أولئك شر الخلق». (٢)

إلى غير ذلك من الروايات التي جمعها الشيخ الطوسي في كتاب «الغيبة» مما تدل على تنصيب الإمام الكاظم عليه السلام على إمامة ولده علي بن موسى الرضا عليه السلام غير أنّ حبّ المال آل بالبعض إلى إنكار إمامته، وقد رويت في ذلك روايات نذكر بعضها:

روى الطوسي في «الغيبة» بسنده عن يعقوب بن يزيد الأنباري، عن بعض أصحابه، قال: مضى أبو إبراهيم عليه السلام وعند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند عثمان بن عيسى الرواسي ثلاثون ألف دينار وخمس جوار، ومسكنه بمصر. فبعث إليهم أبو الحسن الرضا عليه السلام أن أحملوا ما قبلكم من المال، وما كان اجتمع لأبي عندكم من أثاث وجوار، فإني وارثه وقائم مقامه، وقد اقتسمنا ميراثه ولا عذر لكم في حبس ما قد اجتمع لي ولوارثه، قبلكم، وكلام يشبه هذا. فأما ابن أبي حمزة فإنه أنكره ولم يعترف بها عنده، وكذلك زياد القندي. وأما عثمان بن عيسى فإنه كتب إليه إنّ أباك - صلوات الله عليه - لم يمت وهو حي قائم، ومن ذكر أنه مات فهو مبطل، واعمل على أنه قد مضى كما تقول: فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وأما الجوّاري فقد اعتقتهنّ وتزوجت بهنّ. (٣)

١. الطوسي: الغيبة: ٣٣-٣٤. ٢. الكشي: الرجال: ٣٨٩؛ البحار: ٤٨/٢٦٥، الحديث ٢٤.

٣. الطوسي: الغيبة: ٦٤-٦٥، الحديث ٦٧.

روى الكشي، عن يونس بن عبد الرحمان، قال: مات أبو الحسن وليس من قوامه أحد إلاّ وعنده المال الكثير، فكان ذلك سبب وقوفهم وجحودهم موته، وكان عند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار. (١)

روى الصدوق في «العلل» عن يونس بن عبد الرحمان قال: مات أبو الحسن عليه السلام وليس من قوامه أحد إلاّ وعنده المال الكثير، فكان ذلك سبب وقوفهم وجحودهم لموته، وكان عند زياد القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار، قال: فلما رأيت ذلك وتبين الحق وعرفت من أمر أبي الحسن الرضا عليه السلام ما علمتُ تكلمت ودعوت الناس إليه، قال: فبعثنا إليه، وقالوا: ما يدعوك إلى هذا؟ إن كنت تريد المال فنحن نغنيك وضمنا لي عشرة آلاف دينار، وقالوا لي: كف، فأبيت وقلت لهم: إننا رؤينا عن الصادقين عليهم السلام أنهم قالوا: إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه، فإن لم يفعل سلب منه نور الإيمان، وما كنت لأدع الجهاد في أمر الله على كل حال، فناصباني وأضمرا لي العداوة.

وروى أيضاً عن أحمد بن حماد قال: أحد القوام، عثمان بن عيسى الرواسي، وكان يكون بمصر، وكان عنده مال كثير وست جواربي، قال: فبعث إليه أبو الحسن الرضا عليه السلام فيهن وفي المال، قال: فكتب إليه أن أباك لم يمتهن، فكتب إليه: إن أبي قد مات، وقد اقتسمنا ميراثه، وقد صحّت الأخبار بموته، واحتج عليه فيه، قال: فكتب إليه: إن لم يكن أبوك مات، فليس لك من ذلك شيء، وإن كان قد مات على ما تحكي، فلم يأمرني بدفع شيء إليك، وقد اعتقت الجواربي وتزوجتهن. (٢)

إلى غيرها من الروايات الدالة على أن سبب التوقف كان حبّ الجاه والمال .

١. الكشي: الرجال: ٣٤٥.

٢. الصدوق: علل الشرائع: ٢٣٥.

الواقفية في كتب الملل والنحل

جاءت الواقفية في كتب الملل والنحل على وجه الإجمال، وهذا يعرب عن عدم وجود دور بارز لهم في عصر الغيبة، وستوافيك القائمة التي ذكرنا فيها بعض أسماء الرواة من الواقفية.

قال النوبختي - بعدما بيّن أن الشيعة انقسمت بعد رحيل الإمام الكاظم عليه السلام إلى فرقتين، وبيّن الفرقة الثانية بالبيان التالي :-

١. وقالت الفرقة الثانية: إن موسى بن جعفر لم يمّت، وإنّه حيّ، ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها، ويملاها كلها عدلاً كما ملئت جوراً، وإنّه القائم المهدي، وزعموا أنّه خرج من الحبس ولم يره أحد نهاراً ولم يعلم به، وأنّ السلطان وأصحابه ادّعوا موته، وموهوا على الناس وكذبوا، وإنّه غاب عن الناس واختفى، ورووا في ذلك روايات عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال: هو القائم المهدي فإن يدهده رأسه عليكم من جبل فلا تصدقوا فإنّه القائم.

وقال بعضهم: إنّه القائم وقد مات، ولا تكون الإمامة لغيره حتى يرجع، فيقوم ويظهر، وزعموا أنّه قد رجع بعد موته إلاّ أنّه مختف في موضع من المواضع حي يأمر وينهى، وأنّ أصحابه يلقونه ويرونه، واعتلّوا في ذلك بروايات عن أبيه، أنّه قال: سمّي القائم قائماً، لأنّه يقوم بعدما يموت.

وقال بعضهم: إنّه قد مات، وإنّه القائم، وإنّ فيه شبيهاً من عيسى بن مريم - صلى الله عليه - وإنّه لم يرجع، ولكنّه يرجع في وقت قيامه فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وإنّ أباه قال: إنّ فيه شبيهاً من عيسى بن مريم، وإنّه يقتل في يدي ولد العباس فقد قتل.

وأنكر بعضهم قتله، وقالوا: مات ورفع الله إليه، وإنّه يرده عند قيامه، فسّموا هؤلاء جميعاً الواقفية لوقوفهم على موسى بن جعفر على أنّه الإمام القائم،

ولم يأتوا بعده بإمام ولم يتجاوزوه إلى غيره.

وقد قال بعضهم ممن ذكر أنه حي: إن الرضا عليه السلام و من قام بعده ليسوا بأئمة، ولكنهم خلفاؤه واحداً بعد واحد إلى أوان خروجه، وإن على الناس القبول منهم والانتهاى إلى أمرهم.

وقد لُقّب الواقفة بعض مخالفيها ممن قال بإمامة علي بن موسى «المطورة» وغلب عليها هذا الاسم وشاع لها، وكان سبب ذلك أن علي بن إسماعيل الميثمي ويونس بن عبد الرحمان ناظرا بعضهم، فقال له علي بن إسماعيل وقد اشتد الكلام بينهم: ما أنتم إلا كلاب مطورة، أراد أنكم أنتن من جيف، لأنّ الكلاب إذا أصابها المطر فهي أنتن من الجيف، فلزمهم هذا اللقب فهم يُعرفون به اليوم، لأنّه إذا قيل للرجل أنّه ممطور فقد عرف أنّه من الواقفة على موسى بن جعفر خاصة، لأنّ كل من مضى منهم فله واقفة قد وقفت عليه، وهذا اللقب لأصحاب موسى. ^(١)

٢. وقال الشيخ الأشعري ملخصاً لما قاله النوبختي ما هذا نصه:

الصف الثاني والعشرون من الرافضة يسوقون الإمامة حتى ينتهوا إلى جعفر بن محمد ويزعمون أنّ جعفر بن محمد نصّ على إمامة ابنه موسى بن جعفر، وأنّ موسى بن جعفر حيّ لم يمّت ولا يموت حتى يملك شرق الأرض وغربها، حتى يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهذا الصنف يدعون «الواقفة» لأنهم وقفوا على «موسى بن جعفر» ولم يتجاوزوه إلى غيره، وبعض مخالفي هذه الفرقة يدعوهم «المطورة» وذلك أنّ رجلاً منهم ناظر «يونس بن عبد الرحمان» ويونس من القطعية الذين قطعوا على موت موسى بن جعفر، فقال له يونس: أنتم أهون عليّ من الكلاب المطورة، فلزمهم هذا التبر. ^(٢)

١. النوبختي: فرق الشيعة: ٨٠-٨٢، وفي ذيل كلامه إشارة إلى القسمين من الوقف كما ذكرناه.

٢. الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٢٨-٢٩.

٣. وقال البغدادي معبراً عن الواقفة بالموسوية: هؤلاء الذين ساقوا الإمامة إلى جعفر، ثم زعموا أنّ الإمام بعد جعفر، كان ابنه موسى بن جعفر، وزعموا أنّ موسى بن جعفر حيّ لم يمّت وأنّه هو المهدي المنتظر، وقالوا إنّ دخل دار الرشيد ولم يخرج منها، وقد علمنا إمامته وشككنا في موته فلا نحكم في موته إلاّ بيقين.

فقليل لهذه الفرقة الموسوية: إذا شككتم في حياته وموته، فشكّوا في إمامته ولا تقطعوا القول بأنّه باق وأنّه هو المهديّ المنتظر، هذا مع علمكم بأنّ مشهد موسى بن جعفر معروف في الجانب الغربي من بغداد ويزار.

و يقال لهذه الفرقة موسوية لانّظارها موسى بن جعفر .

ويقال لها المطورة أيضاً، لأنّ يونس بن عبد الرحمان القمّي كان من القطعية (الذين قطعوا على موت موسى بن جعفر) وناظر بعض الموسوية فقال في بعض كلامه: أنتم أهون على عيني من الكلاب المطورة. (١)

٤. وقال الشهرستاني - بعد أن ذكر الإمام موسى بن جعفر وأنّه دفن في مقابر قريش ببغداد -: اختلفت الشيعة بعده...

فمنهم من توقّف في موته، وقال: لا ندري أمات أم لم يمّت؟ ويقال لهم المطورة، سأمهم بذلك علي بن إسماعيل فقال: ما أنتم إلاّ كلاباً ممطورة.

و منهم من قطع بموته ويقال لهم القطعية.

و منهم من توقّف عليه، وقال: إنّّه لم يمّت، وسيخرج بعد الغيبة، ويقال لهم الواقفة. (٢)

إنّ ظاهرة الوقف بعد رحيل الإمام الكاظم عليه السلام كانت أمراً خطيراً يهدّد

١. البغدادي: الفرق بين الفرق: ٦٣.

٢. الشهرستاني: الملل والنحل: ١٦٩، ولاحظ التبصير للاسفرائيني: ٣٨، حيث عبّر عنهم بالموسوية.

كيان الشيعة، وتماسكها وانسجامها، وقد كانت الواقعة تتمسك بشبهه، ربما تغري البسطاء من الشيعة، وتصدهم عن القول بامتداد الإمامة إلى عصر الإمام المنتظر. ولعلّه لأجل خطورة الوقف، ربما نرى وجود الحث المتزايد على زيارة الإمام الرضا عليه السلام من النبي والوصي والصادق والكاظم عليهم السلام ليلفتوا نظر الشيعة إليه ولا يغفلوا عنه.

فقد روي عنه عليه السلام أنه قال: «ستدفن بضعة منّي بأرض خراسان، لا يزورها مؤمن إلّا أوجب الله له الجنة، وحرّم جسده على النار». (١)

كما توجد روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تؤكد وتحث على زيارة الإمام الرضا عليه السلام وتبيّن فضلها. (٢)

ولعلّ تلك الروايات تهدف إلى رفع الشبهات التي أوجدتها الواقعة في ذلك العصر، ولولا أنّ الرضا هو الإمام القائد بعد أبيه، لما كان لهذا الحث وجه، وقد جابه الإمام الرضا تلك الزوابع بعظات بالغة، ومناظرات قيّمة، قام فيها بإزالة الالتباس عن شبههم.

وقد جمعها العالم الحجة الشيخ رياض محمد حبيب الناصري في كتابه «الواقفية»، حيث بلغت ثمانى مناظرات. و من أراد الوقوف على مضامينها فعليه الرجوع إلى ذلك الكتاب القيم الذي طرح فيه الواقفية ودرسها دراسة تحليلية رائعة. (٣)

١. الصدوق: الفقيه: ٢/ ٣٥١، الحديث ٣٦.

٢. راجع الكافي: ٤/ ٥٨٤؛ والفقيه: ٢/ ٣٤٨-٣٥١؛ والتهذيب: ٦/ ٨٤.

٣. الواقفية: ١/ ١٥١-١٦٣، ولقد رجعنا إلى ذلك الكتاب في دراسة هذه الطائفة فشكر الله مساعيه.

مشاهير الواقفية

يظهر من مراجعة الكتب الرجالية، أنّ عدد الواقفية لم يكن قليلاً، وقد ذكر الشيخ الطوسي فيهم حوالي أربعة وستين شخصاً، فمن مشاهيرهم:

١. سماعة بن مهران.
٢. جعفر بن سماعة.
٣. الحسن بن محمد بن سماعة.
٤. زرعة بن محمد الحضرمي.
٥. زياد بن مروان القندي.
٦. داود بن الحصين.
٧. درست بن أبي منصور.
٨. عثمان بن عيسى الرواسي.
٩. علي بن أبي حمزة البطائني.
١٠. علي بن الحسن الطاطري.
١١. حنان بن سدیر الصيرفي.
١٢. يحيى بن القاسم الخذاء.
١٣. يحيى بن الحسين بن زيد.
١٤. سعد بن خلف. (١)

١. وقد استخراج محقق رجال الطوسي، أسماء الذين وصفوا بالوقف فيه، تحت فهرست المنسويين إلى المذاهب الفاسدة. رجال الطوسي: ٥٨٩-٥٩١.

ثم إن هناك لفيفاً آخر من الواقفية ذكرهم النجاشي في رجاله، وليس فيهم اسم سماعه بن مهران، ولا ولده جعفر، ولا سبطه محمد، وربما تردّد بعضهم في عدّة سماعه من الواقفية، إذ لو كان كذلك لما خفي على مثل النجاشي، ولا على ابن الغضائري.

وقد جمع الشيخ الناصري أسماء الموصوفين بالوقف من الكتب الرجالية وغيرها، غير أن كثيراً منهم رجعوا عن الوقف.

ومن العجب العجيب أنّ سبعة أشخاص من أصحاب الإجماع، رُثموا بالوقف، وهؤلاء هم:

١. أحمد بن محمد بن أبي نصر.
٢. جميل بن دراج.
٣. حماد بن عيسى.
٤. صفوان بن يحيى.
٥. عثمان بن عيسى.
٦. يونس بن عبد الرحمان.
٧. عبد الله بن المغيرة.

و أظن أن اتّهامهم بالوقف ربما يعود إلى فحصهم وتريثهم في الإمام الذي يعقب الإمام الكاظم عليه السلام بعد رحيله. ولو كان هذا هو المنطلق لوصفهم بالوقف فلا يوجد أي مبرر لهذا الرمي والرصف، وعلى أية حال فإنّهم رجعوا عن الوقف، حتّى أنّ يونس بن عبد الرحمان كان في الصف المقدم لمكافحة الوقف وهو الذي وصف الواقفية بالكلاب المطورة كما في بعض الروايات، وهذا ما يثير الشكوك حول وصفه وزملائه بالوقف.

ثم إنَّ هناك ردوداً بين الطائفتين ذكرها الطوسي في «الفهرست» و«الغيبة»
فمن الكتب المؤلّفة في نصرة الواقفية:

١. «نصرة الواقفة» لعلي بن أحمد العلوي الموسوي، ذكره الشيخ. (١)

٢. «الصفة في الغيبة على مذهب الواقفة» لعبد الله بن جبلة. (٢)

٣. رسالة لعلي بن الحسن الطاطري في نصرة مذهبه. (٣)

وهناك ردود من الأصحاب على تلك المؤلفات، ذكرها النجاشي في رجاله،

نذكر منها ما يلي:

١. الرد على الواقفة لإسماعيل بن علي بن إسحاق بن سهل بن نوبخت. (٤)

٢. الرد على الواقفة للحسن بن موسى الخشاب. (٥)

٣. الرد على الواقفة للحسين بن علي البزوفري. (٦)

٤. الرد على الواقفة لفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني. (٧)

بقي الكلام في رجال الواقفة الذين وردت أسماؤهم في الكتب الرجالية،
وكان لهم دور في نقل الحديث وتدوينه، فإليك فهرس أسماؤهم، وأمّا الكلام عن
تراجمهم وحالاتهم فموكول إلى محله.

١. الطوسي: الغيبة: ٢٩.

٢. النجاشي: الرجال: ١٣/٢ برقم ٥٦١.

٣. الطوسي: الفهرست: ١١٨ برقم ٣٩٢.

٤. النجاشي: الرجال: ١/١٢١ برقم ٦٧.

٥. النجاشي: الرجال: ١/١٤٣ برقم ٨٤.

٦. النجاشي: الرجال: ١/١٨٨ برقم ١٦٥.

٧. النجاشي: الرجال: ٢/١٧٤ برقم ٨٤٦.

١. إبراهيم .
٢. أبو جبل .
٣. أبو جعدة .
٤. أبو جنادة الأعمى .
٥. أحمد بن أبي بشر السراج .
٦. أحمد بن الحارث .
٧. أحمد بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التمار .
٨. أحمد بن زياد الخزاز .
٩. أحمد بن السري .
١٠. أحمد بن الفضل الخزاعي .
١١. أحمد بن محمد بن علي بن عمر بن رباح بن قيس بن سالم القلاء السواق .
١٢. إدريس بن الفضل بن سليمان الخولاني .
١٣. إسحاق بن جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي .
١٤. إسماعيل بن أبي بكر محمد بن الربيع بن أبي السمال الأسدي .
١٥. إسماعيل بن عمر بن أبان الكلبي .
١٦. أمية بن عمرو الشعيري .
١٧. بكر بن محمد بن جناح .
١٨. جعفر بن المثنى الخطيب .
١٩. جعفر بن محمد بن سعادة بن موسى بن رويد .
٢٠. جنذب بن أيوب .
٢١. جهم بن جعفر بن حيان .
٢٢. الحسن بن علي بن أبي حمزة سالم البطائني .
٢٣. الحسن بن محمد بن سعادة، أبو محمد الكندي الصيرفي الكوفي .
٢٤. الحسين (من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام) .
٢٥. الحسين بن أبي سعيد هاشم بن حيان المكاربي .
٢٦. الحسين بن قياما .
٢٧. الحسين بن كيسان .
٢٨. الحسين بن المختار، أبو عبد الله القلانسي .

٢٩. الحسين بن مهران بن محمد، أبو نصر السكوني.
٣٠. الحسين بن موسى.
٣١. حصين بن المخارق بن عبد الرحمان بن ورقاء بن حبشي بن جنادة.
٣٢. حميد بن زياد بن حماد بن حماد بن زياد هوار الدهقان.
٣٣. حنان بن سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي.
٣٤. داود بن الحصين الأسدي.
٣٥. دُرست بن أبي منصور محمد الواسطي.
٣٦. زرعة بن محمد الحضرمي.
٣٧. زكريا بن محمد، أبو عبد الله المؤمن.
٣٨. زياد بن مروان الأنباري القندي.
٣٩. زيد بن موسى.
٤٠. سعد بن أبي عمران الأنصاري.
٤١. سعد بن خلف.
٤٢. سلمة بن حيان.
٤٣. سماعة بن مهران بن عبد الرحمان الحضرمي.
٤٤. عبد الله بن جبلة بن حيان بن أبجر الكناني.
٤٥. عبد الله بن عثمان الحنّاط.
٤٦. عبد الله بن القاسم الحضرمي.
٤٧. عبد الله بن القصير.
٤٨. عبد الله النخّاس.
٤٩. عبد الكريم بن عمرو بن صالح الخثعمي.
٥٠. عبيد الله بن أبي زيد أحمد بن عبيد الله بن محمد الأنباري.
٥١. عثمان بن عيسى، أبو عمرو العامري الكلابي الرواسي.
٥٢. عثمان بن عيسى الكلابي، مولى لبني عامر، وليس بالرواسي.
٥٣. علي بن أبي حمزة البطائني.

٥٤. علي بن جعفر بن العباس الخزاعي المروزي.
٥٥. علي بن الحسن بن محمد الطائي الجرمي المعروف بالطاطري.
٥٦. علي بن الخطّاب. ٥٧. علي بن سعيد المكاربي.
٥٨. علي بن عمر الأعرج الكوفي.
٥٩. علي بن محمد بن علي بن عمر بن رباح السوّاق، ويقال: القلاء.
٦٠. علي بن وهبان. ٦١. عمر بن رباح الزهري القلاء.
٦٢. عنبسة بن مصعب العجلي.
٦٣. عيسى بن عيسى الكلابي مولى بني عامر - وليس بالرواسي -.
٦٤. غالب بن عثمان. ٦٥. الفضل بن يونس الكاتب البغدادي.
٦٦. القاسم بن إسماعيل القرشي، أبو محمد المنذر.
٦٧. القاسم بن محمد الجوهري. ٦٨. محمد بن بكر بن جناح.
٦٩. محمد بن الحسن بن شَمون. ٧٠. محمد بن عبد الله الجلاب البصري.
٧١. محمد بن عبد الله بن غالب الأنصاري البزاز.
٧٢. محمد بن عبيد بن صاعد. ٧٣. محمد بن عمر.
٧٤. محمد بن محمد بن علي بن عمرو بن رباح.
٧٥. مقاتل بن مقاتل بن قياما. ٧٦. منصور بن يونس بزرج.
٧٧. موسى بن بكر الواسطي. ٧٨. موسى بن حماد الطيالسي الذراع.
٧٩. هاشم بن حيان، أبو سعيد المكاربي.
٨٠. وهيب بن حفص، أبو علي الجريري.
٨١. يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام.
٨٢. يزيد بن خليفة الحارثي. ٨٣. يوسف بن يعقوب.

خاتمة المطاف

في

النظيرية

الكتابة عن النصيرية كسائر الفرق الشيعية أمر صعب لا سيما وأنهم اضطروا إلى التخفي والانطواء على أنفسهم، وعاشوا في ظل التقية، ومن يتصفح التاريخ يجد أنه لا مندوحة لهم من التكتّم والتحفّظ في عقائدهم، فمعاجم الفرق مليئة بدمتهم وتفسيقهم وتكفيرهم، وقد أخذ بعضهم عن بعض، ولا يمكن الاعتماد على ما نقلوه عنهم إلا بالرجوع إلى كتب تلك الفرقة أو التعايش معهم في أوطانهم حتى ينجلي الحق ليقف الإنسان على مكان من عقائدهم وخفايا أصولهم، ونحن نسرّد قبل كلّ شيء ما ذكرته معاجم الفرق في هذا المقام من دون أيّ تعليق مسهب.

النصيرية في معاجم الملل والنحل

١. ولعلّ أوّل من ذكرهم من أصحاب المقالات هو الشيخ الحسن بن موسى النوبختي من أعلام القرن الثالث، ويظهر منه أنّها نشأت بعد وفاة الإمام الهادي عليه السلام عام ٢٥٤ هـ فقال:

وقد شدّت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته، فقالت بنبوّة رجل يقال له محمد بن نصير النميري، وكان يدّعي أنّه نبي، بعثه أبو الحسن العسكري عليه السلام، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن، ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويزعم أنّ ذلك من التواضع والتذلّل، وأنها إحدى الشهوات والطيبات، وأنّ الله عزّ وجلّ لم يحرم شيئاً من ذلك، وكان يقوي أسباب هذا النميري، محمد بن موسى بن

الحسن بن الفرات. (١)

أقول: ما ورد من النسب في هذا الكلام مما يستبعده العقل جداً، إذ كيف يمكن أن يتبنى أحد في حاضرة الخلافة الإسلامية هذه المنكرات التي لا يرتضيها أي إنسان ساذج؟! ولو كان داعياً إلى هذه الأمور في أجواء نائية بعيدة ربّما يسهل تصديقه.

٢. وقال الكشي (من أعلام القرن الرابع): وقالت فرقة بنو محمد بن نصير الفهري النميري، وذلك أنه، ادعى أنه نبي، وأن علي بن محمد العسكري أرسله، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن، ويقول فيه بالربوبية، ويقول بإباحة المحارم ويحلّل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم، ويقول: إنه من الفاعل والمفعول به أحد الشهوات والطيبات، وإن الله لم يحرم شيئاً من ذلك. وكان محمد ابن موسى بن الحسن بن فرات يقوي أسبابه ويعضده، وذكر أنه رأى بعض الناس محمد بن نصير عياناً وغيلاً له على ظهره، فرآه على ذلك، فقال: إن هذا من اللذات وهو من التواضع لله وترك التجبر، وافترق الناس فيه بعده فرقاً. (٢)

٣. وقد ذكر الأشعري المتوفى (٣٢٤هـ) من أصناف الغالية، أصحاب الشريعي، وقال: يزعمون أن الله حلّ في خمسة أشخاص، ثم انتقل منه إلى ذكر النميرية، وقال: إن فرقة من الرافضة يقال لهم النميرية أصحاب النميري يقولون إن الباري كان حالاً في النميري. (٣)

٤. وقال البغدادي المتوفى (٤٢٩هـ)، في فصل عقده لبيان الفرقة الشريعية أتباع الشريعي والنميرية أتباع محمد بن نصير النميري، ونقل نفس ما نقله الأشعري في حقّ الرجلين ولم يزد عليه شيئاً.

١. فرق الشيعة: ٩٣.

٢. رجال الكشي: ٤٣٨.

٣. مقالات الإسلاميين: ١٥/١.

ومن قارن كتاب الفرق بين الفرق مع كتاب مقالات الإسلاميين يجد أنه صورة ملخصة من الثاني، غير أنه زاد في بيان الفرق سبباً وذمماً غير لائق بشأن الكاتب. ^(١)

٥. وقد عقد الشيخ الطوسي المتوفى (٤٦٠هـ) فصلاً للمدعي البابية عدّ منها الشريعي، ومحمد بن نصير النميري.

قال: كان محمد بن نصير النميري من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام فلما توفي أبو محمد، ادّعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان أنه صاحب إمام الزمان، وادّعى له البابية، وفضحه الله تعالى بما ظهر منه من الإلحاد والجهل، ولعن أبي جعفر محمد بن عثمان له وتبرأه منه، واحتجابه عنه وادّعى ذلك الأمر بعد الشريعي.

ثم قال: قال أبو طالب الأنباري: لما ظهر محمد بن نصير بما ظهر لعنه أبو جعفر (رض) وتبرأ منه فبلغه ذلك، فقصده أبا جعفر (رض) ليعطف بقلبه عليه، أو يعتذر إليه، فلم يأذن له وحجبه وردّه خائباً.

ثم نقل عن سعد بن أبي عبد الله ما نقلناه آنفاً عن النوبختي.

ثم قال: فلما اعتلّ محمد بن نصير العلة التي توفي فيها، قيل له وهو مثقل اللسان: لمن هذا الأمر من بعدك؟ فقال بلسان ضعيف ملجلج: أحمد، فلم يدروا من هو؟ فافترقوا بعده ثلاث فرق، قالت فرقة: إنه أحمد ابنه، وفرقة قالت: هو أحمد ابن محمد بن موسى بن الفرات، وفرقة قالت: إنه أحمد بن أبي الحسين بن بشر بن يزيد، فتفرقوا فلا يرجعون إلى شيء. ^(٢)

ثم إن الشيخ أخرج في أسماء أصحاب الهادي عليه السلام، محمد بن حصين

١. انظر الفرق بين الفرق: ٢٥٢.

٢. الطوسي: الغيبة: ٣٩٨-٣٩٩.

الفهري، وقال: ملعون ولعله محمد بن نصير، فالخصين تصحيف لنصير.^(١) وأخرج في أصحاب الإمام العسكري محمد بن موسى الصريعي، وقال المعلق: وفي بعض النسخ الشريعي، وهو أول من ادعى البابية حسب تنصيب الشيخ الطوسي في الغيبة، ولم يذكر في أصحاب العسكري محمد بن نصير النميري.^(٢)

٦. وقال الاسفرايني المتوفى (٤٧١هـ): الفرقة التاسعة منهم الشرعية والنميرية، و الشرعية أتباع رجل كان يدعى شريعاً، وكان يقول: إن الله تعالى حلّ في خمسة أشخاص في محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن والحسين، وكانوا يقولون: إنّ هؤلاء آلهة وهؤلاء الخمسة خمسة أصداد، إلى أن قال: وكان النميري، خليفته وكان يدعي لنفسه مثله بعده وجملة النميرية والشرعية والخطابية وكانوا يدعون إلهية جعفر الصادق.^(٣)

ولا يخفى وجود التناقض في كلامه حيث فسر الشرعية بالاعتقاد بالألوهية في الخمسة الطاهرة آخرهم الحسين عليه السلام وقال في ذيل كلامه: إنّ الطوائف الثلاث: النميرية - الشرعية - الخطابية كانوا يدعون إلهية جعفر الصادق. ومع ذلك كلّه فما ذكره مأخوذ من الفرق بين الفرق والمقالات وكان الجميع عيال على الأشعري.

٨. وقال ابن أبي الحديد المتوفى (٦٥٥هـ) في فصل عقده لذكر الغلاة من الشيعة والنصيرية وغيرهم: إنّ النصيرية: فرقة أحدثها محمد بن نصير النميري، وكان من أصحاب الحسن العسكري عليه السلام، إلى أن قال: وكان محمد بن نصير من

١. الطوسي: الرجال: أصحاب الإمام الهادي عليه السلام برقم ٣٩.

٢. الطوسي: الرجال: أصحاب الإمام العسكري عليه السلام برقم ١٩.

٣. التبصير في الدين: ١٢٩.

أصحاب الحسن بن علي بن محمد بن الرضا، فلما مات ادعى وكالة لابن الحسن الذي تقول الإمامية بإمامته ففضحه الله تعالى بما أظهره من الإلحاد والغلو، والقول بالتناسخ، ثم ادعى أنه رسول ونبي من قبل الله تعالى، وأنه أرسله علي بن محمد ابن الرضا، وجحد إمامة الحسن العسكري وإمامة ابنه، وادعى بعد ذلك الربوبية وقال بإباحة المحارم. (١)

٩. وقد بسط الكلام الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨هـ) في النصيرية والإسحاقية وعدّهم من جملة غلاة الشيعة وقال: لهم جماعة ينصرون مذهبهم ويدّبون عن أصحاب مقالاتهم، وبينهم خلاف في كيفية إطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت - إلى أن قال - : «قالوا ولم يكن بعد رسول الله ﷺ شخص أفضل من علي (رضي الله عنه)، وبعده أولاده المعصومون وهم خير البرية، فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم، فعن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم.

وإنما أثبتنا هذا الاختصاص «لعلي» رضي الله عنه دون غيره لأنّه كان خصوصاً بتأييد إلهي من عند الله تعالى، فيما يتعلق بباطن الأسرار. قال النبي ﷺ: «أنا أحكم بالظاهر، والله يتولّى السرائر» وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبي ﷺ وقاتل المنافقين إلى علي رضي الله عنه.

وعن هذا شبهه بعيسى بن مريم ﷺ، فقال ﷺ: «لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى بن مريم ﷺ، لقلت فيك مقالاً». (٢)

١٠. وقال العلامة الحلي (٦٤٨-٧٢٦هـ): محمد بن الحصين الفهري من أصحاب أبي الحسن الثالث الهادي ﷺ كان ضعيفاً ملعوناً. (٣)

١. شرح نهج البلاغة: ٨/١٢٢، ولا يخفى أنّ ابن أبي الحديد تفرّد بإنكار النميري إمامة الحسن العسكري ﷺ وإمامة ابنه مع أنه كان يدعي البابية لابن العسكري سلام الله عليهم.

٢. الملل والنحل: ١/١٦٨-١٦٩.

٣. الخلاصة: ٢/٢٥٢ برقم ٢٢.

والعجب أنه عنوانه تارة أخرى، وقال: محمد بن نصير بالنون المضمومة والصاد المهملة، قال ابن الغضائري: قال لي أبو محمد بن طلحة بن علي بن عبد الله بن غلاله، قال لنا أبو بكر بن الجعابي: كان محمد بن نصير من أفاضل أهل البصرة علماً وكان ضعيفاً بدو النصيرية وإليه ينسبون.^(١) ولعلهما شخصان مختلفان.

١١. وقال الجرجاني المتوفى (٨١٦هـ): النصيرية الذين قالوا إن الله حلّ في علي (رض).^(٢)

والباحث في كتب الرجال لأصحابنا يجد أنها تعج بها رواه الشيخ في كتاب الغيبة، والكشي في رجاله.^(٣)

النصيرية فرقة بائدة

إذا كانت النصيرية هي التي عرفها أصحاب المعاجم وغيرهم، فهذه الفرقة قد بادت لا تجد أحداً يتبنّى أفكارها بين المسلمين، إلا إذا كان مغفلاً أو مغرضاً، وربما تكون بعض هذه النسب تماماً أصل له في الواقع، وإنما اتهمت بها بعض فرق الشيعة من قبل أعدائهم، فإن خصومهم من العباسيين شنوا حملة شعواء ودعايات مزيفة ومضلّلة ضدهم، حتى يجد الباحث أنّ الكتاب والمؤلفين المدعومين من قبل السلطات لا يألون جهداً في اتهامهم بأرخص التهم في العقيدة والعمل حتى صارت حقائق راهنة في حق هؤلاء، وتبعهم غير واحد من أصحابنا لحسن ظنّهم بما كتب حولهم.

١. الخلاصة: ٢/٢٥٧ برقم ٦١.

٢. التعريفات: ١٠٦.

٣. انظر تنقيح المقال: ٣/١٩٥.

محمد بن نصير النمبري شخصية قلقة

الحق أن يقال إن ابن نصير شخصية قلقة، يكتنفها كثير من الغموض، فتارة يعدّونه من أفاضل أهل البصرة علماً وأنه ضعيف^(١) وأخرى من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام^(٢)، وأخرى أنه من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام وأنه غال^(٣) وطوراً عدّوه فهيرياً بصرياً مع أنّ هذين لا يجتمعان.^(٤)

وأخيراً تحيروا في أمر هذا الرجل ووضعوا اسمه في قائمة المشتركات.^(٥) ثم إن كتاب الفرق ذكروا رجالاً كان لهم دور في حياة ذلك الرجل، منهم:

الشريعي أبو محمد، وقد عرفت ما قيل حوله؛ وابن فرات، وهو الذي ذكر النوبختي أنه كان يقوي عضد محمد بن نصير، ومن المؤكد أن هذا الرجل ينتمي إلى أسرة شيعية عريقة كان لها مركز ونفوذ في البلاط العباسي. وتقلّد جمع منهم الوزارة، منهم:

١. أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات تسّم عرش الوزارة ثلاث مرّات، خلع وحبس خلالها، فقد تسلّم الوزارة بين سنة ٢٩٦ و٢٩٩ هـ، ثم في سنة ٣٠٤ هـ وثالثة في سنة ٣١١-٣١٣ هـ وقد اتهموه بمؤازرة الأعراب البوادي الذين نهوا بغداد، وكذلك اتهم بالزندقة وصودرت أمواله وذلك أيام المقتدي بالله

١. المامقاني: تنقيح المقال: ٣/١٩٥.

٢. الطوسي: الرجال: أصحاب الإمام الجواد برقم ١٠ و ٢٦.

٣. الطوسي: الرجال: أصحاب الإمام العسكري عليه السلام برقم ٢٠.

٤. الكشي: الرجال: برقم ٣٨٣.

٥. المامقاني: تنقيح المقال: ٣/١٩٦.

العباسي.^(١)

٢. أبو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات وزير الراضي بالله

العباسي.

٣. أبو أحمد المحسن بن الوزير أبي الحسن.

٤. جعفر بن محمد أخو الوزير علي بن محمد.^(٢)

هذه هي النصيرية وهذه هي كلمات أصحاب المعاجم في حقها ونحن على شك في صدق هذه النسب، لأن أكثر من كتب عنهم يعدون خصوصاً لهم، ومن كتب عنهم من غير خصوصهم لم يعتمد على أصل صحيح، فلا يبعد أن تكون هذه الفرقة على فرض وجودها في عصرها من الفرق البائدة التي عبث بها الزمان.

العلويون وأصل التسمية بالنصيرية

إنّ هناك أقلاماً مغرضة حاولت أن تنسب العلويين المنتشرين في الشام والعراق وتركيا وإيران إلى فرقة النصيرية البائدة اعتماداً على أمور ينكرها العلويون اليوم قاطبة.

وأظن أنّ السبب في ذلك هو جور السلطات الظالمة التي أخذت تشوّه صحيفة العلويين وتسودّها، فأقامت فيهم السيف والقتل والفتك والتشريد، ولم تكتفِ بل أخذت بالافتراء عليهم لتنفّر الناس من الاختلاط بهم، وأنّهم زمرة وحشية هجمية، ممّا زاد في انكماش هذه الطائفة على نفسها، لذا نجد من المناسب الكتابة عنهم حسب ما كتبوه عن أنفسهم.

أمّا سبب تسمية العلويين بالنصيرية لأنّه لما فتحت جهات بعلبك وحمص استمد أبو عبيدة الجراح نجدة، فأتاه من العراق خالد بن الوليد، ومن مصر عمرو

١ و ٢. الصابي: كتاب الوزراء: ٢٤٧.

ابن العاص، وأتاه من المدينة جماعة من أتباع علي عليه السلام وهم ممن حضروا بيعة غدير خم، وهم من الأنصار، وعددهم يزيد عن أربعمائة وخمسين، فسُميت هذه القوة الصغيرة، نصيرية، إذ كان من قواعد الجهاد تمليك الأرض التي يفتحها الجيش لذلك الجيش نفسه، فقد سميت الأراضي التي امتلكها جماعة النصيرية: جبل النصيرية، وهو عبارة عن جهات جبل الحلو وبعض قضاء العمرانية المعروف الآن ثم أصبح هذا الاسم علماً خاصاً لكلّ جبال العلويين من جبل لبنان إلى أنطاكية. ^(١)

وهذا الرأي أقرب إلى الصواب، ذلك أنّ المؤرّخين الصليبيين أطلقوا على هذا الجبل اسم «النصيرة» ويبدو أنّ هذا الاسم قد حرّف إلى نصيرية و الذي يعزز القناعة بصحة هذا الرأي هو أنّ إطلاق اسم نصيرية على هذا الجبل، لم يظهر إلّا أثناء الحملات الصليبية، أي بعد عام ٤٩٨ هـ، وإذا كان معنى ذلك أنّ اسم نصيرية قد تغلّب على اسم الجبل في زمن الشهرستاني.

وثمة آراء أخرى قليلة ترى أنّ تسمية نصيرية نسبة إلى نصير غلام الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ويبدو لنا خطل هذه الآراء، خاصة وأنّ التاريخ لم يذكر أنّ للإمام علي غلاماً يدعى نصيراً. ^(٢)

أهم عقائدهم

حسب المصادر المطلعة على حالهم، فإنّ عقائد العلويين لا تختلف عن عقائد الشيعة الاثنا عشرية الإمامية، وهي معروفة مسجّلة. ^(٣)

١. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين: ٨٧-٨٨.

٢. هاشم عثمان: العلويون بين الأسطورة والحقيقة: ٣٥-٣٦.

٣. علي عزيز آل إبراهيم: العلويون والتشيع: ٩١-٩٧، الدار الإسلامية، بيروت، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٩٢ م؛

وراجع العلويون بين الأسطورة والحقيقة لهاشم عثمان، وعقيدتنا وواقعنا لعبد الرحمان الخير.

وما يوجب السكون والاطمئنان في ذلك أن جميع المؤلفين وأرباب كتب الفرق والمذاهب عدّوهم من الشيعة الإمامية الاثنا عشرية على الرغم مما نسبوا إليهم ورموهم بالغلو والتطرف والباطنية وأمثال ذلك مما ستأتي الإشارة إليه.

فالعلويون يؤمنون برسالة محمد بن عبد الله ﷺ ولا يشكّون بإمامة ابن عمه علي بن أبي طالب والأئمة الأحد عشر من صلبه ﷺ وينطقون بالشهادتين عن إيمان فحسبهم شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ والموالات لآل بيته والصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد في سبيل الله والمعاد في اليوم الآخر، وكتابهم القرآن، ما زاغوا عن هواه ولا نهجوا منهجاً غير شريعته، وهم مراجع دينية عرفوا بتمسكهم بالدين وإقامة شعائره الدينية الإسلامية، ويطرحون كلّ حديث لم يشر إليه القرآن وجاء مخالفاً له، كما وأنهم لا يؤيدون قول من يقول بصحة تأويل الآيات التي بحق محمد وآل محمد ﷺ، ويحترمون كل الشرائع السماوية، ويقدّسون كلّ الأنبياء، ولا يشكّون بصحة ما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم، وهم لله مسلمون، ولم يعصوا الرسول في عمل ولم يخالفوه في قول، ويحضرون كلمة العلم الكاملة بأهل البيت، ويعتمدون على جعفر بن محمد الصادق ﷺ في أبحاثهم الدينية وتأويل القرآن والفقه والفتوى، فلا شافعي ولا حنيلي ولا مالكي ولا حنفي عندهم، وكلهم لله حنفاء متبعون ملّة أبيهم إبراهيم، وهو الذي سمّاهم المسلمين ويعبدون الله تعالى لا يشركون في عبادته أحداً.^(١)

ونترك الحديث إلى أحد كتابهم وهو الشيخ عبد الرحمان الخير يتحدث عن عقيدتهم في أصول الدين وفروعه، حيث يقول:

أصول الدين خمسة، وهي:

التوحيد و العدل والنبوة والإمامة والمعاد.

١. أحمد زكي تفاع: أصل العلويين وعقيدتهم: ٤٧-٤٨.

التوحيد: نعتقد بوجود إله واحد خالق للعالم المرئي وغير المرئي، لا شريك له في الملك متصف بصفات الكمال، منزّه عن صفات النقص والمحال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى / ١١).

العدل: نعتقد بأن الله تعالى عادل منزّه عن الظلم، وعن فعل القبيح والعبث، لا يكلف البشر غير ما هو في وسعهم وطاقتهم ولا يأمرهم إلا بما فيه صلاحهم ولا ينهاهم إلا عما فيه فسادهم ولو جهل كثير من العباد وجه الصلاح والفساد في أمره ونهيه سبحانه.

النبوة: نعتقد بأن الله سبحانه يصطفي من خيرة عباده الصالحين رسلاً لإبلاغ رسالاته إلى الناس، ليرشدهم إلى ما فيه صلاحهم ويحذروهم عما فيه فسادهم في الدنيا والآخرة.

ونعتقد بأن الأنبياء كثيرون، ذكر منهم في القرآن الكريم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً، أولهم سيدنا آدم عليه السلام وآخرهم سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم وشريعته هي آخر الشرائع الإلهية وأكملها، ونعتقد بأنها صالحة لكل زمان و مكان.

ونعتقد بعصمة جميع الأنبياء من السهو والنسيان، وارتكاب الذنوب عمداً وخطأً قبل البعثة، وبعدها، وأنهم منزّهون عن جميع العيوب والنقائص، وأنهم أكمل أهل زمانهم وأفضلهم وأجمعهم للصفات الحميدة، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الإمامة: نعتقد بأن الإمامة منصب تقتضيه الحكمة الإلهية لمصلحة البشر في مؤازرة الأنبياء بنشر الدعوة الإلهية، وفي القيام بعدهم بالمحافظة على تطبيق أحكامها بين الناس وبصون التشريع من التغيير والتحريف والتفسيرات الخاطئة.

ولذلك نعتقد اقتضاء اللطف الإلهي بأن يكون الإمام معيّناً بنص إلهي وأن يكون معصوماً مثل النبي سواء بسواء ليضمن المؤمنون إلى الاقتداء به في جميع أعماله وأقواله.

ونعتقد بأن الإمام بعد نبينا محمد ﷺ هو سيدنا الإمام علي بن أبي طالب
 ؑ، ومن بعده ابنه الحسن والحسين، ثم تسعة من ذرية الحسين ؑ، آخرهم
 المهدي عجل الله فرجه، وعجل به فرج المؤمنين.

المعاد: نعتقد بأن الله سبحانه يعيد الناس بعد الموت للحساب، فيجزى
 المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

كما ونؤمن بكل ما جاء في القرآن الكريم، وبما حدث به النبي ﷺ من أخبار
 يوم البعث و النشور والجنة والنار والعذاب والنعيم والصراف والميزان وغير ذلك
 مما أثبتته كتاب الله وحديث رسوله الصحيح.

وأما فروع الدين: فكثيرة أهمها الصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد. (١)

الجبر والاختيار والتفويض

يقول أحد كتابهم في هذا الصدد:

عقيدة المسلمين العلويين في هذه المسألة هي طبق ما جاء عن الإمام أمير
 المؤمنين علي بن أبي طالب ؑ وهو ينفي الجبر والإهمال، وقد منح الله العباد
 القوة على أفعالهم وأوكلهم فيها إلى نفوسهم فعلاً وتركاً بعد الوعد والوعيد، قال
 ؑ في نهج البلاغة: «إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً
 ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً، ولم
 يرسل الأنبياء لعباً ولم ينزل الكتاب عبثاً، ولا خلق السماوات والأرض وما بينهما
 باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار».

وقد شنغ الأمير الشاعر المكزون السنجاري على القائلين بالجبر ووصفهم
 بأن عبيد اللات خير منهم قال:

١. عبد الله الخير: عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين العلويين: ٢٠-٢٣، نقل بتلخيص.

عبيد اللات فيما جاء عنهم
وأما المجبرون فعن يقين
ويقول أيضاً:

يسبّون الإله بغير علم
يسبّون الإله بكل ظلم

إذا كان فعلي له مراداً
ولم دعائي إلى أمور
ومن احتجاجه على القائلين بالجبر قوله:

فلم بما قد أراد يعصى
مني لها الخلف ليس يحصى

قل لمن قال إنّ باري البرايا
من ترى ان أراد بالعبد سوءاً
اتقوا الله ذاك أمر محال
وإذا لم يكن فقد ثبت القو

ليس في خلقه مريد سواه
راح في العبد كارهأ ما قضاه
أن يرى ساخطاً رضاه رضاه
ل لعبد ومان في مدعاه. (١)

ما جيك حولهم

وفي غياب المصادر الموثوقة، نسب مناوئوهم عقائد وآراء شتى إلى العلويين
نشير في ما يلي إلى بعضها:

١. الاعتقاد بالحلول والغلو في حقّ الأئمة سيّما الإمام علي بن أبي طالب

عليه السلام. (٢)

٢. التناسخ. (٣)

٣. نبوة النميري محمد بن نصير. (٤)

١. علي عزيز الإبراهيم: العلويون والتشيع: ٧٦-٨٣.

٢. الشهرستاني: الملل والنحل: ٢/٢٥، ٢٦، سليمان الازدي: الباكورة السليمانية: ٨٧.

٣. النوبختي: فرق الشيعة: ٩٣-٩٤.

٤. نفس المصدر.

- ٤ . شركة الإمام علي مع رسول الله في نبوته. (١)
- ٥ . إباحة المحارم وتحليل نكاح الرجال بعضهم بعضاً. (٢)
- ٦ . افتراقهم إلى ثلاث فرق في خلافة محمد بن نصير النميري. (٣)
- ٧ . عبادة السماء والشمس والقمر على تقاليد الفينيقيين والاعتقاد بوجود الأئمة عليهم السلام فيها. (٤)
- وهذه الافتراءات والتهم إنما تهدف إلى شيء واحد وهو تأليب الناس عليهم دون أن تستند إلى مصدر أو مستند أو وثيقة. ودون أن يتجسّم المؤلفون لتحقيقها، فإن مؤلفي الفرق والملل والنحل كان همّ أكثرهم توسيع رقعة الخلاف، وخلق أكبر عدد ممكن من الفرق وطرح أشياء غريبة عجيبة وغير معقولة ولا مشروعة.

رميهم بالغلو والتطرف

أمّ الاتهامات ضدّهم هي تهمة الغلو وتأليه الإمام علي عليه السلام حيث يكره المؤلفون من قديم وجديد. (٥)

ويرآى أنّ رميهم بالغلو والتطرف كان ردّ فعل من مناوئتهم حيث كان يرميهم هؤلاء بالتقصير في حقّ علي بن أبي طالب عليه السلام أو عدم الإيمان بفضائله وأفضليته من سائر الصحابة، حتى عدائهم له بتحريض من خلفاء الأمويين،

١ . المصدر نفسه.

٢ . الشهرستاني: الملل والنحل: ٢/ ٢٥-٢٦.

٣ . النوبختي: فرق الشيعة: ١١٥-١١٦، الرازي فخر الدين: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ٦١.

٤ . النوبختي: فرق الشيعة: ١١٥-١١٦، وراجع: القلقشندي: صبح الأعشى: ١٣/ ٢٢٢-٢٥٣.

٥ . الدكتور عبد الرحمان بدوي: مذاهب الإسلاميين: ٢/ ٤٢٥، دار العلم للملايين، بيروت.

فقابلوا تهمة بتهمة. ولا غرو في ذلك فإنّ النزاع السياسي والعسكري بين العشائر العلوية وخصومهم من الأمويين والعباسيين والعثمانيين الذين كانوا يتمتعون بالسلطة الرسمية تسبب في شن حرب إعلامية نفسية ضدّهم وسلب الشرعية عنهم حتى يبرّر ذلك التنكيل بهم والفتك الذريع بحقهم، وقد أجاد شاعرهم الأمير حسن المكزون السنجاري حينما أشد:

قد بدت البغضاء منهم لنا كما منالهم بـدا الحب
ومالنا إلا أموالنا لآل طه عندهم ذنب

أعود للحديث عن عقيدة العلويين، فأقول ليس للعلويين مذهب خاصّ بهم يختلف عن مذهب أهل البيت عليهم السلام كما يحاول أن يصوّر ذلك بعض الجهال السذج، وإنّما هم شيعة إمامية اثنا عشرية يتمذهبون بمذهب أهل البيت عليهم السلام ويعولون عليه في أحكامهم ومعاملاتهم، إلّا أنّ ثمة معتقدات علوية متميّزة سوف أحاول التركيز عليها باختصار.

أ. الطريقة الجنبلائية

يقال أحدثها في الشيعة العلويين رجل اسمه أبو محمد عبد الله الجنبلائي المعروف بالجنّان، ويعتقد بعض العلويين أنّه من رؤسائهم الكبار، ومن أعلم أهل عصره في التصوّف، وكان يقيم في العراق العجمي في بلدة جنبلا، ومن هنا اشتهر بالفارسي، ويقال إنّّه سافر إلى مصر وهناك أدخل الحسين بن حمدان الخنصبي في طريقته، وقد تبعه الأخير إلى جنبلا عند عودته فأخذ عنه الأحكام الصوفية والفلسفية وعلوم النجوم والهيئة وبقية العلوم العصرية. ^(١)

والخنصبي أحد مشايخ العلويين الكبار وقد خلف الجنبلائي في رئاسة

١. علي عزيز إبراهيم العلوي: العلويون فدائيو الشيعة المجهولون: ٢٨-٢٩.

مشيخة الطريقة وعنه يقول صاحب كتاب تاريخ العلويين:

كان دأب السيد حسين بن حمدان الخصبي ووكلاؤه في الدين إرشاد بعض أفراد بقية الأديان إلى دين الإسلام، وهؤلاء يبقون بصفة أفراد مسلمين شيعة أي جعفرية، والذين يشاهد فيهم الكفاءة يدخلهم في الطريقة الجنبلائية. (١)

من هنا نعلم أنّ الرجل كانت غايته أن يدعو الناس إلى مذهب أهل البيت كما هو ظاهر، وأنّ الطريقة الجنبلائية ليست سوى معتقد صوفي كبقية المعتقدات الصوفية المكتومة لدى أكثر فرق المسلمين.

ب. العقيدة في الباب

يرى العلويون أنّ الأئمة عليهم السلام هم أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله ولما كانت الأئمة عليهم السلام يحصون علوم الأوّلين والآخرين كان لابدّ لهم من باب يؤخذ فيه عنهم مصداقاً، ولذلك اتبعوا الأثر فاتخذوا باباً لكلّ منهم، والأبواب هم:

١. الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام باب مدينة العلم التي هي النبي، وبابه سلمان الفارسي.
٢. الإمام الحسن المجتبي عليه السلام بابه قيس بن ورقة المعروف بالسفينة.
٣. الإمام الحسين الشهيد عليه السلام بابه رشيد الهجري.
٤. الإمام علي زين العابدين عليه السلام بابه عبد الله الغالب الكابلي.
٥. الإمام محمد الباقر عليه السلام بابه يحيى بن معمر بن أمّ الطويل الشامي.
٦. الإمام جعفر الصادق عليه السلام بابه جابر بن يزيد الجعفي.
٧. الإمام موسى الكاظم عليه السلام بابه محمد بن أبي زينب الكاهلي.
٨. الإمام علي الرضا عليه السلام بابه المفضل بن عمر.
٩. الإمام محمد الجواد عليه السلام بابه محمد بن مفضل بن عمر.

١. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين: ٢٠٨.

١٠. الإمام علي الهادي عليه السلام بابه عمر بن الفرات، المشهور بالكاتب.
١١. الإمام حسن العسكري عليه السلام بابه أبو شعيب محمد بن نصير النميري.
١٢. الإمام الحجّة محمد المهدي عليه السلام فلم يكن له باب.

المحنة والاضطهاد المتواصل

الشيعة عموماً كانوا يعتقدون عدم استحقاق الحكام العباسيين الذين استندوا إلى وسادة الخلافة، وكانوا يضطهدون الشعوب الإسلامية باسم الدين، ومن جملة هؤلاء العلويون، فعمدت السلطة إلى قمعهم وتشريدهم وتعذيبهم، ونشير فيما يلي إلى بعض محنهم ومعاناتهم:

١. أيام المتوكل العباسي اشتد الضغط على أتباع أهل البيت عليهم السلام، فهاجر جمع غفير منهم إلى أقاصي البلاد كبلاد خراسان وبلاد الأكراد، وذلك عام ٢٣٦هـ، حيث أمر باستحضار أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى العراق. وفي القرون التالية، هجم الجيش العباسي بمعاونة جماعة من المتعصبين من حي الرصافة ببغداد على حيٍّ آخر يسمى الكرخ، فنهبوا الدور، وأحرقوا المكتبات والمحلات التجارية والبيوت^(١) حيث أمر الخليفة المنتصر بقتل الشيعة والعلويين في بغداد وراح ضحيتها أربعون ألفاً.

٢. أيام السلطان المملوكي محمد بن قلاوون في عام ١٣٠٥م أمر بتسيير حملة عسكرية عظيمة إلى جبال كسروان (جونه حالياً بقرب بيروت) في لبنان لإبادة الطوائف الشيعية هناك، ومن جملة من فتك بهم العرب العلويون الذين كانوا في شمال لبنان، ولا سيما في القنيطرة و العاقورة ونواحي البترون وعكاثم امتدوا إلى كسروان، والذين تخلصوا من الموت رحلوا إلى الشمال، أي جهات

١. أحمد علي حسن: المسلمون العلويون في لبنان: ٣٠، ط ١، ١٩٨٩م، بيروت؛ الشيخ محمود صالح:

النبأ اليقين عن العلويين: ١٥٤، مؤسسة البلاغ، بيروت - ١٩٨٧م.

اللاذقية وانطاكية. (١)

٣. أيام السلطان سليم العثماني صدرت فتوى بطلب السلطان، اشتهرت بالفتوى الحامدية، فقتل على إثرها عدد كثير من الشيعة في حلب وجبال العلويين (٢) هذا بالإضافة إلى تعذيبهم، وكان ذلك بعد انتصار الأتراك على المماليك عام ١٥١٦م في معركة مرج دابق، فزج السلطان بنصف مليون من الشعب التركي لمواجهة العلويين.

٤. حوالي نهاية القرن الثامن عشر وعلى أثر مقتل طبيب انكليزي استحضر سليمان باشا وتسلم ولاية طرابلس فقتل من قتل من العلويين. (٣)

٥. أيام ثورة الشيخ صالح العلي، في شهر ايار عام ١٩٢١م قام الفرنسيون بحرب دون هوادة ضد الشعب العلوي وقتلوا جمعاً غفيراً منهم، وانتهت المعارك بانتصار الفرنسيين، وقيام الحكم الانتدابي في البلاد. (٤)

هذا مع غض النظر عن المعارك الدامية بينهم وبين الفرنج الصليبيين والقراصنة الذين كانوا يهاجمون الساحل الشامي وحدود الأراضي الإسلامية منذ القرن الثاني إلى أواخر أيام العثمانيين فيأخذون ضحايا من العلويين. (٥) وإضافة إلى المعارك الداخلية والحروب الأهلية الطائفية التي كانت تتأجج نيرانها بدسائس أصحاب السلطة أو المستعمرين والصليبيين؛ كما نشاهد في حروب العلويين والإسماعيلية، والحروب القبلية بين العشائر العلوية. (٦)

١. المصادر نفسها.

٢. عبد الحسين شرف الدين: الفصول المهمة في تأليف الأمة: المقدمة؛ علي عزيز إبراهيم: العلويون والتشيع: ٤٣؛ محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين: ٣٩٦-٤٠٢ و٤٤٥.

٣. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين: ٤٤٥.

٤. الشيخ محمود الصالح: النبأ اليقين عن العلويين: ١٦٩.

٥ و٦. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين: ٤٢٣-٤٢٦ و٣٠٨.

الخلط بين العلويين و الإسماعيليين والقرامطة

هذا الاشتباه والخلط حصل لكثير من الباحثين منهم ابن تيمية في فتواه المشهورة حيث رمى الجميع بنبل واحد^(١) مدّعياً أنّ الملاحدة الإسماعيلية والقرامطة والباطنية والخرمية والمحمدة أسماء لطائفة واحدة.^(٢)

على الرغم من أنّ الخلافات العقائدية والمناوشات العسكرية لم تترك مجالاً للخلط والاشتباه، فنذكر فيما يلي الحروب الطاحنة التي قامت بين العلويين والإسماعيلية على سبيل الإيجاز:

١. في أيام حسن الصباح سكنت قوى الإسماعيليين جبل القصيرة واستأجرت قلعة القدموس حتى استولوا على قلاع العلويين في مصيف والعليقة والخوابي وأبو قبيس وصهيون، وفي عام ٥٢٠هـ استولوا على قلعة بانياس، ولما هجم عليهم المسلمون من كلّ ناحية عندما رأوا عدم مساعدتهم، حالف الإسماعيليون الصليبيين وسلّموهم قلعة بانياس عام ٥٢٣هـ.

٢. تداوم العداء بعد ذلك بين العلويين والإسماعيليين حتى سنة ٩٧٧هـ حيث هجم عليهم العلويون واستولوا على قلاعهم ولكن سرعان ما أنجحت الحكومة العثمانية الإسماعيليين وأعدت لهم مواقعهم.

٣. في خلال سنة ١١١٥هـ جاءت عشيرة بني رسلان واستولت على قلعة مصيف، وقتلت جميع الذكور الكبار، وسكنت مدّة ثمان سنين، وهذه العشيرة من العشائر العلوية.

١. راجع نصّ الفتوى في رسائل ابن تيمية؛ وتجدها كاملة في مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمان بدوي :

٤٤٥/٢

٢. نفس المصدر: ٤٥١.

٤. ثم هاجمت بعض القوات العثمانية القلاع لنجدة الإسماعيليين وقذفوهم بالمدافع وسلموا القلعة للإسماعيليين.

٥. تكررت هذه المناوشات حتى لم يبق للإسماعيليين سوى القدموس.^(١)
ومن شهد بذلك من المحققين، الدكتور عارف تامر في كتابيه القرامطة، ومعجم الفرق الإسلامية.^(٢)

٦. كانت هناك محاولات للتقريب بين عقائد الإسماعيلية والعلويين باءت بالفشل بمساعي مشايخ العلويين العلماء على رأسهم حاتم الطوياني سنة ٧٤٥هـ.^(٣)

أهم العشائر العلوية

العشائر العلوية الرئيسة أربع: الحداديون والنميلانيون والرشاونة والخياطيون، وتقسم كل واحدة من هذه العشائر إلى أفخاذ وبطون، وترجع الثلاث الأولى منها إلى عشيرة المحارزة البشازعة التي هي أقدم العشائر جميعاً.^(٤)
ومن عشائرهم نواصرة وقراحلة ورساونة ورسالنة، جروية باشوطية ومقاورة، ومهالبة.

فهم يرجعون في نسبهم إلى فرعين رئيسيين:

-
١. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين: ٣٣٨-٣٤٠.
 ٢. عارف تامر: معجم الفرق الإسلامية: ١٢٨ فما بعد.
 ٣. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين: ٣٧٨.
 ٤. الدكتور وجيه محي الدين: مجلة النهضة العلوية؛ أحمد زكي تفاع: أصل العلويين وعقيدتهم: ٢٤-٢٥، المطبعة العلمية، النجف الأشرف - ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.

١. فرع القبائل اليمينية (العرب القحطانيين) من همدان وكندة. (١)

٢. فرع القبائل الشامية والعراقية من غسان وبهرا وتنوخ. (٢)

الذين اعتنقوا المذهب الشيعي في وقت مبكر. بعض قبائلهم كالمحارزة يدعون أنهم هاشميون، وبعضهم ازداد عددهم بهجرة قبائل طي (نهاية القرن الثالث الهجري) وغسان الذين دفعتهم الحروب الصليبية ومعهم الأمير حسن بن المكزون (ت ٦٣٨هـ) من جبل سنجار في العراق إلى منطقة الشام في المنطقة الممتدة من طبرية وجبل عامل حتى حلب. (٣)

العشائر العلوية كانوا يسكنون بادية الشام أولاً ثم نزحوا إلى ديار ربيعة في الجزيرة الفراتية، وفي العهد العثماني تركوا بلادهم وسكنوا بيلان، اضنه وانطاكية وقسم منهم سكنوا منطقة الكلبية بقرب اللاذقية في سوريا وقسم آخر منهم في جبال البهرة مع الإسماعيليين، وتسمى جبال لكام، وقسم آخر منهم في جند الأردن وطبريا بالقدس المحتلة.

ومعظم العلويين يحتشدون في سلسلة الجبال الممتدة من عكار (٤) جنوباً إلى طوروس شمالاً، ويتوزع بعضهم في محافظات حمص، حماة ودمشق وحووران كيليكيا ولواء الاسكندرون في سوريا، ويوجد في المهاجر الأمريكية أكثر من ربع مليون علوي فضلاً عن الموجود منهم في لبنان والعراق وفلسطين وإيران. (٥) وكذلك في أوروبا من تركيا واليونان وبلغاريا إلى آلبانيا السفلى. (٦)

١. تاريخ يعقوبي: ٣٢٤، طبع ليدن.

٢. الهمداني: صفة جزيرة العرب: ١٣٢، وراجع تاريخ العلويين: لمحمد أمين غالب الطويل: ٣٤٩-٣٥٦.

٣. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين: ٣٥٦.

٤. في لبنان وكذلك يتواجدون في وادي التيم، وفي جبال الظنين (راجع لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني للدكتور محمد علي ملي).

٥. عبد اللطيف يونس: الثورة العلوية؛ الدكتور سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام.

٦. هاشم عثمان: العلويون بين الأسطورة والحقيقة: ٤٠-٤١.

أعلام العلويين

١ . إسحاق الأحمر

(...-٢٨٦هـ)

إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان النخعي، أبو يعقوب، الملقب بالأحمر، من أهل الكوفة، رئيس الطائفة الإسحاقية، وإليه نسبتهم وكانوا بالمدائن على نحلة النصيرية، وكان إسحاق يطلي بصره بما يغيره فسمي الأحمر، وقيل: لبرص فيه. ذكره الذهبي في رجال الحديث وطعن به وبالغ في ذمه، عمل كتاباً في التوحيد سماه «الصراط». (١)

٢ . المنتجب العاني

(٣٣٠-٤٠٠هـ)

محمد بن الحسن العاني الخديجي المضري، أبو الفضل، المنتجب، ولد في عانة عام ٣٣٠هـ وإليها نسبته، ونشأ فيها وفي بغداد حيث استقر مدة، ثم انتقل إلى حلب وسكنها ثم غادرها إلى جبال اللاذقية واتصل بحسين بن حمدان الخصيبي وتلقى عنه العقيدة والطريقة وأصبح من دعايتها، وله ديوان شعر كان شاعراً وجدانياً غزير المعاني باطنياً. (٢)

١. ميزان الاعتدال: ١/١٩٦ برقم ٧٨٤؛ البداية والنهاية: ١١/١٠٠. ميزان: ١/٣٧٠؛ تاريخ

بغداد: ٣/٢٩٠ و٦/٣٧٨؛ الأعلام: ١/٢٩٥.

٢. الزركلي: الأعلام: ٦/٨٢؛ بروكليمان: تاريخ الأدب العربي: ٣/٣٥٨؛ الدكتور أسعد أحمد علي: فن

المنتجب العاني وعرفانه: ٣٧، دار النعمان، بيروت- ١٩٦٨م.

٣. الحسين بن حمدان الخصبي

(٢٦٠-٣٥٨هـ)

ومن أعظم رجالات العلويين وعلمائهم الحسين بن حمدان الخصبي الجنبلائي^(١) وكنيته أبو عبد الله، ولد في جنبل سنة ٢٦٠هـ وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظه وهو ابن عشر، وحج وهو ابن عشرين، وأتى حلب سنة ٣١٥هـ وتوفي فيها عام ٣٥٨هـ وقبره يعرف بالشيخ يبرق.^(٢)

وشهد وفاته بعض تلامذته ومريديه، منهم: أبو محمد القيس البديعي، وأبو محمد الحسن بن محمد الاعزازي، وأبو الحسن محمد بن علي الجلي.

وأقوال المؤرخين المعاصرين عنه كثيرة بين متحامل عليه وحاقد، وبين ملتزم في الصمت، منهم: النجاشي، وابن الغضائري، وصاحب الخلاصة من المتحاملين عليه.

وفي الفهرست لابن النديم: الحسين بن حمدان الخصبي الجنبلائي يكنى أبا عبد الله، روى عنه التلعكبري وسمع منه في داره بالكوفة سنة ٣٣٤هـ وله فيه إجازة.

وفي لسان الميزان: الحسين بن حمدان بن خصيب الخصبي أحد المصنفين في فقه الإمامية، روى عنه أبو العباس بن عقدة وأثنى عليه وأطراه وامتدحه، كان يؤم سيف الدولة ابن حمدان في حلب.^(٣)

وفي أعيان الشيعة للعلامة السيد محسن الأمين العاملي ترجمة للخصبي

١. جنبلأ محدوداً بضمّتين وثانية ساكنة، كورة ومنزل بين واسط والكوفة في العراق.

٢. محمد أمين غالب الطويل: تاريخ العلويين: ١٩٨؛ الطبرسي النوري: نفس الرحمن: ١٤٢-١٤٤.

٣. علي عزيز الإبراهيم: العلويون والتشيع: ١٢٩.

مفادها امتداحه والثناء عليه وكل ما نسب إليه من معاصريه وغيرهم لا أصل له ولا صحة وإنما كان ظاهر السريرة والجيب وصحيح العقيدة. (١)

ومن أهم مصنفاته:

١. كتاب الهداية الكبرى في تاريخ النبي والأئمة ومعجزاتهم وقد قدم كتابه هذا إلى سيف الدولة الحمداني. (٢)

وهذا الكتاب يشتمل على أربعة عشر باباً في مناقب الرسول ﷺ وأهل بيته، أولها باب رسول الله ﷺ، وثانيها باب السيدة الزهراء ع، وثالثها باب لكل إمام منهم باب من علي إلى المهدي ع، غير أنه توسع في باب المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف). وقد عدّ في هذا الكتاب أسماء رسول الله ﷺ، وأسماء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع، وأسماء فاطمة الزهراء والحسن والحسين والأئمة التسعة من ذرية الحسين ع في السرياني والعبрани والعربي وجميع اللغات المختلفة بجميع أسمائهم وكناهم والخاص والعام منهم، وأسماء أمهاتهم ومواليدهم وأولادهم ودلائلهم وبراهينهم في الأوقات، ووفراً من كلامهم وشاهدتهم وأبوابهم والدلالة من كتاب الله عز وجل والأخبار المروية الماثورة بالأسانيد الصحيحة، وفضل شيعتهم.

٢. الإخوان ٣. المسائل ٤. تاريخ الأئمة ٥. الرسالة ٦. أسماء النبي ﷺ وأسماء الأئمة. (٣)

١. محسن الأمين العاملي: أعيان الشيعة: ٥/ ٤٩٠-٤٩١.

٢. الذريعة: ٢٥/ ١٦٤؛ أحمد زكي تفاع: أصل العلويين وعقيدتهم: ٥٥؛ المامقاني: تنقيح المقال:

٣٢٦/١

٣. أعيان الشيعة: ٥/ ٤٩١.

٤ . الميمون الطبراني

(٣٥٨-٤٢٦هـ)

سرور بن القاسم الطبراني، أبو سعيد، الملقب بالميمون شيخ العلويين في اللاذقية، ورئيس الطريقة المعروفة عندهم بالجنبلانية، ولد في طبريا وإليها نسبه، وانتقل إلى حلب فتفقه بفقهاء العلويين أصحاب الخصبية والجنبلاني، وصنف كتاباً في مذهبهم، ثم رحل إلى اللاذقية والتف حوله من فيها منهم واستمر إلى أن توفي ودفن بها على شاطئ البحر في مسجد الشعراي.^(١)

٥ . الحسن بن مكزون السنجاري

(٥٨٣ - ٦٣٨هـ)

هو الأمير حسن بن يوسف مكزون ابن خضر، ينتهي نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة الأزدي ولد عام ٥٨٣هـ في سنجار العراق، يعدّه العلويون في سورية من كبار رجالهم، كان مقامه في سنجار أميراً عليها، واستنجد به علويو اللاذقية ليدفع عنهم شرور الإسماعيلية سنة ٦١٧هـ فزحف إليهم سنة ٦٢٠هـ وأزال نفوذهم، ثم تصوّف وانصرف إلى العبادة، ومات في قرية «كفر سوسة» عام ٦٣٨هـ بقرب دمشق، وقبره معروف فيها.^(٢)

له ديوان شعر، وكتاب تزكية النفس في العبادات الخمس، وهو صاحب

١. الزركلي: الأعلام: ٣/ ٨١؛ توماني: أحداث التاريخ الإسلامي: ٢/ ١١٣٢.

٢. الزركلي: الأعلام: ٢/ ٢٢٧.

نزعة فلسفية روحية تميل نحو فلسفة محي الدين العربي في تفسير القرآن على رأي المتصوفين، وأنه يعارض ابن الفارض في تائيته في جملة قصائده التي مطلعها:

لبيت لما دعنتي ربة الحجب وغبت عني بها في شدة الطرب^(١)

إلى غير ذلك من الشخصيات التي ذكرها أصحاب التراجم.



تم الجزء الثامن من

«موسوعة بحوث في الملل والنحل»

ولاح بدر تمامه في اليوم

الثاني من شهر رمضان المبارك

من شهور عام ١٤١٨

على يد الفقير إلى الله جعفر السبحاني

ابن الفقيه محمد حسين الخياباني التبريزي تغمده الله بواسع رحمته

حامداً لله ومصلياً على النبي والآل

راجياً عفوَ ربِّه وغفرانه

يوم المساق يوم تلتف الساق بالساق

١. أحمد زكي تفاعحة: أصل العلويين وعقيدتهم: ٢٩-٣٠؛ يونس رمضان: تاريخ المكزون: ٢/٣٤٠-

٣٤١؛ أسعد أحمد علي: معرفة الله، و المكزون السنجاري: ١/٥١٠-٥١١، دار الرائد العربي،

بيروت، ١٩٧٢م.

فهارس الكتاب

١. فهرس مصادر الكتاب

٢. فهرس محتويات الكتاب

فهرس مصادر الكتاب

نبدأ تبركاً بالقرآن الكريم

حرف الألف

١. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء: تقي الدين أحمد بن علي المقرزي (٧٦٦-٨٤٥هـ)، تحقيق جمال الدين الشيال، مصر - ١٤١١هـ.
٢. الأرجوزة المختارة: قاضي القضاة أبو حنيفة النعمان بن محمد (م٣٦٣هـ) تحقيق إسماعيل قربان حسين، معهد الدراسات الإسلامية، جامعة مجيل، مونتريال، كندا - ١٩٧٠م.
٣. الإرشاد: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦-٤١٣هـ) تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم - ١٤١٣هـ.
٤. الأسفار: صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي القوامي (م١٠٥٠هـ) منشورات مكتبة المصطفوي، قم.
٥. أصل العلويين وعقيدتهم: أحمد زكي تفاحة، المطبعة العلمية، النجف الأشرف - ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.
٦. الاعتقادات: الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦-٣٨١هـ)

- المطبوع ضمن مصنفات الشيخ المفيد، الجزء الخامس، منشورات المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، قم المقدسة - ١٤١٣هـ.
٧. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: فخر الدين الرازي: محمد بن عمر الخطيب (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة - ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.
٨. الأعلام: خير الدين الزركلي (١٣١١ - ١٣٩٦ هـ) دار العلم للملايين، بيروت - ١٤٠٤ هـ.
٩. أعلام النبوة: أبو حاتم الرازي (٢٦٠ - ٣٢٢ هـ) إيران - ١٣٩٧ هـ.
١٠. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (م ١٣٧١ هـ) دار التعارف، بيروت.
١١. الإمامة في الإسلام: عارف تامر، منشورات دار الكاتب العربي، بيروت، ومكتبة النهضة - بغداد.

حرف الباء

١٢. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت - ١٤٠٣ هـ.
١٣. البداية والنهاية: ابن كثير: الحافظ أبو الفداء (م ٧٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت - ١٤٠٢ هـ.

حرف التاء

١٤. تاج العقائد ومعادن الفوائد: علي بن محمد الوليد (٥٢٢ - ٦١٢ هـ) تحقيق عارف تامر، دار المشرق، بيروت - لبنان.
١٥. تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمان بن خلدون (م ٨٠٨ هـ) بيروت - ١٩٥٦ م.
١٦. تاريخ الأدب العربي: بروكلمان.

١٧. تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (م ٤٦٣ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.
١٨. تاريخ الأمم و الملوك: الطبري: محمد بن جرير (م ٣١٠ هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان.
١٩. تاريخ الدعوة الإسماعيلية: مصطفى غالب، دار الأندلس، الطبعة الثانية، بيروت- ١٩٦٥ م.
٢٠. تاريخ العلويين: محمد أمين غالب الطويل، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية -١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م.
٢١. تاريخ المكزون: يونس رمضان.
٢٢. تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح اليعقوبي (م بعد ٢٩٢ هـ) منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف - ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
٢٣. تأويل الدعائم: قاضي القضاة أبو حنيفة النعمان بن محمد (م ٣٦٣ هـ) تحقيق محمد حسن الأعظمي، دار المعارف، مصر.
٢٤. التبصير في الدين: أبو المظفر الإسفرايني (م ٤٧١ هـ) بيروت - ١٤٠٣ هـ.
٢٥. التعريفات: الجرجاني: علي بن محمد بن علي (٧٤٠ - ٨١٦ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٥ هـ.
٢٦. تقريب التهذيب: العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣-٨٥٢ هـ) بيروت - ١٩٧٥ م.
٢٧. تنقيح المقال: عبد الله المامقاني (١٢٩٠-١٣٥١ هـ) النجف الأشرف - ١٣٥٠ هـ.
٢٨. تهذيب الأحكام: الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥-٤٦٠ هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران - ١٣٩٠ هـ.

٢٩. تهذيب التهذيب: العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ) دار الفكر، بيروت-١٤٠٤هـ.

حرف الثاء

٣٠. الثورة العلوية: عبد اللطيف يونس.

حرف الخاء

٣١. الخطط المقرزية: تقي الدين أحمد بن علي المقرزي (٧٦٦-٨٤٥هـ) دار صادر، بيروت.

٣٢. الخلاصة: العلامة الحلبي: الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر (٦٤٨-٧٢٦هـ) منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الثانية - ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.

٣٣. خوان الإخوان: ناصر خسرو (٣٩٤-٤٨١هـ).

حرف الدال

٣٤. دائرة المعارف الإسلامية الشيعية: حسن الأمين (المعاصر) دار التعارف، بيروت، الطبعة الرابعة - ١٤١٠هـ.

٣٥. دائرة المعارف: بطرس البستاني، دارالمعرفة، بيروت - لبنان.

٣٦. دائرة المعارف: محمد فريد وجدي، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، الطبعة الرابعة - ١٣٨٦هـ.

٣٧. دعائم الإسلام: قاضي القضاة أبو حنيفة النعمان بن محمد (م ٣٦٣هـ) تحقيق آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، مصر - ١٣٨٣هـ.

حرف الذال

٣٨. الذريعة: آقا بزرك الطهراني (م ١٣٨٩ هـ) دار الأضواء، بيروت.

حرف الراء

٣٩. راحة العقل: حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى (٣٥٢-٤١١ هـ) تحقيق

الدكتور محمد كامل حسين والدكتور محمد مصطفى حلمي، دار

الفكر العربي، القاهرة-مصر.

٤٠. الرجال: البرقي: أحمد بن عبد الله (م ٢٧٤ أو ٢٨٠ هـ) طهران-١٣٨٣ هـ.

٤١. الرجال: الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥-٤٦٠ هـ) النجف الأشرف-

١٣٨١ هـ.

٤٢. الرجال: الكشي: أبو عمرو (من علماء القرن الرابع) مؤسسة الأعلمي، كربلاء

-العراق.

٤٣. الرجال: النجاشي: أحمد بن علي (٣٧٢-٤٥٠ هـ) بيروت-١٤٠٩ هـ.

٤٤. رسائل إخوان الصفا و خلان الوفا: عبد الله بن محمد بن إسماعيل (١٧٩-

٢١٢ هـ) دار بيروت، بيروت-١٤٠٣ هـ.

٤٥. رشفة الصادي: الشريف الحضرمي.

٤٦. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: محمد تقي المجلسي (١٠٠٣-

١٠٧٠ هـ) منشورات مؤسسة الثقافة الإسلامية، قم المقدسة-

١٣٩٣ هـ.

٤٧. الرياض في الحكم بين (الصادين) صاحبي الاصلاح والنصرة: حميد الدين

أحمد بن عبد الله الكرمانى (٣٥٢-٤١١ هـ) تحقيق عارف تامر، دار

الثقافة، بيروت.

حرف السين

٤٨. سير أعلام النبلاء: الذهبي: محمد بن أحمد (م٧٤٨هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤٠٩هـ.

حرف الشين

٤٩. الشجرة المباركة في أنساب الطالبية: فخر الرازي: محمد بن عمر بن الحسين (٥٤٣-٦٠٦هـ) منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة-١٤٠٩هـ.
٥٠. شرح منظومة السبزواري: الحاج ملاهادي السبزواري، منشورات نشر ناب، قم -١٤١٦هـ.
٥١. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (م٦٥٥هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة-١٣٧٨هـ.

حرف الصاد

٥٢. الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي (م٩٧٤هـ) مكتبة القاهرة، مصر - ١٣٨٥هـ.

حرف العين

٥٣. عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين: عبد الله الخير، دمشق، الطبعة السابعة - ١٩٩٤م.
٥٤. علل الشرائع: الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦-٣٨١هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت-١٤٠٨هـ.

٥٥. العلويون بين الأسطورة والحقيقة: هاشم عثمان، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الثانية - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٥٦. العلويون فدائسو الشيعة المجهولون: علي عزيز إبراهيم العلوي، دار الفكر، الطبعة الأولى - ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م.
٥٧. العلويون والتشيع: علي عزيز آل إبراهيم، الدار الإسلامية، بيروت - ١٤٠٣ هـ.
٥٨. عمدة الطالب: ابن عنبه: أحمد بن علي الحسيني (م ٨٢٨هـ) منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، الطبعة الثانية - ١٣٨٠ هـ.
٥٩. العيون والمحاسن: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦-٤١٣ هـ).

حرف الضين

٦٠. الغديـــــر: العلامة عبد الحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ - ١٣٩٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت - ١٣٨٧ هـ.
٦١. الغيـــــة: الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة - ١٤١١ هـ.
٦٢. الغيـــــة: النعماني: محمد بن إبراهيم (من أعلام القرن الرابع الهجري) مكتبة الصدوق، طهران.

حرف الفاء

٦٣. الفخري في أنساب الطالبين: إسماعيل بن الحسين بن محمد المروزي الأزورقاني (٥٧٢ - بعد ٦١٤ هـ) منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة - ١٤٠٩ هـ.
٦٤. الفرق بين الفرق: البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد (م ٤٢٩ هـ) دار

المعرفة، بيروت.

٦٥. فرقة الدرور(رسالة): سيد نبيل الحيدري، منشورات منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية، إيران.

٦٦. فرق الشيعة: النوبختي: الحسن بن موسى (من أعلام القرن الثالث الهجري)، دار الأضواء، بيروت - ١٤٠٤ هـ.

٦٧. الفصول المهمة في تأليف الأمة: عبد الحسين شرف الدين الموسوي، منشورات الرضي، الطبعة الثانية بالأوفسيت عن الطبعة الرابعة لدار النعمان في النجف الأشرف، قم المقدسة - ١٤٠٦ هـ.

٦٨. فن المنتجب العاني وعرفانه: الدكتور أسعد أحمد علي، دار النعمان، بيروت - ١٩٦٨ م.

٦٩. الفوائد الرجالية: البهبهاني.

٧٠. الفهرست: الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) جامعة مشهد، إيران - ١٣٥١ هـ.

٧١. الفهرست: النديم: محمد بن إسحاق (٢٩٦ - ٣٨٥ هـ) القاهرة - ١٣٤٨ هـ.

حرف القاف

٧٢. القصيدة الشافية: داعي مجهول، تحقيق عارف تامر، دار المشرق، بيروت - لبنان.

٧٣. القصيدة الصورية: محمد بن علي بن حسن الصوري (من أعلام القرن الخامس الهجري).

٧٤. قواعد العقائد: نصير الدين الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢ هـ) تحقيق علي الرباني الكلبايفگاني، منشورات لجنة إدارة الحوزة العلمية بقم، قم المقدسة - ١٤١٦ هـ.

حرف الكاف

٧٥. الكافي: الكليني: محمد بن يعقوب (م ٣٢٩هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران-١٣٩٧هـ.
٧٦. الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري: محمد بن محمد (م ٦٣٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.
٧٧. كشف الفوائد في شرح قواعد العقائد: العلامة الحلي: الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (٦٤٧-٧٢٦هـ)، تحقيق حسن مكّي العاملي، دار الصفوة، بيروت، الطبعة الأولى-١٤١٣هـ.
٧٨. كمال الدين: الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦-٣٨١هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة-١٤٠٥هـ.
٧٩. كنز الولد: إبراهيم بن الحسين الحامدي (م ٥٥٧هـ) تحقيق مصطفى غالب، دار النشر فرانزشتاينر، فيسبادن-١٣٩١هـ.

حرف اللام

٨٠. لسان العرب: العلامة ابن منظور: محمد بن مكرم (م ٧١١هـ) قم-١٤٠٥هـ.
٨١. لسان الميزان: العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت.

حرف الميم

٨٢. مجمع البحرين: الطريحي: فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن طريح (٩٧٩-١٠٨٧هـ) منشورات المكتبة المرتضوية، طهران.

٨٣. مدخل إلى تاريخ الإسلام عملياً: أ.س. بيكلي، مكتبة عالم المعرفة، الطبعة الأولى، سلمية، سوريا- ١٩٩٤م.
٨٤. مذاهب الإسلاميين: الدكتور عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت- ١٩٧٣م.
٨٥. مستدرك الوسائل: الشيخ النوري: الحسين بن محمد تقي (١٢٥٤ - ١٣٢٠هـ) مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم- ١٤٠٧هـ.
٨٦. المسلمون العلويون في لبنان: أحمد علي حسن، بيروت، الطبعة الأولى- ١٩٨٩م.
٨٧. معجم رجال الحديث: الخوئي: أبو القاسم الموسوي (١٣١٧-١٤١٣هـ) بيروت - ١٤٠٣هـ.
٨٨. معجم الفرق الإسلامية: عارف تامر.
٨٩. معرفة الله والمكزون السنجاري: أسعد أحمد علي، دار الرائد العربي، بيروت- ١٩٧٢م.
٩٠. مقاتل الطالبين: أبو الفرج الاصفهاني (٢٨٤-٣٥٦هـ) مؤسسة دار الكتاب، قم.
٩١. مقالات الإسلاميين: الأشعري: علي بن إسماعيل (م ٣٢٤هـ) الطبعة الثالثة- ١٤٠٠هـ.
٩٢. الملل والنحل: الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (٤٧٩-٥٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت- ١٤٠٢هـ.
٩٣. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨-٥٨٨هـ) المطبعة العلمية، قم.
٩٤. من لا يحضره الفقيه: الصدوق: محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦-٣٨١هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران- ١٣٩٠هـ.

٩٥. ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد الذهبي (م٧٤٨هـ) دار المعرفة، بيروت.

حرف النون

٩٦. النبأ اليقين عن العلويين: الشيخ محمود صالح، مؤسسة البلاغ، بيروت - ١٩٨٧م.

٩٧. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: الدكتور سامي النشار.

٩٨. نفس الرحمن: الحاج ميرزا حسين الطبرسي النوري (م ١٣٢٠هـ) مؤسسة الآفاق، إيران، الطبعة الأولى - ١٤١١هـ.

٩٩. نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي (٣٥٩ - ٤٠٤هـ) بيروت - ١٣٨٧هـ.

حرف الواو

١٠٠. الواقفية: رياض محمد حبيب الناصري (المعاصر) منشورات المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدسة - ١٤٠٩هـ.

١٠١. وسائل الشيعة: الحر العاملي: محمد بن الحسن (١٠٣٣ - ١١٠٤هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت - ١٤٠٣هـ.

١٠٢. وفيات الأعيان: ابن خلكان: أحمد بن محمد (٦٠٨ - ٦٨١هـ) منشورات الشريف الرضي، قم - ١٣٦٤هـ.

حرف الياء

١٠٣. الينابيع: أبو يعقوب السجستاني (٢٧١ - كان حياً ٣٦٠هـ) تحقيق مصطفى غالب، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان - ١٩٦٥م.

فهرس محتويات الكتاب

الصفحة

الموضوع

٣

تمهيد

الفصل الأول

الخطوط العريضة للمذهب الإسماعيلي

٧

١. انتهاؤهم إلى بيت الوحي و الرسالة

٨

٢. تأويل الظواهر

٨

٣. تطعيم مذهبهم بالمسائل الفلسفية

٩

٤. تنظيم الدعوة

١٠

٥. إضفاء طابع القداسة على أئمتهم ودعاتهم

١٢

٦. تربية الفدائين للدفاع عن المذهب

١٣

٧. كتمان الوثائق

١٤

٨. الأئمة المستورون

الفصل الثاني

الإسماعيلية في معاجم الملل و النحل

| | |
|----|---|
| ٢٣ | الإسماعيلية عند النوبختي |
| ٢٤ | الإسماعيلية عند الأشعري |
| ٢٥ | الإسماعيلية عند البغدادي |
| ٢٥ | الإسماعيلية عند الاسفرايني |
| ٢٥ | الإسماعيلية عند الشهرستاني |
| ٢٦ | الإسماعيلية عند المفيد |
| ٢٦ | الإسماعيلية عند السيد محسن الأمين |

الفصل الثالث

الحركات الباطنية في عصر الإمام الصادق عليه السلام

| | |
|----|--------------------------------------|
| ٣٤ | الكشي والخطابية |
| ٣٦ | الأشعري والخطابية |
| ٣٨ | النوبختي والخطابية |
| ٣٩ | الطبري والحركات الباطنية |
| ٤٠ | تحوّل الخطابية إلى الإسماعيلية |

الفصل الرابع

عبد الله بن ميمون القدّاح إسماعيلي أو اثنا عشري؟

- ٤٨ عبد الله بن ميمون الإمامي في كتب الرجال
- ٥٠ عبد الله بن ميمون الإسماعيلي
- ٥٥ ما روي عن عبد الله بن ميمون الإمامي في الجوامع الحديثية

الفصل الخامس

في الأئمة المستورين

- ٧١ الإمام الأول: إسماعيل بن جعفر الصادق
- ٧٤ جلاله ومكانة إسماعيل عند والده الإمام الصادق عليه السلام
- ٧٤ الإمام الصادق عليه السلام يستأجر من يحجّ عن إسماعيل
- ٧٥ الإمام ينصح إسماعيل عن الإثمّان بالفاسق
- ٧٦ قلة رواياته
- ٧٧ وفاته
- ٧٧ استشهاد الإمام الصادق عليه السلام على موته
- ٨٠ هل كان عمل الإمام تغطية لستره؟
- ٨١ اسطورة حياته بعد رحيل أبيه

- ٨٦ الإمام الثاني: محمد بن إسماعيل
- ٩٣ الإمام الثالث: عبد الله بن محمد بن إسماعيل
- ٩٥ الإمام الرابع: أحمد بن عبد الله
- ٩٧ الإمام الخامس: الحسين بن أحمد

الفصل السادس

في الأئمة الظاهرين

- ١٠٧ الإمام السادس: عبيد الله المهدي
- ١١٤ ذهاب عبيد الله إلى إفريقية
- ١١٧ الإمام السابع: القائم بأمر الله
- ١٢٠ الإمام الثامن: الإمام المنصور بالله
- ١٢٢ الإمام التاسع: المعز لدين الله مؤسس الدولة الفاطمية في مصر
- ١٢٨ الإمام العاشر: العزيز بالله
- ١٣١ الإمام الحادي عشر: الحاكم بأمر الله
- ١٣٤ انشقاق الإسماعيلية
- ١٣٦ الإمام الثاني عشر: الظاهر لإعزاز دين الله علي بن منصور
- ١٣٨ الإمام الثالث عشر: المستنصر بالله

الفصل السابع

في أئمة المستعلية

| | |
|-----|----------------------------------|
| ١٤٣ | الإمام الأول : المستعلي بالله |
| ١٤٤ | الإمام الثاني: الأمر بأحكام الله |
| ١٤٧ | الإمام الثالث: الحافظ لدين الله |
| ١٤٨ | الإمام الرابع: الظافر بأمر الله |
| ١٤٩ | الإمام الخامس: الفائز بنصر الله |
| ١٤٩ | الإمام السادس: العاضد لدين الله |
| ١٥١ | جناية التاريخ على الفاطميين |

الفصل الثامن

في أئمة النزارية المؤمنية والأغاخانية

| | |
|-----|---|
| ١٥٦ | قائمة الأئمة النزارية المؤمنية |
| ١٥٧ | قائمة الأئمة النزارية القاسمية - الأغاخانية |
| ١٥٩ | الإمام الأول : المصطفى بالله نزار بن معد المستنصر |

- ١٦٥ الإمام الثاني: علي الهادي بن الإمام نزار
- ١٦٦ الإمام الثالث: محمد المهدي بن الإمام علي
- ١٦٧ الإمام الرابع: القاهر بقوة الله حسن بن محمد بن علي بن نزار
- ١٦٨ الإمام الخامس: الإمام الحسن علي بن الإمام حسن القاهر
- ١٦٨ الإمام السادس: الإمام أعلى محمد بن الإمام الحسن علي
- ١٦٩ الإمام السابع: الإمام جلال الدين حسن بن أعلى محمد
- ١٧٠ الإمام الثامن: علاء الدين محمد بن الحسن
- ١٧٠ الإمام التاسع: ركن الدين خورشاه بن الإمام علاء الدين

الفصل التاسع

في الأسرة الأبخازية

- ١٧٥ ١. حسن علي شاه
- ١٧٦ ٢. علي شاه
- ١٧٧ ٣. سلطان محمد شاه «آغا خان الثالث»
- ١٨١ الإمام يتعلم على يد مأمومه
- ١٨٣ ٤. كريم بن علي بن محمد «آغا خان الرابع»

الفصل العاشر

في الإسماعيلية والأصول الخمسة

- ١٩١ ١. عقيدتهم في التوحيد
- ١٩١ عقيدتهم في توحيده سبحانه أنه واحد لا مثل له ولا ضد
- ١٩٢ أنه سبحانه ليس أيضاً
- ١٩٥ في نفي التسمية عنه
- ١٩٦ في نفي الصفات عنه
- ١٩٨ الصادر الأول هو الموصوف بالصفات العليا
- ٢٠٠ ٢. عقيدتهم في العدل
- ٢٠٠ الإنسان مخير لا مسير
- ٢٠١ القضاء والقدر لا يسلبان الاختيار
- ٢٠٢ ٣. عقيدتهم في النبوة
- ٢٠٢ النبوة أعلى درجات البشر
- ٢٠٢ الرسالة الخاصة والعامة
- ٢٠٣ الوحي
- ٢٠٤ في أن الأنبياء لا يولدون من سفاح
- ٢٠٤ في صفات الأنبياء

الصفحة

الموضوع

- ٢٠٥ الرسول الناطق
- ٢٠٦ في المعجزات التي يأتي بها الرسل
- ٢٠٧ في أنّ الرسول الخاتم أفضل الرسل
- ٢٠٧ في أنّ الشريعة موافقة للحكمة
- ٢٠٨ في أنّ الشريعة لها ظاهر وباطن
- ٢٠٩ ٤. عقيدتهم في الإمامة، وفيه مقامان
- ٢٠٩ المقام الأول: الإمامة المطلقة
- ٢١٠ الإمام المقيم
- ٢١٠ الإمام الأساس
- ٢١١ الإمام المتم
- ٢١١ الإمام المستقر
- ٢١١ الإمام المستودع
- ٢١٣ المقام الثاني: في الإمامة الخاصة
- ٢١٣ صاحب الوصية أفضل العالم بعد النبي في الدور
- ٢١٣ في أنّ الإمامة في آل بيت رسول الله ﷺ
- ٢١٤ في أنّ الإمامة وارثة النبوة والوصاية
- ٢١٥ في انقطاع الوصاية بعد ذهاب الوصي

الصفحة

الموضوع

- ٢١٥ في استمرار الإمامة في العالم دون النبوة والوصاية
- ٢١٧ في أن الإمام لا تجوز غيبته من الأرض
- ٢١٩ في الوصية بعد الرسول ﷺ إلى الوصي
- ٢١٩ في قعود علي عن الخلافة
- ٢٢٠ في فساد إمامة المفضل
- ٢٢١ في إبطال اختيار الأمة للإمام
- ٢٢١ في أن كل متوثب على مرتبة الإمام فهو طاغوت
- ٢٢٢ في أن الأرض لا تخلو من حجة لله فيها
- ٢٢٣ منع المبتي عن الكلام
- ٢٢٤ في أن القرآن لا ينسخه إلا قرآن مثله
- ٢٢٤ في مخطئة القياس والاستحسان
- ٢٢٧ ٥. عقيدتهم في المعاد وما يرتبط به
- ٢٢٧ في المعاد روحاني لا جسماني
- ٢٢٩ في التناسخ
- ٢٣٠ في الحساب
- ٢٣٠ في الجنة
- ٢٣١ في الملائكة
- ٢٣١ في الجن

الفصل الحادي عشر

في شجرة الإسماعيلية

| | |
|-----|--|
| ٢٣٦ | شجرة الإمامة الإسماعيلية منذ أقدم العصور |
| ٢٣٦ | الدور الأول |
| ٢٣٧ | التعليقات |
| ٢٣٨ | الدور الثاني |
| ٢٣٨ | التعليقات |
| ٢٣٩ | الدور الثالث |
| ٢٤١ | التعليقات |
| ٢٤٢ | الدور الرابع |
| ٢٤٣ | التعليقات |
| ٢٤٤ | الدور الخامس |
| ٢٤٥ | التعليقات |
| ٢٤٦ | الدور السادس |
| ٢٤٦ | التعليقات |
| ٢٤٧ | تتمة الدور السادس |
| ٢٤٧ | التعليقات |
| ٢٥٣ | تأملات في أدوار الإمامة |
| ٢٥٦ | تتمة الدور السادس |

الفصل الثاني عشر

في نظرية المثل والمثول

أو تأويلات إسماعيلية

| | |
|-----|--------------------------------|
| ٢٦٢ | العقول العشرة |
| ٢٦٥ | النطقاء السبعة وأمثالها |
| ٢٦٦ | الأنوار الخمسة وأمثالها |
| ٢٦٧ | نماذج من تأويلاتهم الفقهية |
| ٢٦٩ | كتاب الولاية (الدعامة الأولى) |
| ٢٧١ | كتاب الطهارة (الدعامة الثانية) |
| ٢٧٢ | في التيمّم |
| ٢٧٣ | في ذكر التنظّف |
| ٢٧٤ | كتاب الصلاة (الدعامة الثالثة) |
| ٢٧٥ | في عدد الصلاة |
| ٢٧٦ | في وقت الصلاة |
| ٢٧٧ | في الأذان والإقامة |
| ٢٧٨ | في ذكر المساجد |
| ٢٧٨ | في تكبيرة الافتتاح |
| ٢٧٩ | في القراءة |
| ٢٨٠ | في صلاة العيدين |

الفصل الثالث عشر

في أعلام الفكر الإسماعيلي

- ٢٨٥ ١. أحمد بن حمدان بن أحمد الورثنياني (أبو حاتم الرازي)
- ٢٨٨ ٢. محمد بن أحمد النسفي البروغي (النخشي)
- ٢٨٩ ٣. أبو يعقوب السجستاني
- ٢٩١ ولادته ووفاته
- ٢٩٣ ٤. أبو حنيفة النعمان
- ٢٩٥ النعمان إسماعيلي لا اثنى عشري
- ٣٠١ نظرة في كتاب الدعائم
- ٣٠٢ ٥. أحمد بن حميد الدين بن عبد الله الكرمانى
- ٣٠٥ ٦. المؤيد في الدين
- ٣٠٧ ٧. ناصر خسرو (الرحالة المعروف)
- ٣٠٩ ٨. محمد بن علي بن حسن الصوري
- ٣١٠ ٩. إبراهيم بن الحسين الحامدي
- ٣١٤ ١٠. علي بن محمد الوليد

الفصل الرابع عشر

التنظيمات السرية للإسماعيلية

٣٢١ التنظيمات السرية للدعوة الإسماعيلية النزارية

الفصل الخامس عشر

في القرامطة

٣٣١ الملامح العامة للقرامطة

٣٣١ أسباب نشوء الحركة القرمطية ومؤسستها

٣٣٣ فرق القرامطة

٣٣٤ انقسام القرامطة إلى حركتين بعدما كانت حركة واحدة

٣٣٥ عقائد القرامطة

٣٣٥ ١. نظرية الحلول عند القرامطة

٣٣٥ ٢. الغلو عند القرامطة

٣٣٦ ٣. التأويل الباطني في تفسير القرآن

٣٣٧ نهاية القرامطة سياسياً وعسكرياً

٣٣٧ الأسباب الذاتية

٣٣٩ الأسباب الخارجية

٣٤٠ نهاية القرامطة

الفصل السادس عشر

في فرقة الدروز

- الدروز في موسوعات دائرة المعارف ٣٤٤
١. الدروز في دائرة المعارف البستانية ٣٤٤
٢. الدروز في دائرة المعارف المصرية ٣٤٧
- عقائد الدروز ٣٤٩
١. اعتقادهم بألوهية الحاكم ٣٤٩
٢. التحريف الواضح للقرآن وإنّ الأنبياء أبالسة جاءوا للظاهر ٣٥١
٣. إيمانهم بالتناسخ واعتباره مبدأً في عقيدتهم ٣٥١
٤. إسقاط التكليف ٣٥٢
٥. تفسير الشهادتين ٣٥٣
٦. تقديمهم للعجل وإظهاره في مراسمهم واحتفالاتهم ٣٥٤
٧. تأويل غريب ومنحرف للأحاديث الإسلامية ٣٥٤
- أعلام الدروز ٣٥٨
١. حمزة بن علي ٣٥٨
٢. جمال الدين عبد الله التنوخي ٣٥٩
٣. يوسف الكفرقوقي ٣٦١
٤. محمد أبو هلال المعروف بـ«الشيخ الفاضل» ٣٦١

الفصل السابع عشر

في الفطحية

- ٣٦٥ الفطحية في معاجم الملل والنحل
- ٣٧٦ مشاهير الفطحية

الفصل الثامن عشر

في الواقفية

- ٣٨٠ سبب ظاهرة التوقف
- ٣٨٥ الواقفية في كتب الملل والنحل
- ٣٨٩ مشاهير الواقفية

خاتمة المطاف

في النصيرية

- ٣٩٧ النصيرية في معاجم الملل والنحل
- ٤٠٢ النصيرية فرقة بائدة
- ٤٠٣ محمد بن نصير النميري شخصية قلقة
- ٤٠٤ العلويون وأصل التسمية بالنصيرية

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ٤٠٥ | أهم عقائدهم |
| ٤٠٨ | الجبر والاختيار والتفويض |
| ٤١٠ | رميهم بالغلو والتطرف |
| ٤١١ | الطريقة الجنبلائية |
| ٤١٢ | العقيدة في الباب |
| ٤١٣ | المحنة والاضطهاد المتواصل |
| ٤١٥ | الخلط بين العلويين والإسماعيليين والقرامطة |
| ٤١٦ | أهمّ العشائر العلوية |
| ٤١٨ | أعلام العلويين |
| ٤١٨ | إسحاق الأحمر |
| ٤١٨ | المنتجب العاني |
| ٤١٩ | الحسين بن حمدان الخصيبي |
| ٤٢١ | الميمون الطبراني |
| ٤٢١ | الحسن بن مكزون السنجاري |
| ٤٢٣ | الفهارس |
| ٤٢٥ | فهرس مصادر الكتاب |
| ٤٣٧ | فهرس محتويات الكتاب |



الامام الحاضر كريم شاه الحسيني (آغا خان الرابع)